

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

التعليم في الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي (1830 – 1870م)

رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

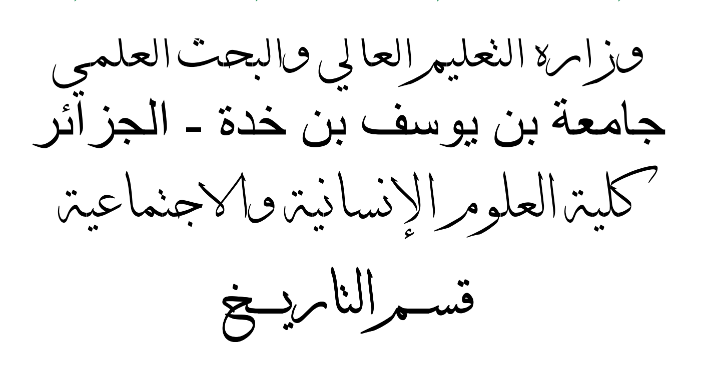
إعداد الطالب :

محمد بن شوش

إشراف الدكتور :

بن يوسف تلمساني

السنة الجامعية : 2007 – 2008 / 1428هـ – 1429هـ



التعليم في الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي (1830 – 1870م)

رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب :
محمد بن شوش

إشراف الدكتور :
بن يوسف تلمساني

لجنة المناقشة

أ.د. محمد القورصو.................... رئيسًا

د. بن يوسف تلمساني.................. مشرفًا ومقرّرًا

د. أحمد رضوان شرف الدين........... عضوًا مناقشًا

د. عبد المجيد بن عدة................... عضوًا مناقشًا

السنة الجامعية : 2007 – 2008 / 1428هـ – 1429هـ

الإهداء

إلى جميع أفراد أسرتي

إلى أستاذي الفاضل "د. **بن يوسف تلمساني**"

إلى جميع أساتذة قسم التاريخ

إلى جميع الأصدقاء الصادقين والمخلصين الذين جمعتني بهم أخوة لم تعرف المادية إليها سبيلا

المقدمـــة

إن الغزو الثقافي كما هو معلوم لا يقل خطورة عن الغزو العسكري، ولهذا اتخذ الفرنسيون التعليم وسيلة لتحقيق أهدافهم والمتمثلة في القضاء على المقومات الحضارية للجزائريين وبالتالي تسهل عليهم السيطرة الكاملة على أرضهم وإمكانياتهم المادية.

ولما كان الأمر كذلك اهتم الاستعمار منذ البداية بالمدرسة والتعليم، لأن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع، فالإقبال عليه غريزة دافعة إلى طلبه، كما أن التعليم يتضمن تنشئة الأجيال وهذه المدارس تصبغهم وتوجههم بوجهتها.

وإني اخترت موضوع التعليم في الجزائر إبان الاحتلال (1830 – 1870م)، لأنها مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر ولأجيب على عدة أسئلة و منها :

هل جاء الاستعمار الفرنسي لنشر الحضارة ؟

ما هو رد فعل الجزائريين؟

هل كان التعليم العربي الجزائري راكدا قبيل الاحتلال و ما مصيره بعد ذلك؟

ما هي نتائج السياسة التعليمية خلال هذه الفترة؟

وهذا ما سأحاول معالجته ومناقشته من خلال مختلف المصادر والمراجع.

وقد قسمت بحثي إلى مدخل وأربعة فصول، المقدمة، خاتمة، وأعطيت المدخل عنوان "وضعية التعليم قبل الاحتلال" وبينت فيه انتشار التعليم الجزائري قبل الاحتلال، وكيف كانت المؤسسات المختلفة، كالزوايا، المساجد، الكتاتيب، المكتبات، وطبيعة هذا التعليم الذي كان يعتمد على الشعب الجزائري، رغم عدم وجود مؤسسات رسمية ترعاه، كما هو الحال الآن، لكن المهم أن الفترة العثمانية لم تعرقل وتقف في وجه انتشار هذا التعليم.

أعطيت الفصل الأول عنوان: "الاحتلال الفرنسي وموقفه من التعليم الجزائري ومؤسساته"، وبينت فيه كيف قام الاحتلال بالاستيلاء على المؤسسات التعليمية وتحويلها إلى كنائس ومستشفيات وغير ذلك، ثم بيّنت موقف الجزائريين من هذه الممارسات، وكيف أصبح التعليم الجزائري بعد ذلك. وكيف لجأت فرنسا إلى السياسة التعليمية، فبينت مفهومها وأهدافها والمواقف المختلفة منها ونتائجها، وكيف وضعت الإدارة الفرنسية لسياستها التعليمية أهدافا للقضاء على الشخصية الجزائرية، لأن معظم القادة الاستعماريين

يدّعون بأنه تحقق الاحتلال الأول بفضل السلاح، وتحقق الاحتلال الثاني بإرغام الأهالي على قبول الإدارة والعادات الفرنسية، أما الاحتلال الثالث فسيتم عن طريق المدرسة التي يجب أن تضمن تفوق اللغة الفرنسية على اللغة العربية.

الفصل الثاني وعنوانه: " التعليم الفرنسي في الجزائر و أنواعه(1830م – 1850م)، وبينت فيه التعليم الفرنسي العمومي الرسمي ، وتعليم الكنيسة والمبشرين، وكيف كانت الإدارة والميزانية والبرامج التعليمية، والتركيز على اللغة الفرنسية والتاريخ الروماني والمسيحي، ومحاولة تجاهل التاريخ الجزائري الإسلامي.

الفصل الثالث وعنوانه: "وضعية التعليم (1850م – 1870م)، وبينت فيه المحاولات الاستعمارية لتعلم وتعليم اللغة العربية، ومحاولة التغلغل في المجتمع الجزائري، ومعرفة عاداته وتقاليده، وتكوين نخبة متفرنسة تكون جسرًا تصل بواسطته إلى أهدافها. وبالموازاة مع ذلك أشرت إلى بعض المتخرجين من المدارس الفرنسية ومواقفهم المختلفة.

الفصل الرابع بعنوان : "التعليم العربي الجزائري"، وبينت فيه استمرار نشاط التعليم في الزوايا، والمساجد، والكتاتيب، وجهود بعض الجزائريين في التعليم،كابن العنابي والأمير عبد القادر وغيرهما، والمشاكل التي واجهت هذا التعليم والوضعية التي آل إليها في نهاية 1870م.

أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها.

لقد اعترضتني صعوبات ومشاكل تتعلق بظروفي الخاصة فأوقفتني عن مواصلة البحث والتدريس، لكن بفضل الله تعالى شجعني أساتذة قسم التاريخ لمواصلة البحث، وإني أشكر كل من ساعدني في هذا البحث من موظفي المكتبة الوطنية الجزائرية والأرشيف الوطني بالعاصمة ووهران، وبالإضافة إلى كل ذلك أستاذي المشرف الدكتور تلمساني الذي أفادني بتوجيهاته العلمية في البحث والله ولي التوفيق.

الفصل المدخلي

وضعية التعليم في الجزائر قبيل الاحتلال

1 - انتشار التعليم ومؤسساته

2 - محتوى التعليم وطرقه

3 - الامتحانات والإجازات وبعض المدرسين

I – انتشار التعليم ومؤسساته :

كان الجزائريون قبل الاحتلال يعتنون كثيرًا بالتعليم، فلا تجد مدينة أو قرية ليس فيها مدرسة، أو مسجد، أو زاوية، أو كتاب لتعليم القراءة والكتابة والعلوم الدينية والتاريخ والحساب، وغيرها من المواد، لأن المجتمع كان يعتبر أن المعلمين هم أساس بناء المجتمع الصالح.

وكان الأثرياء المحسنون يتنافسون في تقديم الإعانات للمؤسسات التعليمية، وذلك في شكل نقود، أو حبوب، أو زيوت، أو أدوات، أو ألبسة ومفروشات وغيرها، وذلك بصفة دورية.

أما بعض المؤسسات فكانت تكوّن وفودًا من طلبتها والمشرفين عليها، ليخرجوا إلى الأقاليم المختلفة ويجمعوا الصدقات في مواسم معينة، مثل موسم الزيتون والزيت، وموسم الحبوب وموسم الزكاة في عاشوراء[1].

بالإضافة إلى ذلك، فهناك أموال الحبوس والأوقاف الإسلامية التي يوقفها الأشخاص والهيآت الخيرية وبعض الولاة، وهي متنوعة، إذ تشمل أراضي زراعية وحقول للأشجار المثمرة، كالزيتون والتين والخروب، والحيوانات الحلوبة والمحلات التجارية والحمامات، وهذا كله لتوفير الأموال اللازمة للصرف على احتياجات المؤسسات التعليمية، كالتغذية والإنارة والتنظيف والطلاء والتأثيث والإنفاق عل الطلبة والمعلمين، أما الفائض من مردود الأوقاف فكان يستغل في إنشاء أماكن جديدة للعبادة والتعليم[2].

إن أغلبية المدن كان لها ناضر للأوقاف يتولى كراء العقارات المحبسة وجمع أموالها، ثم توزيعها على المؤسسات المعنية لتستمر في ممارسة عملها[3].

لقد كثرت الأوقاف بفضل اهتمام الجزائريين بها، ورغبة بعض الحكام في تشييدها لأهداف معينة، مثل الباي حسين بن صالح باي قسنطينة الذي خرج في إحدى حملاته سنة

---

[1] – Marcel, Simian, **les confréries islamiques en Algérie**, Alger 1950, p33.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830)**، المجلد الأول، ج (1، 2)، الأعمال الكاملة خاص بوزارة المجاهدين، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص245.

[3] – الأرشيف الوطني الجزائري، **سلسلة بيت المال**، علبة 9-11، رقم السجل 10.

1221هـ/1807م، ونذر على نفسه إصلاح مسجد محمد بن سيدي سعيد، وتحسين أوضاع الأوقاف لرعاية الطلبة[4].

وأصبحت في نهاية هذه الفترة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، هي أكبر الأوقاف لرعاية التعليم ومؤسساته، إذ بلغت الأملاك المحبسة 125 منزلاً، و 39 حانوتـا، و 3 أفران و 19 بستانا و 107 إيرادًا[5].

إن انتشار التعليم يدل عليه أيضًا كثر المعلمين والعلماء، الذين يصعب ذكرهم وحصر أعمالهم، إذ ورد ذكر أشهرهم في كتب التراجم كتعريف الخلف برجال السلف[6]، وكتاب فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ومن هؤلاء المعلمين أبوراس الناصري الذي تجاوزت تآليفه المئة، والقاضي السيد محمد بن جعدون الذي تتلمذ عليه معظم طلبة مدينة الجزائر قبل وفاته، بالإضافة إلى محمد الصادق أفّغول، أحمد بن نافلة، محمد بن عبد الرحمن التلمساني، أحمد بن عمار، عبد القادر بن السنوسي بن عبد المالك، علي بن الأمين محمد بن الحفاف، محمد بن الفقون، وغيرهم[7].

لقد كثرت المؤسسات التعليمية و لم تشر المصادر إلا لجزء قليل منها، بسبب ظروف الاحتلال، فكانت مثلا بمدينة الجزائر مائة مدرسة ابتدائية (كتاتيب)، وتسع مساجد وزوايا، أما ضواحيها فقد كانت بها مئتان وتسعة وتسعون مدرسة، أما منطقة المدية فكان بها ثلاثون زاوية، وفي ثنية الأحد خمسة عشر زاوية، وفي بلاد القبائل بها العديد من الزوايا التعليمية[8].

---

4 – Louis. Féraud, **"ún vœu d'Hussein Bey de la Constantine 1807"**,Revue Africaine 1863 n°7, Alger , p92.

5 – عبد الجليل التميمي، "**وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر**"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 05، تونس، 1980م، ص14.

6 – أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ط1، بيروت، 1982م.

7 – محمد أبوراس الجزائري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائـر، 1990م، ص ص 41-176.

8 – الأرشيف الوطني الجزائري، ميكروفيلم، علبة 26، 457. F80

أما في الشرق فقد كانت بمدينة قسنطينة خمسة وثلاثون مسجدا، وتسعون مدرسة ابتدائية (كتاتيب قرآنية)، وستة عشر زاوية، وفي عنابة كانت توجد تسعة وثلاثون مؤسسة للتعليم العام، وزاويتان، وسبعة وثلاثون مسجدًا، بالإضافة إلى ثلاث زوايا في الريف القريب من المدينة، وفي سطيف زاويتان، وفي بسكرة ستة وخمسون زاوية[9].

وأما في غرب الجزائر فقد كان يوجد في مدينة تلمسان وحدها خمسون مدرسة ابتدائية، وخمسون مسجدًا، وثلاثة معاهد، وبوهران مدرسة لتعليم الفقه والنحو والحساب وغيرها من المواد، كما كانت توجد بمازونة زاوية مشهورة عريقة، بالإضافة إلى هذا كانت مؤسسات تعليمية كثيرة بالجنوب الجزائري الواسع[10].

يلاحظ أنه لم تكن توجد مؤسسة حكومية خاصة بالتعليم، كوزارة أو مديرية تنجز المدارس، وتكون المدرسين وتوفر البرامج الدراسية، وأن كل مستلزمات التعليم ارتبطت بالأفراد والعائلات، وأن التوجه العام للتعليم كان دينيا أكثر منه أدبيًا، وأن القراءة والكتابة كانتا منتشرتين انتشارًا واسعًا[11].

– المؤسسات التعليمية :

1 – الكتاتيب القرآنية[12]:

هي جمع كُتاب، أي مكان تعليم الكتابة وغالبا ما كان عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، أو غرفة في مترل، أو خيمة مصنوعة من وبر الجمال في صحرائنا المترامية الأطراف، فالكتاب مؤسسة لا يتطلب وجودها توفر إمكانيات مادية كبيرة، لأنه يتكون من مواد البناء المحلية الشائع استعمالها في الوسط أو الحي، أو المنطقة التي يوجد بها.

---

9 – الأرشيف الوطني الجزائري، ميكروفيلم، علبة 26، 480. F80

10 – الأرشيف الوطني الجزائري، ميكروفيلم، علبة 26، 468. F80

11 – Louis. Rinn, **note sur l'instruction publique Musulmane en Algérie**, Alger 1882, p10.

12 – كانت توجد مؤسسات تشبه الكتاتيب في منطقة القبائل، وتسمى بالمعمرات تقوم بتحفيظ القرآن، أو تدريس مبادئ اللغة العربية، أو الفقـــه، أو الحديث.

أثاثه يتكون من حصر مصنوعة من الحلفاء والدوم ومجموعة من الألواح الخشبية، وأقلام من القصب وكمية من الصلصال والصمغ، وجرار للماء وبعض الأواني البسيطة، ومجموعة مصاحف وبعض كتب الفقه والنحو والصرف وغيرها.

لقد كانت الكتاتيب توجد في كل مكان، يؤمها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ستة وعشر سنوات، ليحفظوا بعض السور من القرآن الكريم ومبادئ في العبادات، بالإضافة إلى القراءة والكتابة.

وكان عدد المتعلمين في كل كتاب يتراوح ما بين خمسة عشر وعشرين تلميذًا وأكثر[13]، ويمثل هذا المرحلة الابتدائية في التعليم، وكثيرًا من الكتاتيب تحمل اسم الحي أو صاحب البيت، أو الحانوت، أو صاحب الحبوس، وكان الكتاب في بعض المناطق الريفية يسمى بالشريعة، ويسمى المعلم بالمشارط أو الدرار، وكان كل حي يتولى تعيين أحسن المعلمين الذين تتوفر فيهم شروط الدين، والعفاف والتقوى والمعرفة، وأكد البعض بأنه يجب أن يختار الأعلم بكتاب الله والشيخ المسن الحليم الصبور، المجد، ويجب الابتعاد عن الكسول الممل، المتراخي والفتان[14].

2 – المساجــد :

المسجد كان هو ملتقى العبادة ومنشط الحياة التعليمية الدينية، فلا تكاد تجد قرية أو مدينة بدون مسجد، ومن شدة كثرتها تضاربت الإحصائيات في تقدير عددها، لأن العناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري، وكان تشييدها عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يتكفل بعملية بناء المسجد والوقف عليه وصيانته، وكان أهل القرية والحي يساهمون بالتبرعات وغيرها، ولم تكن الدولة مسؤولة عن بناء المساجد، لأنه إذا بني أحد الحكام مسجدًا فإنه يبنيه من ماله الخاص، يعبر بذلك على إحساسه للخير وقيامه بواجب ديني، وليس بواجب سياسي.

[13] –Eliaou, Gaston, Guedj, **Enseignement indigène en Algérie au cours de la colonisation .** (1832-1962), France 2000 P42.

[14] – Mohamed Bencheneb, **"notions de pédagogie Musulmane"**, Revue Africaine, 1897, p281.

إن المساجد تختلف في حجم موظفيها، فبعضها كان كثير الموظفين، حيث تتجاوز عدد الستين كما في الجامع الكبير بالعاصمة، أما في البعض الآخر من المساجد فلم يكن عدد موظفيه يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وكان لكل موظف مرتب خاص به حسب عمله وعلمه.

كانت بعض المساجد تمارس التعليم بمراحله المختلفة، الابتدائي الثانوي والعالي، أما البعض الآخر من المساجد فقد تخصصت في الدراسات العليا، مثل الجامع الأعظم والجامع الكبير بالعاصمة، وجامع سيدي العربي بتلمسان، وجامع سيدي الأخضر بقسنطينة، بالإضافة إلى بعض المساجد بالصحراء[15].

3 – الزوايـــا :

إن الزوايا كانت منتشرة في الأرياف والمدن، فمنها التي لا تنسب إلى ولي أو إلى طريقة، ومنها ما تنسب إلى ولي فيكون بها ضريحه في الغالب، ومنها ما تنسب إلى طريقة من الطرق الصوفية، كالطريقة الرحمانية والطريقة القادرية وغيرها.

الزوايا عمومًا تتكون من ثلاثة أقسام، قسم لإيواء الطلبة وآخر للدروس، وقسم للطريقة الصوفية، وكانت أنواع منها ما تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، ومنها ما تقوم بتدريس العقيدة والفقه وقواعد النحو والصرف والبلاغة، وبعض المبادئ في علم الفلك، والبعض الآخر كان بها جميع مراحل التعليم حتى شبهت بالجامعات[16].

وقد سميت الزاوية لانزوائها في الريف بعيدة عن المدينة، وكانت نشيطة حيوية يتولى التلاميذ تسييرها والسهر على نظافتها وتموينها، وأداء الشعائر الدينية وغيرها[17]. وكانت أخرى في زاوية المدينة، فواجهت عدة صعوبات بسبب منافسة الكتاتيب والمساجد

---

[15] – Albert. Devoulx, **"les édifices religieux de l'ancien Alger"**, Revue Africaine, 1860-1862, pp277-372.

[16] – L. Rinn, **Marabout et Khouane**, Alger 1884, p18.

[17] – محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر** الحديثة، الجزائر، 1974، ص47.

والمدارس، فتعطلت معظمها عن ممارسة التعليم، وأصبحت تقوم بدور اجتماعي لإيواء الفقراء والعجزة والغرباء[18].

إن بعض الطرق الصوفية، كالقادرية والرحمانية قد أعطت أهمية كبيرة للتعليم، فنجد الطريقة الرحمانية مثلا قد ربطت بين التربية الروحية ونشر التعليم، وكانت كل طريقة لها زوايا تحمل أسماء مختلفة حسب المناطق والمشايخ والمقدمين، وعلى العموم فإن الزوايا كانت كثيرة تفوق المساجد عددًا،حيث أشارت المصادر إلى انها بلغت حوالي 349 زاوية، بها 2149 طالبا و57معلما[19].

إن العلماء والمؤسسات التعليمية في المغرب وتونس، كانوا يقدرون شهادة الطالب الجزائري المتخرج من الزاوية حق قدرها، وبمجرد إثبات الطالب إجازته يقبل بالأقسام العليا، وتجدر الإشارة إلى أن غالبية علماء الجزائر في هذا العهد قد تتلمذوا في هذه الزوايا، كالسعيد قدورة، أبي راس الناصري، الأمير عبد القادر، محمد بن علي السنوسي وغيرهم.

4 – المدارس :

المدرسة هي مجموعة من الأبنية، وهي في الغالب بالقباب البديعة، والنقوش الجميلة، والزجاج الملون، والأقواس الرائعة، بها حجرات واسعة لإيواء التلاميذ ودراستهم. إن هذا النوع من المدارس كان منتشرًا بكثرة قبل الاحتلال، إذ تدل بعض الإحصائيات على وجود ستة وثمانين مدرسة، بها ألف وثلاث مائة وخمسون تلميذًا بقسنطينة، وخمسون مدرسة بتلمسان، وهي غالبا ما تقوم بتدريس المرحلة الثانوية والعالية[20].

ومن بين هذه المدارس بالغرب المدرسة التاشفينية، ومدرسة قرية العباد، والمدرسة اليعقوبية بتلمسان، أما بوهران فتوجد مدرسة خنق النطاح ومدرسة سيدي بومدين[21].

---

[18] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص269.

[19] Oct. Depont ,Xavier Coppolani, **les confréries religieuses Musulmanes**, Alger, 1897, p215.

[20] – دبوز، مرجع سابق، ص42.

[21] – أحمد الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق المهدي البوعبدلي، قسنطينة، 1973م، ص126.

أما مدرسة معسكر فهي أكثر شهرة ، وكانت مجهزة بمكتبة وقاعات للمطالعة وغرف صغيرة لمبيت الطلبة، وكان بها النظام الداخلي والخارجي، وتقوم بإعداد الإطارات، كالمفتي والقاضي والمدرس، وإن هذا جعل معسكر تشتهر بتدريس العلوم الدينية، حيث ان الطلبة كانوا يتحملون المشاق والأتعاب والوحدة والاغتراب، قادمين إليها من جبال الظهرة والونشريس، ندرومة ووجدة، المدية، تيهرت، والبليدة وغيرها، وكان جلهم من الأوساط الفقيرة. وقد اشتهرت أيضًا مدينة مازونة بمدرستها و يقول أحد تلامذة هذه المدرسة هو أبوراس الناصري : "ولما ذكر لي طلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة أشياخها، وكنت أقرأ في النهار وأتسول في الليل، فلقيت في المشي على صغري مشقة، لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم، ثم انصرفت من مازونة بعد ثلاث سنوات، وتمكنت من معرفة وإتقان الفقه"[22].

يضاف إلى المدارس المجهود الذي قام به أبوراس الناصري، خاصة بعد أن طور معارفه وأصبح يفتي بالمذاهب الأربعة، وأصبحت له بعد ذلك مكتبة سميت ببيت المذاهب في بابا علي بمدينة معسكر، ومكث بها ستة وثلاثين عاما قضاها في التأليف والتدريس، وكان يزدحم على مجلسه عدد كبير من الطلبة بلغ أحيانا 780 طالبا، اشتهر منهم الإمام الشيخ محمد بن علي السنوسي وغيره، كما أنه اشتغل بالتأليف، إذ ترك أكثر من 137 كتابا في التفسير والقرآن والشرح والحديث والفقه والأدب والتاريخ[23].

أما بالشرق فقد كانت مدرسة سيدي الأخضر ومدرسة سيدي الكتاني، والتي شيدت سنة 1193هـــ (1779م) من طرف صالح باي، وهي متكونة من سكنات للطلبة ومسجد وقاعات لدراسة، وكانت تعلم القرآن الكريم والحديث[24].

وكانت مدرسة توات سنة 1810م هي الحاملة لراية العلم بالصحراء الشاسعة، إذ قصدها طلبة العلم من منطقة الساورة والواحات ووهران، وحتى من الدولة المالية، وكان

---

22 – أبوراس الناصري، مرجع سابق، ص82.

23 – أبوراس الناصري، مرجع سابق، ص42.

24 – دبوز، مرجع سابق، ص42.

بالمدرسة ما يزيد على 400 طالب، والكل يتعلم ويأكل ويشرب وينام في ظروف عادية بسبب دخل المدرسة، الذي يصلها من المحسنين بدون انقطاع[25].

بالإضافة إلى ذلك هناك مدارس أخرى كالقشاشية بمدينة الجزائر، والمدرسة الناصرية بمنطقة الزاب وغيرها، وكانت كلها تخرج موظفين في التعلم والإفتاء والقضاء.

5 – المكتبات[26]:

لقد كانت المكتبات قبل الاحتلال كثيرة و هي نوعان، مكتبات عامة تابعة للمدارس والمساجد، ومكتبات خاصة يملكها الأفراد والعائلات، وكانت معظمها مفتوحة للطلبة ولجميع قراء المسلمين. أما الكتب فانهاكانت تستورد من الخارج، كما كانت تنتج أيضًا محليا خاصة بتلمسان، قسنطينة، بجاية، معسكر ومدينة الجزائر، وأن حركة التأليف كانت نشيطة، إذ كان لكل عالم مجموعة من المؤلفات، وكانت أماكن عمومية لشراء وبيع الكتب، كسوق الوراقين بمدينة الجزائر[27]، بالإضافة إلى ذلك عمل بعض الحكام على تشجيع حركة النسخ والتأليف، كالباي محمد الكبير الذي كان يطلب من العلماء ويحث كتّابه الخصوصيين على ضرورة اختصار الكتب المطولة ونسخ بعض الكتب الأخرى.

إن التأليف كان يعتمد على الكتابة باليد لمخطوطات قديمة أو جديدة، كالشروح والخلاصات، وعادة ما ينقل المخطوط من شخص إلى آخر بالبيع أو الهبة، وأحيانا يوقف على مؤسسة معينة أو عائلة معينة، وكل ذلك كان يقيد في بداية الكتاب أو نهايته أو على الحاشية.

ومما ساعد على إحياء وتحقيق الكتب وإعادة نسخها، ما تعارف عليه الجزائريون من استعارة الكتب فترة من الزمن من مالكها، ويمكن للمستعير أن ينقل عنها مخطوطًا لنفسه، وكانت عملية النسخ تتم بطريقتين، الأولى أن يقوم ناسخ واحد بنسخ المخطوطة دون

---

25 – عبد العزيز سيدي عمر، **قطف الزهرات من أخبار علماء توات**، الجزائر، 1985م، ص12.

26 – عدد المكتبات التي بقيت بعد الاحتلال حوالي 30 مكتبة، بها أكثر من 110616 مخطوط.
انظر ملحق رقم 01 ص .162.

27 – حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب د. محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1982م، ص105.

مساعدة أحد له، وبعد الانتهاء من النسخ يقوم بمراجعة ما نسخه على النسخة التي اعتمد عليها للتأكد من عدم نسيانه أسطرًا أو كلمات أو وقوع أخطاء.

أما الطريقة الثانية فتتمثل في جلوس عدد من النساخ حول شخص آخر، يملي عليهم من مخطوطة يريد الحصول على عدة نسخ منها، أو جلوس عدد من التلاميذ حول معلمهم، وبعد ذلك تجري عملية المقابلة والتصحيح.

ومن الصفات التي يجب أن يتصف بها الناسخ آنذاك، هي الأمانة فيما ينقل وينسخ وأن يكون على درجة من المعرفة لفهم ما ينسخه، حاضر الذهن ومتفطنًا، ووضع البعض شروطا لنسخ الكتب الشرعية، إذ يجب أن يكون الناسخ على طهارة مستقبلا القبلة، ويبدأ كل كتاب بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم[28].

بعض المكتبات بالجزائر قبل الاحتلال

– مجموعة مكتبات بقسنطينة	بها 800 مخطوط.
– مكتبة حمودة لفقون	بها 2500 مخطوط.
– مكتبة الباش طارزي	بها 500 مخطوط.
– مخطوطات الريف القسنطيني	بها 500 مخطوط[29].
– مكتبة مدرسة تلمسان	بها 110 مخطوط[30].
– مكتبة المسجد الكبير بالجزائر	بها 500 مخطوط[31].
– مكتبة طولقة	بها 89 مخطوط و 12 مجموعة لمخطوطات مختلفة.
– مكتبة بوسعادة	بها صندوقين كبيرين من المخطوطات.

28 – المكتبة الوطنية الجزائرية، **مخطوط رقم 2419**، تاريخ 1151هـ/1738م.

29 –Francis, Laloé **les manuscrits Arabes de Constantine**, Revue Africaine, Alger 1925 n° 66, p106.

30 – August. Cour, ″**catalogue des manuscrits Arabes conservés dans les principales bibliothèques Médersa de Tlemcen**″, Alger 1907, p3.

31 – Mohamed Bencheneb, **catalogue des manuscrits Arabes**, grand mosquée d'Alger, Alger 1909.

- مكتبة الهامل بها 30 مخطوط و 500 مجلد من المخطوطات.
- مكتبة أولاد جلال بها 7 خزائن من المخطوطات.
- مكتبة البرواقية[32] بها مجموعة كبيرة من المخطوطات.
- مكتبة آل سيدي الشيخ الحسين بقسنطينة بها 85 مخطوط[33].
- مكتبة سيدي خليفة بالقرب من قسنطينة بها 6000 مخطوط[34].
- مكتبة المطارفة بالقرارة بها 220 مخطوط.
- مكتبة عين ماضي وتماسين بورقلة بها 279 مخطوط[35].

يضاف إلى هذه المكتبات مكتبة الخنقة، وزواوة ومكتبة القيطنة بمعسكر ومكتبة لالة فاطمة نسومر.

6 – الكتـــب :

تنقسم الكتب المخطوطة حسب حجمها وأهمية دراستها إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى بعد تحليل موضوعاتها وعناوينها، نجد أن أغلبها يدور حول الفقه، خاصة الفقه المالكي، ويلاحظ سيطرة مختصر خليل وكثرة شروحه وحواشيه، ثم نجد التآليف الخاصة بالقرآن وعلومه والحديث الشريف[36].

إن المجموعة الثانية تخص مادة النحو وكتبها، كالأجرومية وألفية ابن مالك، العوامل المائية، لامية الإعراب المجرادية والمصباح في النحو، وهي عبارة عن مخطوطات في شكل متون ورسائل، شروح على المتون، حواشي وتعليقات على الحواشي، واحتوت الأجرومية على أكبر عدد من الشروح، ويدل ذلك على انتشار ها الواسع في الوطن، ثم تأتي ألفية ابن

32 – المكتبة لمالكها الأصلي الشيخ المجاوي (11م) أيام توليه القضاء في مدينة البرواقية.

33 – المكتبة الوطنية الجزائرية، ستة صفحات مكتوبة على الآلة الراقنة، بدون ترقيم.

34 – خليل إبراهيم العطية، "**مخطوطات زاوية سيدي خليفة في الجزائر**"، مجلة عالم الكتب، المجلد 8، العدد 1، مارس 1987م، السعودية، ص31.

35 – المكتبة الوطنية الجزائرية، مطبوعات بدون تاريخ وترقيم.

36 – مكتبة حسين بولحبال (1897 – 1944) مفتي مدينة بجاية سنة 1931م، المكتبة الوطنية، بدون رقم.

مالك في المرتبة الثانية حيث شغلت الكثير من النحاة واللغويين الذين اهتموا بشرحها وتبسيط معانيها وألفاظها، لتكون في متناول المبتدئين في الدراسة[37].

المجموعة الثالثة من المخطوطات خاصة بالتاريخ والحساب والفلك، وهي كما يلي[38]:

أ – السيرة النبوية :

هي المخطوطات المتعلقة بالترجمة المأثورة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يتعلق بأسمائه، خصائصه، فضائله، شمائله، مغازيه ومولده ومبعثه، وأكثر العناوين انتشارًا الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومغازي الثلاثة خلفاء لسليمان بن موسى الكلاعي المتوفى 434هـ/1237م، ومخطوط الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، بالإضافة لمولد النبي صلى الله عليه وسلم للأحمد بن حجر الهيثمي[39].

ب – التاريخ :

المكتبات الجزائرية بها مخطوطات تتعلق بالتاريخ العام، مثل كتاب أخبار الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، ومروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بن الحسين السعودي، عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان لمحمد بن علي الشطيبي، وكتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون، بالإضافة إلى الحلل في نظام الدول للسان الدين بن الخطيب.

أما التاريخ الخاص المتعلق بالدول، فمنها الدولة الأموية والعباسية والمرينية، ككتاب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لعلي بن أبي زرع الفاسي، والدولة الأولى من دول الأشراف العلويين، والمعرب عن دول المشرق والمغرب لأبي قاسم ابن أحمد الزياني[40].

---

[37] – مكتبة علي بن الحاج موسى (1865-1913م)، المكتبة الوطنية.

[38] – نفسه.

[39] – المكتبة الوطنية، رقم 1988-2332 .

[40] – مكتبة ابن رحال، **مخطوط رقم 4**، المكتبة الوطنية.

أما تاريخ البلدان والمدن فتوجد نسخ لكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغـــدادي (ت 463هــ/1072م)، وكتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدي، ولقد ساهم الجزائريون في هذا النوع من التأليف، فنجد الكبير المغرب عن الأمر المعرب إلى الثغور بالأندلس المقرب لمحمد أبي راس الناصري (ت 1238هــ/1823م)، وهو شرح لقصيدة الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، وكتاب الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة لمحمد بن رقية التلمساني (ت 1193هــ/1779م)، وقد ألف سنة 1194هــ بعد حملة إسبانيا على الجزائر سنة 1189هــ/1775م، وقد ضمنه صاحبه عدة وقائع هامة وأخبار عن حكام الجزائر ونشاطهم في تلك الفترة[41]، وكتاب رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، لصاحبه أحمد بن هطال (ت 1219هــ/1804م)، وفيه غزوة الأغواط سنة 1199هــ، وبعض القرى من غرب الجزائر الصحراوي[42].

وكذلك علم الأنساب تمثل جانبا مهما من جوانب النسخ والتأليف التاريخي عند الجزائريين، فنجد كتاب نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان، لصاحبه محمد بن عبد الله التنسي، وكتب التراجم أيضا تمثل جانبا مهما من المكتبة الجزائرية قبل الاحتلال، إذ وجدت مصنفات في تراجم الفقهاء، وطبقات النحات والشعراء والأدباء والأطباء والفلكيين، ومن أقدم ما وجد من هذه المصنفات سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز التي ألفها عبد الله بن عبد الحكيم المتوفي 214هــ/869م، كما توجد مخطوطات أخرى ككتاب وفيات الأعيان لأحمد بن خلكان (ت 181هــ/1282م)، وكتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لمؤلفه طاش كبري زادة (ت 868هــ/1561م).

أما ما يتعلق بمؤلفات المغاربة في التراجم فهي كثيرة وأغلبها لمؤلفين جزائريين، ومنها كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، كما توجد نسخ لكتاب الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب لإبراهيم بن فرحون (ت

---

[41] – المكتبة الوطنية، **مخطوط رقم 3184.**

[42] – المكتبة الوطنية، **مخطوط رقم 3182.**

799هـــ/1397م). وكتاب القاضي عياض للحافظ الجزائري إبراهيم المقري (ت 1041هـــ/1631م)، و الذي اشتهر بعنوان أزهار الرياض في أخبار عياض، وما يتعلق بتاريخ بعض ملوك المغرب الأقصى نجد نسخ من كتاب وضعه الصغير الأفراني (ت 1155هـــ/1742م)، وعنوان نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، ويتناول تاريخ الدولة السعدية وبداية الدولة العلوية.

بالإضافة إلى ذلك، نجد كتاب الوفيات لأحمد بن قنفد القسنطيني (ت 810هـــ/ 1407م)، وهو معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11 إلى سنة 807هـــ، وكتاب الرحلة القمرية في السيرة المحمدية لمؤلفه محمد بن زرفة (كان حيا قبل 1207هـــ/1792م) ويتطرق إلى سيرة وجهاد الباي محمد الكبير[43].

الرحلات هي أيضا من المخطوطات الكثيرة في الجزائر، ومنها كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب للحافظ الجزائري أحمد المقري، وكتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار لمؤلفه الحسين بن محمد الورثلاني (ت 1193هـــ/1779م)، وكتاب نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لأحمد بن عمار الجزائري (ت. حوالي 1205هـــ/ 1790م)، وكتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب لأبي حامد الغرناطي (ت 565هـــ/1170م).

جـــ – كتب الرياضيات :

اهتم المسلمون منذ القدم بالرياضيات، وألفوا كتبًا كثيرة في هذا المجال حيث توجد عدة مخطوطات منها في الحساب، الجبر، الهندسة، الميقات والفلك، وأشهرها كشف الأستار عن علم حروف الغبار لعلي بن محمد القلصادي (ت 981هـــ/1486م)، وكتابه أيضا كشف الجلباب في علم الحساب، وكتاب منية الحساب لمحمد بن غازي (ت 919هـــ/1513م).

[43] – المكتبة الوطنية، الجزائر، مجموعة المخطوطات المهداة من السيد بشير يلس، وجاك شوفالي، بالإضافة إلى المجموعة التي تم شراؤها من السيد المهدي البوعبدلي وصدوق، بدون تاريخ ورقم.

أما الهندسة فنجد نصر الدين الطوسي (ت 672هـ/1274م) صاحب المؤلفات العديدة، من بينها كتاب تحرير المناظر لإقليدس، وكتب الجبر للمؤلف محمد بن المهوب الزواوي، ككتاب تحفة السرور في أعمال الصحيح من الكسور، ونسخ أيضا بعنوان مسك الإيجاب في علم الحساب.

وعلم الميقات أيضا اهتم به الجزائريون وكثرت مخطوطاته، ومنها كتاب معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار، للجزائري محمد بن علي الشريف الزواوي (كان حيا 1194هـ/1780م)، ويتطرق إلى معرفة أوقات الصلاة وتحديد القبلة من جميع الأقطار، ومعرفة السنة الهجرية وشهورها، وقد جاء هذا الكتاب محاولاً توضيح ما لم يوضحه عبد الحق بن علي لبطيوي (ت. أوائل ق 8هـ/14م) في الأرجوزة بعنوان منظومة في التقويم والتوقيت، ونختم الحديث عن كتب الميقات بالإشارة إلى نسخ من كتاب روضة الأزهار في وقت الليل والنهار لعبد الرحمن بن محمد الجادري (ت 818هـ/1415م)، وهو أرجوزة تبحث في دخول السنة الهجرية والميلادية، وفي الساعات وأوقات الصلاة، وفي ارتفاع الكواكب، والقبلة وغيرها[44].

كما أن علم الفلك أيضًا من بين العلوم التي اهتم بها الجزائريون، بسبب علاقته بالعبادات، فهو يفيد في معرفة الأشهر العربية، ومواقيت الصلاة، والصوم، واتجاه القبلة، ومعرفة صلاتي الكسوف والخسوف، ومن الكتب نجد العمل بالإسطرلاب لأبي الحسن عبد الرحمن الصوفي (ت 376هـ/986م)، ولم يكن الاهتمام بعلم الفلك شائعا في المشرق فقط، بل كان كذلك في المغرب، ومن بين ما ألف ونسخ في ذلك كتابان لمؤلفين جزائريين، الأول عنوانه السراج في علم الفلك لصاحبه عبد الرحمن الأخضري (ت 983هـ/ 1575م)، أما الكتاب الثاني فهو شرح للكتاب السابق وعنوانه مفيد المحتاج في شرح السراج لمؤلفه سحنون بن عثمان الونشريسي (ق 11هـ/17م)[45].

II – محتوى التعليم :

[44] – المكتبة الوطنية، **مخطوطات مكتبة أحمد بيوض، ومكتبة ابن حمودة،** بدون تاريخ ورقم.

[45] – المكتبة الوطنية، **مخطوط رقم 2694.**

1 – المرحلة الابتدائية :

إن التلميذ عند التحاقه بالكتاب يبدأ مباشرة في أبجدية اللغة العربية، التي تبدأ بحرف الألف وتنتهي بالهمزة، وهي ثلاثون حرفًا، ثم ينتقل إلى حفظ القرآن الكريم من سورة الأعلى إلى آخر سورة الناس، ويتزامن مع ذلك التمرين المستمر على التهجي والكتابة والإملاء.

ومن المواضيع المدرسة في النحو، والصرف ومواضيعه، كتعريف الكلام، الأفعال، المبتدأ والخبر، النكرة، العطف، المصدر، الحال، المنادى، المفعول به، المفعول من أجله والمفعول معه، وتعتمد معظم الكتاتيب في هذا الجانب على كتاب الأجرومية. أما مادة الفقه ومواضيعها، كالوضوء، الصلاة، الزكاة، الصوم والسنن ومؤكداتها ونوافلها، والآداب العامة[46]، ويكون الرجوع في ذلك إلى رسالة أبي زيد القيرواني، التي جاء فيها بأن الهدف من ذلك هو تعليم الصغار لكتاب الله، وأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر[47]، ويضاف إلى ذلك تعليم العقائد اللطيفة و معنى لا اله إلا الله و أن محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم و القرآن العظيم و حديث الأخبار و حكاية الصالحين و تجنب الأشعار و مخالطة الأشرار و تعليم أمور الشريعة وحروف الهجاء الخط الفرائض و آداب الدين[48].

2 – المرحلة الثانوية :

ترتكز هذه المرحلة على مادة الرسم، وهي الاهتمام بالقرآن من ناحية الخط والزخرفة، وذلك اقتداء بالكتّاب الأوائل من الخلفاء المسلمين، ثم الانتقال إلى حفظ القرآن كله ومواد أخرى هي[49]:

أ – التفسير :

46 – أحمد بن جمعة مغراوي، **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، الجزائر، 1975، ص49.

47 – عبد الله بن أبي زيد القيرواني، بدون طبعة وتاريخ، ص4.

48 – Mohamed Bencheneb, **"notions de pédagogie Musulmane"**, Revue Africaine, 1897, p281.

49 – مغراوي، مصدر سابق، ص47.

كان الاعتماد على تفسير الو احدي، وأكثر من ذلك على تفسير الجواهر الحسان الكثير الانتشار، بسبب سهولته وأهميته وفائدته.

يعتبر تفسير الجواهر من نوع التفسير بالمأثور، أي يكون الاعتماد فيه على السنة النبوية الشريفة، ثم على ما تواتر من مفهوم الصحابة والتابعين لمعاني الآيات وأهدافها، وعاد صاحبه في ذلك إلى حوالي مائة مصدر، تناولها بالتحليل والنقد، ونجده أحيانا يستدل بعلم المنطق، وركز كثيرًا على الجهاد والاستعداد له، وحث على ضرورة التمرن على الرماية[50].

ب – النحــو:

من الكتب المدرسة في هذه المادة، ألفية ابن مالك[51]، وهي ذلك العمل النحوي المشهور الملخص في أرجوزة من ألف بيت لتسهيل حفظها، وقد اتصفت بطابعها التعليمي، حيث جمعت الأصول والفروع تجنبًا للتطويل والتعقيد، وقد نسخت عدة مرات لأنها قامت بشرح وتوضيح الغموض التي ظهرت به بعض الكتابات القديمة، كما تدرجت بطريقة تصاعدية لتعليم اللغة العربية، وأصبحت تلخيصًا لأصول النحو العربي، ومن بين ما جاء فيها من البسيط والمركب، الجملة، الفاعل، المفعول به والحال، وغيرها. ومن كتب القواعد أيضا الأجرومية التي كانت تدرس اعتمادًا على مطولاتها ومختصراتها من الشروح، كمختصر دحلان ومطول الكفراوي، وهي بسيطة تفهم دون جهد أو عناء، وكان التركيز على المواضيع التي لم تدرس منها في المرحلة الابتدائية، وهذا مثل علم الكلام، العطف والمصدر وغيرها.

أما قطر الندى وبل الصدى لابن هشام[52]، فهو أكثر عمقا من الأجرومية، إذ ينطلق من القواعد الجزئية للنحو، إلى استخلاص القوعد الكلية التي تجمع التعليلات تحت فكرة واحدة، ويعتمد فيه صاحبه على الاستشهاد بالآيات القرآنية، كي يوضح القواعد النحوية

---

[50] – المكتبة الوطنية، **مخطوط عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان**، رقم 2450، ص67.

[51] – ابن مالك الأندلسي ولد عام 600هـ/1203م، وتوفي في دمشق 673هـ/1274م.

[52] – ابن هشام جمال الدين بن عبد الله بن يوسف (1309 – 1360م)، ولد بالقاهرة وتوفي بها، وهو من النحاة واللغويين المشهورين.

ويقربها إلى الأفهام، فيذكر مثلا اسم الموصول الذين إذ أحيانا يكتب اللذون، ويستشهد ببيت شعري فيقول :

نحن اللذون صبحوا الصباح *** يوم التخيل غارة ملحاحـــا

جـ – مادة الفقه :

كان تدريسها يعتمد على المرشد المعين، ومختصر الشيخ خليل ورسالة ابن زيد القيرواني[53].

إن كتاب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر، اشتهر وانتشر في الجزائر، لأنه منظومة فريدة في نوعها في الاختصار وكثرة الفوائد في التفنن والتوجيه والتحقيق والتعليم، ويضم أبوابًا في الفقه والتصوف، والتوحيد والعقائد، وهي مقسمة إلى قواعد الإسلام، الطهارة، العبادة، الإمامة وغيرها، هي منظومة شعرا تسهيلا للحفظ[54].

والكتاب الآخر هو مختصر الشيخ خليل بن إسحاق، وهو أكثر كتب الفقه المالكي تداولاً في الجزائر، ويحظى بتقدير فائق. أن البعض يعتبر خليل هو مؤسس الفقه الإسلامي، ويذهب البعض إلى درجة التقديس فيقسمون به. إنه مختصر تعليمي شديد الإيجاز، وكان الكثير يحفظه على ظهر قلب[55]، وقد وضعت له شروحا وحواشي لتبسيطه، وأهمها أحمد الدردير بشرحه الصغير والكبير.

أما رسالة أبي زيد القيرواني فيتم التركيز على الجزاء، المخصص للفرائض وأصول الفقه وفنونه والسنن والرغائب والآداب.

إن الجزائريين اختاروا وركزوا على المذهب المالكي وهذا محمد بن سحنون يبين سبب ذلك فيقول : «إن أهل المغرب والأندلس كانت رحلتهم غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في

53 – **المرشد المعين**، نظمه ابن عاشر المتوفى 1040م.

54 – المكتبة الوطنية، **مخطوط رقم 2468**، تاريخ 1030هـ/1631م.

55 – الجندي خليل بن إسحاق، **المختصر على مذهب الإمام مالك بن أنس**، خزانة الجامع الكبير، رقم 2461 تار، 776هـ/1374م.

طريقهم، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلامذته من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلّدوه دون غيره ممن لم يتصل إلينا طريقته»[56].

د – مادة الأصول :

الهدف من دراسة هذه المادة هو معرفة الله تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، والأصول هو موضوع علم الكلام، أي كل ما هو معقول، ويتم التوصل إليه بالنظر والاستدلال ومواضيعه التوحيد العدل، الوعد والوعيد، وغيرها، واعتمد في تدريس المادة على كتاب السنوسية، والمعرفة بأم البراهين، بالإضافة إلى عقائد التوحيد للدردير وجوهرة التوحيد للقاني.

إن أم البراهين لأهميتها شرحت ونسخت ووجدت منها مئات النسخ في المكتبات الجزائرية، وتناولت الحكم العقلي وأقسامه، التقليد، الواجب والمستحيل في حقه تعالى، برهان وجوب الوجود صدق الرسل وشرح كلمة التوحيد.

طريقة تناول هذه المواضيع كانت مبسطة لتسهيل عملية الحفظ والاستظهار، وكانت تعود للمتن بالشرح الذي يوضح غوامض المعاني وحل رموزها بعيدا عن الأطناب الممل والاقتصار المخل[57]. ويلاحظ بأن الاهتمام كان كبيرًا بدراسة أم البراهين، وخاصة بالزوايا التي أصبحت في بعضها تحتل المرتبة الثانية بعد تحفيظ القرآن.

هـ – مواد أخرى :

بالإضافة إلى المواد السابقة، كانت تدرس البلاغة، العروض، المنطق، التراجم والسير، التاريخ، الحساب، الفرائض وعلم الفلك.

---

[56] – محمد سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تقديم وتحقيق مقارن، محمود عبد المولى، الجزائر، 1981م، ص33.

[57] – أبو عبد الله السنوسي، **شرح أم البراهين في علم الكلام**، تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري، الجزائر، 1989م، ص11.

3 – التعليم العالي :

إن محتوى هذه المرحلة تركز على دراسة كتب كاملة، إذ كان الطالب يختار الكتاب والأستاذ حسب الإمكانيات والميول، وقد جرت العادة أن يقوم الأساتذة بمهمة التوجيه العلمي للطلبة، بحيث يتدرجون في دراسة الكتب البسيطة إلى دراسة الكتب المعقدة، ومن دراسة المختصرات، إلى دراسة الكتب الموسعة. و لم يكن الطلبة يقتصرون على ما في الكتاب من مادة علمية، وإنما كانوا يثرونها بروافد أخرى من أمهات الكتب، كما لم يكونوا يقتصرون على طريقة شرح النصوص وحدها، وإنما كانوا يناقشون المسائل ويرجحون رأيًا على رأي آخر.

كان الطالب يتوسع في دراسة الكتب المختلفة حتى يصل إلى مرحلة التخصص، ويقال عنه مثلا أنه كان بارعا في العربية متضلعا فيها، ومشاركا في بعض العلوم أو مشاركًا في كل فن، كما يقولون كان عارفا بالنحو أتم المعرفة مشاركا في غيره، أو انتهت إليه الإمامة في علم الحديث، أو الفقه، أو النحو، إلى غير ذلك من الصفات والألقاب التي يقصد بها تحديد تخصصه[58].

ومن الكتب المدرّسة نجدها في مختلف المواد كما يلي :

– كتب تفسير القرآن :

1 – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي.

2 – معالم التنزيل، للحسن بن مسعود البغوي.

3 – الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي.

4 – التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد الخازن.

– كتب رسم القرآن :

[58] – أبوراس الجزائري، **فتح الإله**، مصدر سابق، ص142.

1 – تقييد ميم الجمع في القرآن الكريم، امحمد بن إبراهيم اعجلي.

2 – تنبيه العطشان على مورد الضمآن، لحسن بن علي الرجراجي.

3 – كتاب رسم القرآن، امحمد بن إبراهيم اعجلي[59].

– كتب القراءات :

1 – العقد الجامع للدرر اللوامع لعلي بن عبد الواحد الأنصاري.

2 – الرسالة الغراء في ترتيب اختلاف وجوه القراء لأحمد بن عثمان بن ثابت.

3 – أنوار التعريف، لمحمد بن أحمد الجزولي.

– كتب الحديث وعلومه :

1 – الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري.

2 – فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.

3 – الموطأ، برواية يحي الليثي، لمالك بن أنس.

2 – الرسالة الغراء في ترتيب اختلاف وجوه القراء لأحمد بن عثمان بن ثابت

4 – شرح التبصرة والتذكرة، لعبد الرحمن بن حسن العراقي.

– كتب السيرة النبوية :

1 – الشمائل النبوية، لمحمد بن عيسى الترمذي.

2 – كتاب السيرة النبوية، لمحمد بن خلف الاشبيلي[60].

3 – الفوائد الجلية البهية على الشمائل المحمدية، لمحمد بن قاسم حسوس[61].

– كتب الفقه :

1 – غاية المرام في شرح مقدمة الإمام أحمد بن محمد بن زكري.

---

[59] – المكتبة الوطنية الجزائرية، مطبوعات بدون تاريخ وترقيم.

[60] – مكتبة ابن رحال، انظر ملحق رقم 10.

[61] – المكتبة الوطنية، **مخطوطات خزائن ابن رحال، الجامع الكبير بمدينة الجزائر، زاوية عجاجة بورقلة،** بدون تاريخ ورقم.

2 – شرح مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرشي.

3 – المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لعبد الواحد بن عاشر.

4 – تحفة الأصحاب، لمحمد بن أحمد ميارة.

– كتب التاريخ :

1 – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون.

2 – عيون الأخبار ونزهة الأبصار، لمحمد بن أبي السرور.

3 – الحلل في نظم الدول، للسان الدين بن الخطيب.

4 – الخبر عن دعوة مكة، لعبد الرحمن بن خلدون.

5 – الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، لعبد الله بن أبي زرع.

6 – أرجوزة ملوك الأشراف السادات العلويين، لأبو القاسم بن أحمد الزياني.

7 – الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة لمحمد التلمساني.

8 – شرح أرجوزة فتح وهران لعبد الرحمان الجامعي.

9 – تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.

10 – تاريخ السودان، لعبد الرحمن بن عبد الله السعدي.

– كتب الأنساب :

1 – كتاب نسب زغبة والقبائل، لعلي بن محمد التلمساني

2 – نظم الدر والعقبان في ليان شرف بني زيان، لمحمد بن عبد الله التنسي.

3 – كتاب الأنساب والكنى والألقاب، لمحمد بن أحمد الذهبي[62].

– كتب التراجم :

1 – روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، لأحمد بن صخر.

2 – الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاش كبري زادة.

---

[62] – المكتبة الوطنية الجزائرية، **مخطوطات ابن حمودة.**

3 – كتاب الوفيات، لأحمد بن حسن قنفذ.

– كتب الرحلات :

1 – تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، لأبي حامد الأندلسي الغرناطي.

2 – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري.

3 – نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، للحسين الورثلاني.

– كتب الحساب :

1 – منية الحساب، لمحمد بن أحمد بن غازي.

2 – كشف الأستار عن علم حروف الغبار، لعلي بن محمد القلصادي.

3 – كشف الجلباب في علم الحساب، لعلي بن محمد القلصادي[63].

– كتب الهندسة :

1 – إعلام الأعمال عن إشكال الأشكال، للأزهري.

2 – تحرير المناظر لإقليدس، لمحمد الطوسي.

– كتب الجبر والمقابلة :

1 – تحفة السرور في أعمال الصحيح من الكسور، لمحمد بن المهوب الزواوي.

2 – عروس زفت في اختصار النسبة، لمحمد بن المهوب الزواوي.

– كتب الميقات :

1 – منظومة التقويم والتوقيت، لعبد الحق بن علي البطيوي.

2 – المقنع في علم أبي مقرع، لمحمد بن سعيد السوسي[64].

3 – روضة الأزهار في معرفة وقت الليل والنهار، لعبد الرحمن الجادري[65].

– كتب الفلك :

---

[63] – المكتبة الوطنية الجزائرية، **مخطوطات ابن حمودة**،مرجع سابق.

[64] – المكتبة الوطنية، **مخطوطات ابن حمودة**،مرجع سابق.

[65] – ، نفسه.

1 – السراج في علم الفلك، لعبد الرحمن بن محمد الأخضري.

2 – البروج وحلول الشمس، حسين الهاشمي البغدادي.

3 – مفيد المحتاج في شرح السراج، لسحنون بن عثمان الونشريسي.

– كتب النحو :

1 – شرح الأجرومية، لحسن بن علي الكفراوي.

2 – منهج السالك إلى ألفية ابن مالك.

3 – لامية الإعراب، لمحمد بن مجراد.

4 – المصباح في النحو، ناصر بن عبد السيد ابن المكارم بن علي[66].

– مواضيع مختلفة :

كان طلبة التعليم العالي يدرسون ويتناقشون في حلقات وغيرها، في المواضيع التالية :

1 – قول أبي زيد القيرواني في الرسالة أنه فوق عرشه المجيد بذاته.

2 – قول الإمام أبي حامد الغزالي ليس في الإمكان لبدع مما كان.

3 – التكوين في علم الكلام والرد على السنوسي وعلم الأشاعرة.

4 – مشكلة اختلاف السنوسي وابن زكري في القضية الكلية والجزئية.

5 – صفات المعاني والأفعال في العقائد.

6 – التقليد والاجتهاد وشروطه.

7 – القهوة والدخان وما قيل فيهما[67].

III – طرق التعليم :

1 – المرحلة الابتدائية :

كان المؤدب يجلس في صدر الكتاب متربعا على حصير أو نحوه، مسندًا ظهره إلى الجدار، وبيده عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ عند الحاجة، وكان التلاميذ يتحلقون حول المؤدب في نصف دائرة، وإذا كثروا يتعدد الصف، وهم أيضا كانوا يجلسون على حصير

[66] – المكتبة الوطنية، **مخطوطات ابن رحال**،مرجع سابق.

[67] – أبوراس، مصدر سابق، ص180.

ونحوه قبالة المؤدب، وبيد كل واحد منهم لوحة كبيرة أو صغيرة حسب إمكانيات التلميذ وعمره[68].

إن التلميذ عندما يحضر لأول مرة إلى الكتاب، يكتب له المؤدب حروف الهجاء العربية كلها من جهة واحدة على اللوحة، أما الجهة الأخرى من اللوحة فتكتب فيها سورة الفاتحة، ثم يبدأ المعلم بتلقين التلميذ الحروف وذلك بالدارجة، كالألف لا تحمل نقطة، وهكذا إلى نهاية الأبجدية، وبعد الانتهاء من حفظها ينتقل إلى معرفة الحرف المعجم منها والمهمل، ثم بعد ذلك ينتقل إلى معرفة صور الحروف وأشكالها وتشبيهها بالأدوات المحسوسة التي يشاهدها كل يوم، وهذا لترسيخ صور الحروف في ذاكرة التلميذ.

إن الجهة الأخرى من اللوحة التي كتبت فيها سورة الفاتحة، يبدأ المعلم بتلقينها للتلميذ، آية آية ليحفظها سماعا دون فهم، فإذا ما حفظها في مدة أسبوع أول، أقل أو أكثر يمحوها بماء طاهر، ثم يدهنها بمادة الصلصال ويتركها للشمس، أو قرب النار لتجف، وبعد ذلك يكتب المعلم سورة الناس وباقي السور تدريجيًا[69].

عندما يتقن التلميذ القراءة والكتابة، تصبح طريقة توصيل المعلومات هي الإملاء والحفظ، بحيث أن التلميذ النجيب قد يتم القرآن وهو في سن العاشرة من عمره، وبعد ذلك يتدرج تعلم الفرائض، العقائد، وآداب الدين.

إن المصادر تشير إلى عدة وصايا يجب الأخذ بها في هذه المرحلة، وذلك بمرافقة التلاميذ باللين والرحمة والرعاية التامة، وعدم الإكثار من الكلام، وتعليمهم لا إله إلا الله محمدا رسول الله صلى الله عيه وسلم، وتعليم الحديث وأخبار وحكايات الصالحين، وأنه من الضروري مدح التلميذ إذا أحسن، وذمه إذا أساء، ويجب عدم الإكثار من الذم، ويجب أن يتساوى في ذلك الذكور والإناث، إن الصغار يمكن ضربهم لتأديبهم وذلك إلى باطن القدمين، من ثلاثة إلى عشرة ضربات، ويحسن أن تكون ضربة واحدة، ويكون التأديب بالزجر والكلام لكي لا يؤثر على ملكة الحفظ والفهم لدى التلميذ، ويجب على المؤدب أن

---

68 – أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي ،ج 1 ط 1981 مرجع سابق، ص343.

69 – مغراوي، مصدر سابق، ص49.

يكون مهابا في غير عنف، وأن لا يكون منبسطا كثيرًا، كما يجب على المعلم أن لا يطلب شهادة التلاميذ على بعضهم بعض، أو يوكل بعضهم على بعض، وأن لا يستعمل بعض التلاميذ في بعض الحاجات.

إن أيام الدراسة تكون من صبيحة يوم السبت إلى صبيحة يوم الخميس، ويلتحق التلاميذ بالكتاب مرتين في اليوم، وفي كل مرة يبقون فيه حوالي ساعتين، ففي الصباح يقوم التلميذ بعملية الاستظهار والمحو والكتابة من جديد، أما جلسة المساء فهي في الغالب لمجرد القراءة استعدادًا لليوم الموالي، أما عطلة الأعياد فتكون من ثلاثة إلى خمسة أيام[70].

2 – طرق التعليم بالثانوي :

بعد انتهاء المرحلة الابتدائية، يواصل بعض التلاميذ دراستهم حسب الظروف والإمكانيات والميول، فيلتحق البعض بالثانوي ومؤسساته، وهي المساجد والمدارس والزوايا.

إن التعليم بالمساجد كان ينظم في شكل حلقات، فيجلس الشيخ مستندًا إلى إحدى أعمدة المسجد، أو في مكان مرتفع وحوله الطلبة مشكلين حلقة، وأن الطلبة كانوا غير مقيدين بالحضور إلى شيخ معين، وإنما يختار كل واحد منهم الشيخ الذي يفضله، والموضوع والمادة التي يميل إليها، ولم تكن هناك مقررات محددة على الطلبة يدرسونها في كل فترة، فقد كان الشيخ هو الذي يحدد الدرس في اليوم التالي حتى يتمكن البعض من الاستيعاب، وكانت المناهج الدراسية تحدد في شكل كتب، فيقال مثلا طبقة الأجرومية، طبقة قطر الندى، الدرر اللوامع، الرسالة، الألفية، مختصر خليل وغيرها.

إن الكتب المذكورة كانت تدرس للذين انتهوا من حفظ القرآن، وأرادوا أن يتفقهوا في الدين واللغة، ويلاحظ بأن التلاميذ يختلفون في الفهم لهذه المواد التي يدرسونها مع معلميهم، لأن المعلم يبدأ في تدريس كتاب مع التلاميذ الحاضرين، وإذا انضم إليهم طالب جديد فعليه أن يواصل الدراسة معهم أينما وجدهم، فلا يرجع المعلم من أجله إلى أول

---

[70] – محمد سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، مصدر سابق، ص ص67-97.

الكتاب، والطالب هذا لا يمكن له أن يفهم ما وجدهم فيه دون دراسة مقدمة الكتاب، والفصول التي سبقوه بها[71].

وهكذا يبقى الدرس دون فهم حتى ينهي المعلم كتابه مع باقي التلاميذ، وفي غالب الأحيان يعيد المعلم نفس الكتاب مع طلابه، وأحيانا يتنقل إلى كتاب آخر.

ومن حيث تحديد الوقت، فكان البعض يدرس مرتين في اليوم، الفترة الصباحية تبدأ بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر، والفترة المسائية من صلاة العصر إلى صلاة المغرب، البعض الآخر أضاف الفترة الثالثة من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء[72].

إن الزاوية تختلف عن المسجد في طريقة التعليم، ونجد لكل زاوية تعليمية قانون داخلي يسهر الكل على تطبيقها، لتحقيق الأهداف المسطرة، والطلبة هم وحدهم المسؤولون عن الزاوية وتدبير شؤونها، داخليا وخارجيا في جميع الميادين.

إن الطلبة سواسية، لا فرق بين الكبير والصغير، ولا بين العظيم والحقير، وعادة ما ينقسمون إلى طبقات أربع، الطبقة الأولى وهي العليا تضم الأكابر والعقلاء، ويحكمون في جميع الحقوق المالية المترتبة على الخطأ والتضييع في الأرزاق، ويكون حكمهم عام على جميع الطلبة الكبار والصغار، أما الطبقة الثانية فهي التي تحرص على القراءة وأداء الصلاة والآداب العامة، والطبقة الثالثة تتكفل بتوفير الحاجيات الضرورية للزاوية، من غذاء وشراب وزيت وغيره، أما الطبقة الرابعة فهي التي تقوم بالخدمات المختلفة، كالحراسة والنظافة وغيرها. وتختلف الطبقات في عددها وعدد أفرادها ووظيفتها من زاوية إلى زاوية أخرى[73].

إن بعض الزوايا تنفرد ببعض الخصوصيات، كزاوية الأيلولي[74] التي يشرف عليها رئيسان متعاونان، أحدهما مكلف بشؤون الإدارة يسمى مقدم الثمن، والآخر مكلف بشؤون التعليم، ويتولى تسييرها مجلس يتكون من إثنى عشر عضوًا من طلبة الزاوية، وهذا

---

71 – سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة العربية في الجزائر في المنتصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة**، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، السنة الأولى، الجزائر، 1964م، ص46.

72 – أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا**، الجزائر، 1973م، ص153.

73 – جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1830–1500 م)**، الجزائر، 1987م، ص ص187-188

74 – هو أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد المصباحي الخردوشي الليلولي الزواوي، ولد حوالي 1030هـ/1601م.

المجلس هو صاحب السلطة في الداخل والخارج، وصاحب الحل والعقد، والعضو في هذا المجلس إذا أتم دراسته وغادر الزاوية يعوض ببعض آخر، لكنه يبقى محتفظًا بعضويته إلى أن يموت، فإذا جاء إلى الزاوية زائرًا لا يعامل كزائر أجنبي، بل يعامل كعضو في المجلس كما كان سابقا، ولو فارق الزاوية مدة طويلة يبقى محتفظا بحقوقه ومطالبا أيضا بواجباته كبقية الأعضاء، يشاركهم في أعمالهم ويحضر اجتماعاتهم ويطبق عليه قانون الزاوية.

إن الطلبة ينقسمون إلى مبتدئ، وهو كل طالب لم ينه سورة البقرة، ومتوسط وهو كل طالب خاتم سورة البقرة، ومنتهي وهو حافظ القرآن الكريم والمتفرغ لعلوم القراءات والتجويد، وهو المساعد للشيخ في تحفيظ القرآن، ومختصر خليل وغيره، أما الشيخ فيتفرغ إلى الشرح والتعليق والتوجيه.

إن ضمان نجاح الطلبة مرهون باحترام جدول أعمال الزاوية، وهو كما يلي :

1 – يستيقظ الطالب في الثلث الأخير من الليل لقراءة القرآن حتى الفجر.

2 – تلاوة الحزب الراتب جماعيا بعد صلاة الصبح.

3 – الاجتماع العام الصباحي تحت إشراف المقدم.

4 – القراءة في الألواح.

5 – وجبة الغذاء.

6 – دراسة العلوم حتى آذان الظهر.

7 – قراءة الحزب الراتب تحت إشراف المقرئ والمقدم.

8 – استراحة من العصر إلى المغرب لقضاء الحاجيات الشخصية.

9 – قراءة الحزب الراتب بمد الصوت ترتيلاً.

10 – قراءة فردية للقرآن.

11 – تناول العشاء، ثم إطفاء الأنوار والنوم[75].

3 – التعليم العالي :

---

[75] – محمد السعيد بن زكري، **أوضح الدلائل بوجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل**، الجزائر، 1913م، ص ص54-73.

إن مراكز التعليم العالي، كالجامع الكبير في العاصمة وفي وهران وقسنطينة وتلمسان، وفي مدارس وزوايا ابن علي الشريف والقيطنة والخنقة ومازونة وغيرها، كانت تطبق طريقة التدريس المشابهة لما كان في المرحلة الثانوية. وكان أستاذ التعليم العالي في العادة يلقي ثلاثة دروس يوميا، واحد في الصباح، وثان بين الظهر والعصر، وثالث بين العصر والمغرب، وكل درس كان يستغرق من ساعتين إلى ساعتين ونصف، وكان لكل أستاذ مسمع، وكانت كل حلقة مخصصة لدراسة كتاب معين، ويكون مسموحا لجميع الراغبين في الحضور والاستفادة لمدة زمنية قد تطول أو تقصر حسب الموضوع ومستوى الأستاذ والظروف.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المؤسسات كانت تستقلا بين خمسمائة وستمائة طالب، كما في زاوية القيطنة بمعسكر[76].

– الامتحانات :

لم يكن الانتقال من التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي، ثم إلى الجامعي واضحا كما لم يكن نظام الامتحانات معروفا في هذا العهد، وإنما كان الشائع هو دخول التلاميذ الكتاتيب في سن الخامسة تقريبا، وبعد ثلاثة أو أربعة أعوام يتم الطفل تعليمه الابتدائي، وتقيم له أسرته حفلة بهذه المناسبة، ويشارك فيها المعلم بتزيين لوح الطفل بآيات قرآنية، وفي نفس الوقت تقوم أسرته بطلي يديه ورجليه بالحنة، ثم يلبس حلة جديدة ويجلس في مكان عال، وتقدم له التهاني على نجاحه[77].

أما في المرحلة الثانوية والعالية، فكان الأستاذ يكلف الطالب النشيط بتكوين الطلبة الآخرين، وتقديم درس جديد أو إعادة درس كان قد شرح، فيرفع من جهة مستوى بعض العناصر من الطلاب، ومن جهة أخرى يتدرب على إلقاء الدروس، وفي النهاية يمنحه أستاذه إجازة.

---

[76] – المكتبة الوطنية الجزائرية، **مخطوطات الأمير عبد القادر**، رقم 09، بدون تاريخ.

[77] –Jean. Mac carthy. **Description géographique physique … par le docteur Shaw** ou, **voyage dans la régence d'Alger** .Paris 1830, p78.

إن الإجازة كانت مكتوبة، مقننة ومحددة بإشارة نوع العلم، مثل ما ورد في إحدى الإجازات الخاصة بالحديث النبوي ورواته وصحاحه وكتبه، وكل ما تعلق به[78].

كما كانت هناك إجازة خاصة لعدة علوم أو لكل العلوم، وبذلك يمكن للطالب

أن يلتحق بالتعليم ومراحله المختلفة، أو بالإفتاء أو بالقضاء، وغيرها من الوظائف المتوفرة في ذلك العصر[79].

– بعض المدرسين :

1. أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماص المازوني.

تأثر ودرس مؤلفات الخرشي والزرقاني وغيرهما، وألف حاشية على شرح الشمس المتنائي على المختصر، وغيرها في النحو واللغة، توفي سنة 1136هـ/1724م عن نيف وتسعين سنة.

2. أبو العباس أحمد بن الشيخ قاسم بن محمد المعروف بابن السلسي، البوني.

أخذ الدرس عن أبيه وعن يحي الشاوي والزرقاني والخرشي والشبرخيتي وخليل اللقاني، ودرس عنه ولداه محمد وأحمد وعبد الرحمن الجامعي وغيرهم، توفي سنة 1139هـ/1726م.

3. محمد بن أحمد الشريف الجزائري، نزيل قسنطينة.

اشتهر بالتدريس ومؤلفاته، كالقول المواطئ في شرح قصيدة الدمياطي، ومسك الحبوب في بعض ما نقل من أخبار أيوب، توفي سنة 1726/1139م

4. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري.

أخذ عن عبد القادر الفاسي وأحمد بن العربي بن الحاج وأبي عبد الله محمد المسناوي وميارة الصغير وغيرهم، وألّف شرح خريدة السيوطي وشرح النصيحة الزروقية، وشرح الحكم العطائية، وشرح الشمائل النبوية، وحواشي على البخاري وشرح الصلاة،

[78] – جمال قنان، **نصوص** ،مرجع سابق، ص 185.

[79] – سعد الدين بن أبي شنب،**النهضة**، مرجع سابق، ص19.

وشرح القواعد الزروقية، وحاشية على توضيح لبن هشام لم تكمل وغيرها، توفي سنة 1144هـ/1731م.

5. أبو البقاء الشاوي محمد بن يعيش الرغاوي.

أخذ عن الشيخ أبي عبد الله القسنطيني وأبي رحال ومحمد المسناوي وغيرهم، وتخرج على يديه الشيخ التاودي، وأبو العباس أحمد الجرندي، وأبو عبد الله الدكالي، ألّف حاشية على شرح التحفة لميارة سماها الكواكب السيارة، مات قتيلا بفاس على أيدي اللصوص سنة 1150هـ/1737م[80].

6. عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني.

أخذ عن أحمد زروق البوني وغيره، ودرس وتخرج على يديه المرتضى الزبيدي وغيره، وألف حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية، رسالة في تحريم الدخان، وكتاب في مباحث الاجتهاد، توفي سنة 1194هـ/1780م.

7. الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، البجائي[81].

درس على والده وأحمد الناصري وغيرهما، وألف شرح القدسية في التصوف للشيخ عبد الرحمن الأخضري، وشرح الوسطى للسنوسي، ونزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، وقد اشتهر هذا التأليف باسم الرحلة الورثلانية، توفي سنة 1194هـ/1780م.

8. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم الحسني الزواوي، شيخ الطريقة الرحمانية.

أخذ عن الشيخ الصعيدي والشيخ الدردير، والشيخ علي بن خضر العروسي، وشيخه الأكبر محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الخلوتي، تخرج علي يديه الشيخ علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف بالحدود التونسية الجزائرية، والشيخ عبد الرحمن باش تارزي، والشيخ محمد عزوز، ولد سنة 1123هـ/1720م وتوفي سنة 1208هـ/1794م.

9. أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد الشريف التيجاني، صاحب الطريقة التيجانية.

---

[80] – محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1981م، ص ص77-78.

[81] – الحفناوي، مصدر سابق، ص133.

كان عالمًا صوفيًا، له عدة أجوبة وفتاوى ورسائل في مختلف علوم الدين، وتخرج على يديه العديد من التلاميذ، ولد سنة 1150هـ/1737م وتوفي سنة 1230هـ/1815م.

10. أبو عبد الله محمد بن عزوز البرجي.

أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الأزهري وغيره، وألف رسالة المريد وشرحها، ولد سنة 1170هـ/1757م وتوفي سنة 1223هـ/1817م.

11. أبو عبد الله محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي.

أخذ عن أعلام الزيتونة ثم رجع إلى الجزائر، وتخرج على يديه ابنه أحمد الزواوي وغيره، وألف ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب، وشرح الأزهرية في النحو، وحاشية علي الصغرى في العقائد، وشرح البردة في المديح النبوي، وشرح السلم في المنطف، توفي سنة 1243هـ/1828م[82].

12. يحي بن صالح الأفضلي.

ولد ببني يزقن سنة 1120هـ/1708م، ودرس في جربة، واشتغل في التعلم حتى وفاته سنة 1223هـ/1808م.

13. علي بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن علي بن الأمين.

مفتي مدينة الجزائر، تعلم بالجزائر وبمصر، ودرس بالجامع الأعظم، وولي الإفتاء للمالكية بالجزائر العاصمة ستة مرات بين سنة 1206 و 1233هـ، توفي حوالي 1821م.

14. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز عبد الله الثميني.

ولد ببني يزقن سنة 1130هـ/1718م، درس بورجلان ومدرسة يحي بن صالح بوادي ميزاب، له 22 كتابا منها الورد البسام في رياض الأحكام، والتاج، وكتاب تعاظم الموجين في المنطق وعلم الكلام، وكتاب المصباح في الفقه والآداب وغيرها، تخرج على يديه العديد من التلاميذ وكان المرجع الأكبر في الفتوى عند الإباضيين، توفي سنة 1223هـ/1808م[83].

15. محمد بن الشاهد الجزائري.

---

82 – ابن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص80.

83 – الحفناوي، مصدر سابق، ص ص286-300.

ولد ونشأ بمدينة الجزائر، تولى الإفتاء على مذهب الإمام مالك سنة 1192هـ/1778م، لقد عاصر الورثلاني وابن حمادوش وأباراس الناصري، وكان مدرسًا بالمسجد الكبير وتخرج عليه الكثير، توفي حوالي سنة 1206هـ/1792م.

16. عمار بن شريط القسنطيني.

كان أديبا، وعالما بالحديث والفقه، تولى إفتاء المالكية وناضرًا للأوقاف بقسنطينة، واشتغل بالتدريس في مختلف علوم الدين واللغة وخاصة في البلاغة، توفي سنة 1250هـ/1835م.

17. محمد بن الطلحي القسنطيني.

لقد كان عارفا باللغة والنحو، وعالما بالفقه وأصوله، تولى الإمامة والتدريس بمسجد سيدي مسلم الحراري بقسنطينة، وكان مشهورًا بتقيد التقارير على هوامش الكتب المختلفة في اللغة العربية وقواعدها وعلوم الدين، توفي سنة 1232هـ/1817م.

18. محمد العربي بن عيسى أبو عبد الله القسنطيني.

ولد بقسنطينة وأخذ عن شيوخها، ثم تصدر للتدريس بمسجد سيدي الجليس، وولي النظر على الأوقاف والقضاء، إلى أن توفي سنة 1254هـ/1838م[84].

19. عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي الغريسي.

من فقهاء المالكية، كتب بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبن عامر، وكان يدرس بعواجة بمنطقة معسكر، تخرج على يديه الكثير مثل أبوراس الناصري الذي درس عليه مختصر الشيخ خليل وختمه، وبعد وفاته سنة 1192هـ/1778م، رثاه بقصيدة طويلة النفس[85].

20. حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى المقايسي. من كبار فقهاء الجزائر وعلمائها، أصولي مشارك في الكثير من العلوم الدينية، تعلم بالجزائر ومصر ودرس بمدينة الجزائر وأخذ عنه الكثير، وله تعليقات وحواشي على الكتب الفقهية وغيرها، توفي حوالي 1245هـ/1829م.

---

[84] – سعد الدين بن أبي شنب، مرجع سابق، ص39.

[85] – أبوراس، **فتح الإله**، مصدر سابق، ص21.

21. محمد بن أحمد بن عمر المنجلاتي.

أديب، لغوي، فقيه، أصولي، مشارك في عدة علوم، درس بمختلف مساجد مدينة الجزائر وله تصانيف في اللغة وعلوم الدين، توفي حوالي 1247هـ/1831م[86].

إن التعليم في الجزائر قبل الاحتلال كان في المؤسسات المختلفة، يقوم على الحفظ واستظهار المتن نظما ونثرًا في الفقه والحديث والأدب والرحلات، و لم تكن هناك مقررات وبرامج محددة على الطلبة يدرسونها في كل عام، وإنما يرجع ذلك إلى اجتهاد المدرس ونشاطه، حيث تحدد الدروس في شكل كتب دينية أو أدبية[87].

ونظام الامتحانات لم يكن معروفا في هذا العهد، وإنما كان الشائع هو أن يكلف الأستاذ الطالب النشيط بتكوين الطلبة الآخرين، وتقديم درس جديد، أو إعادة درس كان قد شرح، فرفع من جهته مستوى بعض العناصر من الطلاب، ومن جهة أخرى يتدرب على إلقاء الدروس، وفي النهاية يمنحه أستاذه إجازة خاصة لتدريس علم معين، أو عدد من العلوم أو إجازة عامة لتدريس كافة العلوم[88].

إن النظام السياسي الذي كان قائما في الجزائر، جعل من الجيش والضرائب أهم الوسائل لإخضاع البلاد والشعب، فنتج عن ذلك الجمود وأغلق باب الاجتهاد[89].

لكن التعليم الجزائري اعتمد على أيدي فقهاء وعلماء، حفظ للجزائر شخصيتها، ومكن من ظهور نهضة تعبير عن شخصيته و استمرار وجوده رغم مختلف الظروف.

---

86 – الحفناوي، مصدر سابق، ص ص140-295.

87 – المهدي بوعبدللي، "**الثقافة والتوجيه**"، محاضرة ألقاها في مؤتمر الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1974، ص7.

88 – سعد الدين بن أبي شنب، مرجع سابق، ص19.

89 – الفريد بيل **الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم** ترجمة عبد الرحمان بدوي دار الغرب الإسلامي. ط.2. بيروت 1981.ص. 364

الفصل الأول

الاحتلال الفرنسي وموقفه من التعليم الجزائري ومؤسساتـــه

1 – الاستيلاء على المؤسسات الدينية والتعليمية ومواردها

2 – موقف الجزائريين من تصرفات الاستعمار

3 – السياسة التعليمية الفرنسية، أهدافها ونتائجها

1 – الاستيلاء على المؤسسات الدينية والتعليمية ومواردها :

دخل الاستعمار الفرنسي الجزائر في 1830، وحرر قائد الحملة الماريشال دوبرمون معاهدة وقع عليها بعد ذلك حسين داي، وكانت تضم ستة بنود أهمها إثنان، وهما البند الذي يخص احترام الداي وأسرته والتعهد له بحمايته، والبند الخاص باحترام الدين الإسلامي والممتلكات. لكن هذه المعاهدة بقيت حبرًا على ورق، إذ لم يمر على احتلال البلاد أسابيع قليلة حتى نقضت. وأول شيء قام به الجيش الفرنسي هو إقامته واستقراره بالدور والمحلات التجارية والمساجد والقصور.

لقد كان عدد المساجد التي حولت إلى سكن للجيش[90] حوالي أربعين مسجدًا[91] وعدة مدارس ومعظمها بباب الوادي وباب عزون، وقام بعد ذلك الاستعمار بتهديم بقية المساجد والمؤسسات التعليمية، تحت ستار إصلاح المنطقة وتوسيع شوارعها، فكانت النتيجة الأولى لهذه التصرفات أنه لم يمر عام واحد على الاحتلال حتى ضُربت مؤسسات كثيرة .

وبالتالي فإن المؤسسات التعليمية بالجزائر تعرضت لمحاربة شديدة بمختلف الوسائل والأساليب، لأنها كانت تمثل عائقًا كبيرًا أمام توسع السيطرة الاستعمارية، وسياسة التجهيل والتنصير والفرنسة، وحورب رجال العلم والأئمة وشيوخ الزوايا، وحدد نشاطهم الديني والثقافي، وفرضت عليهم وعلى أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة[92].

ونفي الكثير منهم وشرّدوا إلى مناطق نائية داخل البلاد وخارجها، وأرغم البعض على الاشتغال بالجوسسة لصالح الشرطة الفرنسية، وتم إغلاق الكثير من الزوايا وهدم

---

[90] – كان عدد أفراد الجيش الفرنسي يزيد على الخمسة عشر ألف جندي.

[91] – مدينة الجزائر مثلا كان بها 166 مسجدًا وزاوية، بقي بها أقل من 10 بعد 1830، انظر :

أ – The statistical society of London, "**ān account of the French Africa**",vol. II, 1839, London, pp121-122.

ب – Albert De Voulx, op.cit.

ج – مجلة الأصالة عدد 8، ماي، جوان 1972، ص30-34.

[92] – المهدي، بو عبدالليي، "**الاحتلال الفرنسي للجزائر و مقاومة الشعب في الميدان الروحي**"، مجلة الاصالة عدد08 ماي جوان 1972ص 315

البعض منها، خاصة التي شاركت في مقاومة الاحتلال الفرنسي[93]، وانقسم بعد ذلك الرأي الفرنسي إلى قسمين، قسم يرى ضرورة القضاء على كل الزوايا باعتبارها مراكز تنطلق منها جميع الثورات[94]، وقسم آخر يرى ضرورة الاهتمام يكل ما يخص الزوايا والتقرب من شيوخ الطرق والحصول على ثقتهم، وهكذا تتمكن فرنسا من السيطرة على مجالات كثيرة.

إن فرنسا قد تمكنت من إضعاف نفوذ العديد من الزوايا عندما دخلت معها في مفاوضات، انتهت بإمضاء اتفاقيات مشتركة، اعترفت فرنسا بموجبها بالسلطة الروحية والأخلاقية للعائلات ذات النفوذ الواسع، وأمدتها بالأرض وساعدتها على بسط جاهها، وأعطتها صلاحيات اجتماعية واقتصادية على السكان وساندتها عند الحاجة[95]. واستعملت بعض الزوايا الأخرى كوسيلة لتحقيق بعض المشاريع التوسعية للاستعمار، وقامت بإجراءات تضعف بها دور الزوايا ومنها : تحديد المدارس القرآنية واحتكار التعليم فيها، توظيف بعض شيوخ الطرق في الإدارة الفرنسية[96]، منع الزيارات والصدقات وشددت الرقابة على الرسل الأجانب[97]، بالإضافة إلى مراقبة الزوايا مراقبة سرية وتقديم تقارير إلى الوالي العام.

إن أحسن مثال على تصرفات فرنسا بالمؤسسات الدينية والتعليمية، ما صنعته بجامع كتشاوة في العاصمة، إذ قام القائد العام للجيش الفرنسي الكونت دي بورمون بأمر الجيش الفرنسي دخول مسجد كتشاوة وهو مدجج بالأسلحة، فاستشهد الكثير من الجزائريين، وحوّل المسجد إلى كاتدرالية[98]، وبعد تعيين المارشال فالي واليا عاما على الجزائر، أمر بوضع الصليب على الكاتدرالية في 1839م[99].

---

[93] – البوعبداللي مرجع سابق، ص. 315.

[94] – Anonyme, **l'Algérie et son organisation en Royaume**, Alger 1852, pp47-56.

[95] – أبو القاسم سعد الله، "**مدارس الثقافة العربية في المغرب**"، دراسة مركزة على الجزائر، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد 9، القاهرة، 1978، ص52.

[96] – لمعرفة القائمة الطويلة انظر : Brodier, Jeaune, et André, **le livre d'or de l'Algérie**, Alger 1937, p191.

[97] – لقد استثنى الاستعمار تشديد الرقابة والمضايقة عن زاوية عين ماضي وزاوية سي علي بن عثمان الرحمانية.

[98] – الطاهر بوشوشي، "**تاريخ جامع كتشاوة**"، الأصالة، عدد 14/15، ماجي، جوان 1973، الجزائر، ص73.

[99] – إن هذا الحدث يدل على أن الجزائريين لم يتنازلوا عن مسجدهم بطيب خاطر، وأن السلطة الفرنسية بقيت من سنة 1832 إلى 1839، أي مدة سبع سنوات ولم تجرؤ على وضع صليبها إلا بعد أن اطمأنت على مصيرها.

بدأ الاستعمار الفرنسي في الاستيلاء على موارد التعليم منذ بداية حكم كلوزيل، الذي أحصى الملكيات وأصدر قرار يوم 8 سبتمبر 1830م، يقضي بمصادرة أملاك الأتراك[100]، ثم أوقاف مكة والمدينة، فاحتج الجزائريون وتراجعت فرنسا عن الاستيلاء على أوقاف مكة والمدينة، وبعد ثلاثة أشهر أصدر كلوزيل قرارًا آخر يوم 7 ديسمبر 1830م يقضي بضم كل الأملاك الدينية التي تشمل أوقاف مكة والمدينة والمساجد والزوايا إلى مصلحة أملاك الدولة.[101]

كانت الأوقاف العامة كثيرة بمدينة الجزائر،اذ قدر عددها في الأيام الأولى من الاحتلال ألفان وستة مائة (2600) ملكية وعدد غير قليل في المدن الأخرى، كقسنطينة ووهران، وهي أنواع مثلا في مدينة الجزائر هي كما يلي : أوقاف مكة والمدينة[102]، سبل الخيرات[103]، الجامع الكبير[104]، أوقاف الأندلس[105]، الانكشارية[106]، الميـــاه[107]، الطـــرق[108]، الزوايا[109].

وبمقتضى قرار 7 ديسمبر 1830م، أصبحت كل الأوقاف ملكا للدولة وتابعة لمصلحة أملاك الدولة (الدومين)، غير أنه أبقي على الوكلاء الذين كلفوا بجمع المداخيل وتسليمها إلى السيد (جيراردون) الذي عين مديرًا لإدارة أملاك الدولة، واختير لهذا المنصب لأنه كان يجيد اللغة العربية. ونظرًا لأهمية هذا المنصب، وضع إلى جانبه موظفون مدنيون يساعدونه في مهمته[110].وإن السلطة الفرنسية قد ترددت كثيرًا في تطبيـــق قـــرار 7 ديسمبر، ولم

---

[100] – وهي أملاك الداي والبايات والميليشيات التركية.

[101] - Pélissier de Reynaud, **les annales Algériennes**, Paris 1854, TI, p121.

[102] – من أهم الأوقاف ودخلها يساوي ثلاثة أرباع مؤسسات الحبوس يتم تقسيمها على فقراء مكة والمدينة ومدينة الجزائر.

[103] – تشرف على ثمانية مساجد بمدينة الجزائر وهي تابعة للمذهب الحنفي.

[104] – يشرف على أوقافه المفتي المالكي ويساعده ثلاثة وكلاء.

[105] – خاصة بإغاثة مسلمي الاندلس.

[106] – كانت الانكشارية تملك ثكنات وكل ثكنة مقسمة إلى مائة حجرة ولكل حجرة ممتلكات.

[107] – لها إدارة خاصة يسيرها أمين العيون.

[108] – كانت ملكيات تخصص عائداتها لإصلاح الطرق.

[109] – عددها تسعة عشر ولكل منها ملكيات خاصة.

[110] - Devoulx, **″ědifices religieux**, op.cit, p45.

تتمكن من تطبيقه تطبيقًا كليًا بمدينة الجزائر، وتمكنت من ذلك في مدينتي وهران وعنابة، بحجة أن البند الخامس من اتفاقية 5 جويلية 1830م يخص مدينة الجزائر فقط.

ولإضفاء الشرعية القانونية على استحواذ الفرنسيين على الأوقاف، جاءت عدة قرارات وقوانين تدعم قرار 7 ديسمبر 1830م، ومنها قرار بيجو الصادر في 23 مارس 1843م، والقاضي بوضع الأوقاف تحت سيطرة موظف فرنسي سامي بإدارة (الدومين)، وهذا لخدمة هدفين معا : اقتصادي، وهو الزيادة في الميزانية الفرنسية، وسياسي وهو السيطرة على أصحاب الرأي المضاد للوجود الفرنسي.

أما قرار أكتوبر 1844م فقد منع انتقال الأملاك من أصحابها الأوروبيين إلى المسلمين[111]، وتعمل السلطة على استمرار الاستفادة بها وتنشط الاقتصاد وتحمي مصالح الأوروبيين الدخلاء.

بهذه الطريقة حاولت فرنسا القضاء على الأوقاف التابعة للمؤسسات التعليمية، ولجأت إلى أكثر من ذلك في 30 أكتوبر 1858م، بقرار ضرورة انتقال الأوقاف من مسلم إلى يهودي، ولا يمكن أن تكون العكس وهذا للقضاء على قيمة الأوقاف التي يجب أن لا تبقى بأيدي أمينة تحافظ على المصلحة العامة، وهكذا فإن الأوقاف التي أصبحت بأيدي فرنسا وعملائها قد تطورت[112]، أما التي بقيت بأيدي الجزائريين فقد تدهورت وانخفض دخلها[113] بسبب تدخل السلطة الفرنسية في تسيير الأوقاف وأخطاء بعض الوكلاء الذين استعملوها لصالحهم الخاص، بالإضافة إلى عملية الاستيلاء والهدم ومبالغ كرائها الزهيدة، لأن معظمها كان يسيرها فقراء.

2 – موقف الجزائريين من استيلاء الاستعمار على موارد التعليم :

إن المجتمع الجزائري عامة رفض الوجود الاستعماري وقاوم سياسته وأفكاره الجديدة بكل إمكانياته، وخاصة بزعامة الفئة المتنورة المتخرجة من المؤسسات الدينية والتعليمية،

[111] - Delaut, Feraud, **le Habous dans le droit Musulman et la législation nord Africaine**, Alger 1938, p145.

[112] - Delaut, op.cit, p145.

[113] - Ministère de la guerre, **Tableau de la situation des établissements Français en Algérie**, Paris 1838, p225.

كالزوايا والمساجد والكتاتيب، ولقد بدأت المعارضة منذ البداية خاصة بعد قرار 7 ديسمبر 1830م، بزعامة الحاج محي الدين آغا العرب الذي طلب من الفرنسيين ضرورة إرجاع أوقاف مكة والمدينة وإعادة المساجد المختلفة إلى أهلها[114]، بالإضافة إلى ذلك رفض العلماء ورجال الدين والقضاة السياسة الاستعمارية وتذمروا مما حل بالأوقاف وقدموا العرائض إلى السلطة الفرنسية.

ومن الشخصيات الدينية الهامة التي وقفت أمام الممارسات الاستعمارية، المفتي محمد بن العنابي الذي كان على رأس الإفتاء، فكاتب الجنرال كلوزيل عدة مرات[115]، وانتقد أعماله التي خالفت شروط معاهدة جويلية، لهذا اعتبره كلوزيل عنصرًا خطيرًا على السلطة وأنه يحرض السكان على الثورة، فألقى عليه القبض وسجنه ثم نفاه[116].

أما حمدان خوجة[117]، فقد كان أيضًا من المعارضين للممارسات الاستعمارية، فكتب العديد من الرسائل والشكاوي، وذهب بعد ذلك إلى باريس في أوائل ماي 1833م، واتصل ببعض الجزائريين الذين نفاهم الدوق دي روفيقو، ومنهم بوضربة وأولاد بن تركية وإبراهيم بن مصطفى باشا، وقدم مع هذا الأخير مذكرة إلى الماريشال سولت وزير الحربية الفرنسية يوم 3 جوان 1833م، ضمنها الأخطاء التي ارتكبها العسكريون في الجزائر، وتشمل ثمانية عشر نقطة، وأغلب مواضيعها تدور حول عدم احترام الاستعمار للأماكن الدينية والمؤسسات التعليمية، وقام حتى بنبش القبور، ولم يحترم حتى عظام الأموات[118]. إن السلطة الفرنسية لم تبال بهذه الاحتجاجات، بل ساندت مرتكبي الأخطاء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[119].

---

[114] - Le Baron Pichon, **Alger sous la domination Française son état présent et son avenir**, Paris 1833, p444.

[115] - Clauzel, **Observation du général Clauzel sur quelques actes de son gouvernement d'Alger**, Paris 1831, p108.

[116] – أبو القاسم سعد الله، **المفتي الجزائري ابن العنابي**، الأصالة، عدد 31 مارس 1976، ص ص 38-39.

[117] – تآخى مع الفرنسيين وتقلد مناصب في بداية الاحتلال، من بينها الإشراف على لجنة لتقدير تعويضات الأملاك المهدمة.

[118] – حمدان خوجة، مرجع سابق، ص237.

[119] – عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871)**، تونس 1972، ص69.

إن مفتي المالكية مصطفى الكبابطي، كان من بين الذين عارضوا قرار بيجو بضم الأوقاف إلى أملاك الدولة، الصادر في 23 مارس 1843م، فنفي بسببه بدعوى التمرد والعصيان، وقام بعد ذلك بيجو بوضع الأملاك التابعة للجامع الكبير وكل الموظفين التابعين له تحت سلطة (الدومين)، وسيطر على معظم مداخيل الأوقاف.

لقد تأزم الوضع بين السلطة الفرنسية والكبابطي، وأنه اتهم ونفي بسبب معارضته لقرار بيجو، وكذلك بسبب قضية التعليم ورفضه للأساليب الفرنسية، إذ بعد ضغط السلطة طلب مهلة لعرض الموضوع على المعلمين والآباء والتلاميذ، وأراد الفرنسيون الضغط عليه وتخويفه فزجوا بابن أخيه أحمد بن عاشور في السجن، لأنه كان يدير مدرسة الجامع الكبير، بالإضافة إلى ذلك، أهان المفتي معلما فرنسيًا جاء لزيارته واستمر في إصراره، فاستدعى المعلمين وأبلغهم نوايا الاستعمار وهو تعليم اللغة الفرنسية مدة ساعة في مدارسهم القرآنية، لكن المعلمين رفضوا وكان مصير المفتي مصطفى الكبابطي كما أشرنا سابقا[120].

– وضعية التعليم الجزائري بعد الاحتلال :

مما لا شك فيه أن الحرب التي شنتها فرنسا على الجزائر، كانت لها انعكاسات خطيرة ونتائج سلبية على الميدان الثقافي والتعليمي، الذي كان مزدهرًا قبيل الاحتلال. فلقد كان من نتائج الحرب الاستعمارية تدمير المؤسسات التعليمية، وتشريد المدرسين، وتشتيت التلاميذ، وتوقيف نشاط الزوايا والمساجد والكتاتيب، والاستيلاء على المصادر المالية لمختلف المؤسسات، بالإضافة إلى ما أصاب الكتب والمخطوطات من سطو وتلف وتدمير، لهذا تغيرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمعلمين، وتدهورت حالتهم وهاجر البعض منهم بسبب الوجود المسيحي في البلاد[121].

---

[120] – أبو القاسم سعد الله، "**قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843، موقف المفتي الكبابطي من الأوقاف واللغة**"، مجلة عالم الفكر م16، العدد الأول، أفريل، ماي، يونيو، الكويت، ص ص252-253.

[121] - Yvone. Turin, **Affrontement culturels dans l'Algérie coloniale écoles, médecines religion 1830 – 1880**, Alger, 1983, p p121-122

لقد شهدت كل من العاصمة وضواحيها والغرب الجزائري وشرقه نفس الآثار السلبية، وأما المناطق الصحراوية قد كانت بعيدة عن الاحتلال خلال فترة السنوات العشرين الأولى من الاحتلال، حيث ظلت مستمرة في نشر رسالتها التعليمية.

ومما زاد تدهور وضعية التعليم هو أن الأفراد والعائلات التي كان التعليم قائما على عاتقها، والتي كانت تمونه من جيوبها ومالها، أصبحت في ظروف الاحتلال القاسية غير قادرة على تحمل عبء هذه المسؤولية المادية، لأن الاستعمار الفرنسي سلب منها ثرواتها[122].

فالعشرية الأولى من الاحتلال الفرنسي تميزت بتردد ملكية جويلية، في تطبيق الاستعمار المحدود أو الاستعمار الكامل، وهذا بسبب اصطدامها مع مقاومة الشعب الجزائري في كافة الميادين[123]، لكن بعد سقوط مقاومة الأمير عبد القادر[124] وأحمد باي، فكرت فرنسا في تطبيق الاستعمار الشامل، وبدأ بيجو بحرق وتدمير كل ما له صلة بالجزائر والجزائريين.

ويمكن أن نختم بما قامت به فرنسا بنشر رسالتها الحضارية، حيث تقهقر المجتمع الجزائري[125] وضعف مستواه التعليمي، وحاولت بعد ذلك إيجاد بديل لإحكام سيطرتها على الجزائر، وسيتضح لنا ذلك في العنصر القادم.

3 – السياسة التعليمية الفرنسية مفهومها وأهدافها :

تعتبر السياسة التعليمية نوع من الغزو الفكري الذي يعمل على استمرار وتوسع الاستعمار، لأن فرنسا بعد أن وجدت صعوبة في استعمال سياسة السيف والمحراث، رأت من الضروري الاعتماد على التعليم، لأن استعمار العقول هو الضمان الوحيد للسيطرة على

---

122 – شارل، ر. آجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، بيروت 1982، ص36.

123 – نتيجة صمود الشعب الجزائري سقط ستة حكام عسكريون من 1830 إلى 1834، وهم : دوبرمون، كلوزيل، بيرتزين، دكوق دي روفيقو، فيزار فوارول.

124 – بعد سقوط مقاومة الأمير عبد القادر جاء دستور 1848م واعتبر الجزائر امتدادًا طبيعيًا لجنوب فرنسا.

125 – كان عدد سكان الجزائر في 1830م حوالي ثلاثة ملايين وأصبح بعد 1858 مليونين نسمة.

الجزائر[126]. لهذا أنشأت فرنسا بعد ثورات 1848م لجان تدرس قضية تعليم المسلمين الجزائريين لتضمن استقرار البلاد وتدعم هذا بعد صدور مرسوم رئاسي في 14 جويلية 1850م، الذي هلل له العديد من القادة العسكريين واعتبروه من أنجع الوسائل لحكم الجزائر، وخاصة بعد نشر معرفة اللغة الفرنسية وتعميمها في أوساط السكان، لأنه حسب رأيهم بناء مدرسة أحسن وأفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن، وفي حقيقة الأمر كانت تهدف فرنسا في البداية إلى تجهيل الشعب الجزائري، وفي هذا الصياغ يقول المفكر روجي غارودي : "إن الاستعمار قد فهم مبكرًا أن شعبًا بلا تعليم ولا ثقافة لا يكلف معركة كبيرة"[127].

إن موضوع التعليم كسياسة استعمارية لم يصبح موضوعا للدراسة والعناية إلا بعد سنة 1850م، وخاصة في العهد الإمبراطوري الذي تصور بأن التعليم وحده كاف لمزج العناصر البشرية المختلفة (العربي – الأوروبي)، وذلك باختلاط الأطفال في المدارس، وبدأ العمل بهذا في المراحل الابتدائية، فتأسست المدارس العربية الفرنسية وحاولت فرنسا السيطرة على المؤسسات التعليمية الجزائرية وتوجيهها لخدمة مصالحها.

لقد تظاهرت فرنسا أحيانا بأنها لا تنوي القضاء على التعليم الجزائري، بل تريد إصلاحه وتطويره، وهذا تخوفًا من غضب الشعب ومقاومته، فإذا كانت قد أسست بعض المدارس فإنها لم تكن تسمح لأي كان بأن يلتحق بها خوفا من تطور المستوى الفكري للجزائريين، وما ينجر عنه من مخاطر للسياسة الاستعمارية، لهذا توجهت إلى بعض العناصر التي تثق فيها وتعمل لمساعدة استمرار الاستعمار في الجزائر، وعموما قد مرت السياسة التعليمية الفرنسية في المنتصف الأول من القرن التاسع عشر وبداية المنتصف الثاني منه بمرحلتين، وهما المرحلة الجمهورية والمرحلة الإمبراطورية.

إن عهد الجمهورية الفرنسية الثانية (1848م – 1852م)، قد تميّز بإصدار مرسومين لتجسيد سياسة تجهيل الجزائريين، فكان الأول في 1850.07.14م، ويخص المدارس العربية

126 – اتخذ الاستعمار المدرسة والدين كوسيلة للسيطرة على الجزائر، وللمزيد من التفاصيل انظر : Turin نفسه، ص218.

127 – روجي غارودي، **حول الحضارات**، منشورات عويدات، 1970، ص48.

الفرنسية، أي المدارس العلمانية الخاصة بالمناطق المدنية في المدن الكبرى. أما المرسوم الثاني فكان في 1850.09.30م[128]، ويخص تأسيس وتنظيم المدارس العربية الإسلامية، وبقي تعليم الجزائريين عمومًا محدودًا وضعيفًا.

أما عهد الإمبراطورية (1850م – 1870م)، فقد كانت السياسة التعليمية فيه تهدف إلى نشر التعليم بين أوساط معينة من المجتمع[129]، لتكون ميدان تجربتها الاستعمارية وتتمكن من خلالها من تحويل المجتمع الجزائري العربي المسلم إلى مجتمع فرنسي، ويتم بعد ذلك إلحاقه مباشرة بفرنسا وتصبح الجزائر امتداد طبيعي لجنوب فرنسا، ولقد ركزت فرنسا كثيرا على هذا الجانب، لأن الجزائر مستعمرة من نوع خاص تختلف عن المستعمرات الفرنسية الأخرى فيما وراء البحار.

لهذا، ركزت المدرسة الاستعمارية على البرامج التعليمية، التي تعمل على بلبلة أفكار الجزائريين وتشكيكهم في عروبتهم وإسلامهم، فوسعت وزادت من نشاطها التعليمي، إذ صدر مرسوم 1863.10.31م، ينص على تأسيس منصب مفتش عام للمؤسسات التعليمية الخاصة بالجزائريين لكل الجزائر[130]، وارتفع عدد المدارس الخاصة بالذكور في سنة 1864م إلى حوالي ثمانية عشر مدرسة بها ست مائة وستة وأربعون تلميذًا (646)[131].

وفي سنة 1866م فتحت مدارس أخرى خاصة في منطقة وهران، وأصبح عدد المدارس العربية الفرنسية في 1870م هو ستة وثلاثين مدرسة في الجزائر كلها[132].

لقد تطور الاهتمام بالتعليم في سنة 1865م، أي بعد زيارة نابليون الثالث للجزائر ومحاولات الحاكم العام ماك ماهون وطلبه الموافقة من رئيس مديرية التربية والتعليم بالجزائر

---

[128] - G. Benoit, **de l'instruction et de l'éducation des indigènes dans la province de Constantine**, Paris 1886, p44.

[129] - Ibid.

[130] - Benoit, op.cit, p45.

[131] – كان عدد التلاميذ 353 تلميذًا في ولاية الجزائر و 293 في ولاية قسنطينة.

[132] – كانت واحد وثلاثين مدرسة في المنطقة المدنية وخمس مدارس في المنطقة العسكرية، وكان عدد تلاميذها 1300 منهم 50 إناثا. انظر :

M. Cheffaud, **Documents Algériens**, série politique n°11 année 1947, p2.

السيد دولاكرو في أن تكون البرامج التعليمية في المدارس العربية الفرنسية، مشابهة للمدارس الفرنسية مع التركيز على إعطاء مكانة خاصة للغة العربية والتعليم الإسلامي.

إن محاولات ماك ماهون كانت فاشلة، لأن الشعب الجزائري استمر في مقاومته للمدرسة الفرنسية التبشيرية، التي تجاهلت وتناست اللغة العربية واستمرت في عدائها الشديد للتعليم الديني الإسلامي، الذي يمثله عقبة استمرار توسعها.

إن الحاكم العام ماك ماهون لم يستسلم وحاول من جديد بعث المدارس العربية الفرنسية، فأصدر منشورًا في 1867م يقضي بتوسيع المدارس البلدية وفتحها أمـــام الجزائريين[133].

لكنه وجد معارضة شديدة من المجالس البلدية، التي رفضت استقبال التلاميذ الجزائريين، كما امتنعت عن إنقاذ المدارس العربية الفرنسية وإمدادها بالقروض والمساعدات المالية. وظهرت بعد ذلك أفكار كثيرة لمحاولة تطبيق السياسة التعليمية، إذ كان الضباط العسكريون بالمكاتب العربية[134]، يرون في توزيع الملابس وتقديم الإعانات المادية للتلاميذ وتشجيع المتفوقين بإقامة حفلات خاصة بهم، هو عامل من عوامل نجاح المدرسة العربية الفرنسية، أما المدنيون فكانوا يرون القوة والبطش هما الوسيلتان اللتان تضمنان التحاق التلاميذ الجزائريين بهذه المدارس، وبالرغم من ذلك ظلت نسبتهم قليلة[135]. أما التلاميذ غير الجزائريين فقد زاد عددهم وارتفعت نسبتهم في هذه الفترة إلى 19,2%، وأصبح لكل بلدية مدرسة ومدرس لكل أربعين تلميذًا[136]، بالإضافة إلى السياسة التعليمية التي بدأت بعد 1850م، فإن هناك محاولات قد بدأت منذ بداية الاستعمار.

لأن السياسة التعليمية كانت رسالتها العاجلة هي تكوين جزائريين، يكونون واسطة بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي، لهذا اقترح جونار في 1831م ضرورة تعليم

---

[133] - Rey Goldzeiguer, **Le Royaume Arabe (1861 – 1870)**, Alger 1977, p19.

[134] – المكاتب العربية هي خلية تجسس وأداة لتفرقة الجزائريين بلغ عددها 1870 تسعة وأربعون مكتبا.

3- شارل، روبير،اجرون،**الجزائريون المسلمون و فرنسا (1871-1919)** دار الرائد للكتاب نقلها الى العربية م. حاج مسعود ا. بكلي الجزائر، 2007الجزء1، ص. 59

[136] – يذكر أنه في فرنسا كان مثلا بباريس مدرسًا لكل 62 تلميذًا، وأن نسبة التعليم في سويسرا كانت 15,5%، انظر :
De Slave, **l'instruction publique en Algérie**, Alger 1878, p7.

المسلمين الجزائريين اللغة الفرنسية والفرنسيين تعليم اللغة العربية، لكي يستطيع الاستعمار التوغل والتوسع بعد معرفة ثقافة الجزائريين والحد من خطر بعض
المتعلمين الجزائريين، المتخرجين من الزوايا والمساجد والمستمرين في مقاومة الاستعمار[137].

وفي هذا الإطار، أكد الدوق دو روفيڤو في أكتوبر 1832م بأنه قد فتح مدرسة في مدينة الجزائر جمع فيها بعض الأطفال الجزائريين مع الفرنسيين والإسبانيين والإيطاليين واليهود، وهذا لإنتاج مجتمع موحد الأفكار قابل للاستعمار وللحضارة الفرنسية. وفي سنة 1833م قررت السلطات الفرنسية ضرورة فتح مدارس بمدينة الجزائر ووهران وعنابة ودالي ابراهيم والقبة، وذلك لتكوين مدرسين ورجال دين توليهم بعد ذلك مهمة الإفتاء والقضاء والتدريس والترجمة والإمامة في المساجد، بالإضافة إلى الإدارات الفرنسية الثانوية[138].

إن المدارس التي أقامتها فرنسا في البداية، كانت تعرف باسم مدارس أطفال الأعيان لأنها كانت لأبناء الموالين للاستعمار، وكان يهدف إلى إقناعهم بأن الاحتلال الفرنسي جاء لنشر رسالة حضارية، وأن وجوده أصبح ضروري ويجب العمل على استمراره. وبعد ذلك دعا بعض الفرنسيين إلى عدم تقديم التعليم النظري العلمي، وإنما يجب التركيز على التعليم الصناعي الزراعي البسيط، وفي سنة 18 39م تكونت لجنة لكتابة وترجمة بعض الكتب الفرنسية إلى اللغة العربية، لتوجيه التعليم اليدوي المهني، لأنه أصبح تكوين المدرسين والقضاة والكتاب والموظفين غير كاف لخدمة المستعمر واستمرار توسعه، وشجعت الدراسات الاجتماعية الخاصة بسكان الجزائر[139] للتشكيك في أصلهم، وانتمائهم العربي الإسلامي والتمهيد للتغلغل وتحقيق أهداف السياسة التعليمية، وهي الفرنسة والتنصير والإدماج.

1 – أهداف السياسة التعليمية :

[137] - Turin, **Affrontements**, op.cit p36.
[138] - Turin, **Affrontements**, op, cit p41.
[139] - Ibid, pp 48-49.

أ – سياسة الفرنسة : هي سياسة هدفها الأساسي إبعاد اللغة العربية والثقافة الجزائرية، وإحلال مكانها اللغة الفرنسية والثقافة الاستعمارية، وهذا لتقطع الروابط الحضارية التي تشد الجزائريين ببعضهم البعض، وتربط الجزائر بالعالم الإسلامي.

ليس هذا فقط، بل كان الفرنسيون يعملون جاهدين لتكون الجزائر هي نفسها فرنسا، فكما أشرنا سابقا اعتبرها قانون 1848م قطعة وأرضًا فرنسية تخضع للقوانين الفرنسية، وأنها امتداد لفرنسا الجنوبية[140].

وأراد نابليون الثالث في سياسته المشهورة بالمملكة العربية، أن يفتح أمام الجزائريين باب المواطنة الفرنسية، وفي سنة 1865م أصدر قانونًا يحدد الوضع الجديد للجزائريين، فهم يعتبرون جميعًا رعايا فرنسيين يخضعون في الخارج لحماية قناصل فرنسا[141]، لكنهم لا يتمتعون بنفس حقوق الفرنسيين إلاّ بعد التجرد عن أحوالهم الشخصية وإتباع القانون الفرنسي في الأحوال المدنية[142]. ركزت السياسة الاستعمارية على إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية[143]، وأن تصبح الجزائر جزءًا من فرنسا، وعندما وجدت صعوبة في تحقيق ذلك في كامل التراب الجزائري، ركزت جهودها على منطقة القبائل بحجة أن عاداتها وتقاليدها تختلف عن المناطق العربية، وهذا لتتمكن من بناء النظرية العنصرية الاستعمارية الفرنسية، التي تدعي بأن العناصر القبائلية من أصل أوروبي وليس عربي[144]، لكن هذه السياسة أثبتت فشلها أيضا و لم يستطع الاستعمار تأسيس مدارس بالقبائل بسبب استمرار المقاومة.

140 - Jean. Mélia, **la France et l'Algérie**, Paris 1919, p62.

141 - Ibid, p64.

142 – لم يطلب هذا التشريع الجديد إلا مائة وستين من الجزائريين حتى أواخر سنة 1890م.

143 – كثيرًا ما كان خريجو المدارس الفرنسية يؤكدون بأنهم أصبحوا نصف فرنسيين لأنهم يتكلمون اللغة الفرنسية. لكن في الحقيقة استمروا في الدرجة الثانية في معظم الميادين. انظر : تركي رابح، التعليم والشخصية الوطنية، الجزائر 1975، ص106.

144 – آجرون،**الجزائريون المسلمون** ،مرجع سابق، الجزء الأول، ص595.

استمر الاستعمار في عملياته، وحاول تطبيق فكرة ازدواجية اللغة، وهذا لسد الطريق والوقوف في وجه تطور اللغة العربية، وبلبلة أفكار أبنائها، بالإضافة إلى ذلك تكوين صراع طبقي اجتماعي بسبب اختلاف اللغة وطريقة التفكير والعمل والموقف من الاستعمار.

لجأت أيضًا سياسة الفرنسة إلى تغيير أسماء المدن والقرى والشوارع والساحات، بأسماء فرنسية أو حتى رومانية، وذهب أكثر من ذلك، ففي 1882م ظهر قانون الألقاب والأسماء الجديدة، وكان الهدف هو القضاء على المجتمع ودينه ولغته وعاداته وتقاليده، لكن الجزائريين رفضوا ذلك لأنه جزء من مقاومة الاستعمار ككل، وتمسك الشعب بهويته، وسنرى ذلك بعد التطرق إلى بقية أهداف السياسة التعليمية ومصيرها، ومنها سياسة الإدماج.

ب – سياسة الإدماج : اعتبرت المدرسة الوسيلة التي تدخل الجزائريين في الحضارة الفرنسية، وتحقق بسهولة التحكم فيهم، ويؤكد ذلك ما أشار إليه الجنرال هوت بول في 1850م، إذ يقول : "إن أنجع الوسائل لإقرار الأمن هو إدماج الجزائريين في المسيحية"[145].

كان هدف الاستعمار هو تكوين مجتمع فرنسي في الجزائر، يكون خاضعا ومستجيبا لحاجياته وحاول ذلك باستعمال سياسة الحرب والتدمير والتجويع، وجاء بعد ذلك بشتات من الأوروبيين الذين قدمت لهم المساعدات والتسهيلات الكثيرة[146]، ثم لجأت فرنسا إلى إدماج ملكيات الجزائريين وذلك بقوانين جديدة أو بالقوة، وعملت على القضاء على نظام الحبوس ذي الطابع الاقتصادي الاجتماعي التضامني، وهكذا تدهورت أوضاع الجزائريين اقتصاديًا، وانتشرت البطالة والبؤس والشقاء وتطور نظام الخماسة. إن الاستعمار اعتقد أن إدماج ممتلكات الجزائريين تؤدي بالضرورة إلى إكراه الجزائريين وقبولهم بفكرة الاندماج، لكنه لم يفلح في ذلك، فلجأ إلى مساعدة فئة من العملاء لتكون واسطة بينه وبين المجتمع الجزائري[147].

---

145 – حكم الجنرال Haut Paul (10-1850/12-1851)، انظر :

J.P ,″Algérie Gouverneurs (1830 – 1881), **liste chronologique″**,″Revue Africaine 1887, n°31, p427

146 - De Tocqueville, **travail sur l’Algérie 1841**, Paris, TIII, p217.

3–اجرون،**الجزائريون المسلمون**،الجزء الاول، مرجع سابق ص. 582

ركّز الاستعمار على هذه الفئة ووظفها في الجيش والمدرسة، وأمدها بمختلف المساعدات حتى كوّن البعض طبقة البورجوازية الخبيثة تخرب بيتها بيدها، وتعمل على ضمان الاستعمار. لقد عارض كثير من الفرنسيين هذه السياسة واعتبروا عملية الإدماج هي وسيلة القضاء على الاستعمار في الجزائر[148]، لأن بعض الجزائريين سيحاولون الحصول على نفس الحقوق مع الفرنسيين ماديًا ومعنويًا.

إن أمام هذا الضغط، سمحت فرنسا لبعض الجزائريين الراغبين في الاندماج والذوبان في الشخصية الفرنسية، بشرط التخلي عن الأحوال الشخصية الجزائرية والابتعاد عن كل العادات والأسرة والمجتمع، وأصبحت هذه الفئة تمثل خيانة كبرى للمجتمع والوطن، لهذا أدرك بعض الجزائريين أن سياسة فرنسا تهدف إلى استغلالهم، فأعرضوا عن مدارسها الإدماجية ولم تنجح إلا على الأرض التي اعتبرتها فرنسية، أما الإنسان الجزائري فبقي مقاومًا لمختلف محاولات الاستعمار ومتمسكًا بمقوماته، ويؤكد ذلك ما أشار إليه الجنرال بيجو عن الاندماجيين الجزائريين فيقول : "إذا طبختم رأسًا عربيًا وآخر فرنسيًا في قدرة واحدة خلال ثمانية أيام ستعطيكم حسائين مختلفين"[149].

ج – سياسة التبشير : التبشير يوحي ظاهره بشيء فيه فرح وفيه اطمئنان، لكن باطنه عملية تضليل وتنفير للجزائريين عن مقوماتهم وشخصيتهم، واتسم ذلك بتعاون رجال الكنيسة مع العسكريين الفرنسيين، واعتبر احتلال الجزائر في عام 1830م فتحا مسيحيًا وبداية وعودة أمجاد الماضي، وتحقيق الحلم القديم، وهو حلم إفريقيا المسيحية.إن من الأعمال الأولى التي قامت بها الكنيسة بعد انتصابها فوق أرض الجزائر، هي كتابة تاريخ الكنيسة الإفريقية والعودة إلى العهدين الروماني والبيزنطي[150]، لتعطي رسالتها التبشيرية الجديدة أسسًا تاريخية تعود إلى قرون بعيدة، وكانت ترى بأن الفتح الإسلامي في الجزائر خطأ لا

1-اجرون،**الجزائريون المسلمون**،مرجع سابق، ص 584

2-عبد القادر، حلوش، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر (1871–1914)**،الجزائر 1999،ص. 80 .

[150] – من أبرز الرهبان الذين كتبوا عن الكنيسة الإفريقية : Jean Mesnage**, le Christianisme en Afrique**, 2 tomes, Paris ،1915.

يغتفر[151]. وأكد في هذا الصياغ شارل العاشر في 02 مارس 1830م بأن هدف الحملة الفرنسية يجب أن يقدم فائدة كبرى للمسيحية.

إن قائد الحملة الفرنسية دوبرمون (De Bourmont) قد جلب معه ستة عشر قسيسًا، وأعلن أمامهم عن إعادة فتح باب المسيح في إفريقيا ونشر تعاليمه الحضارية في هذه المنطقة من جديد، وبدأت عمليات النهب والتدمير وتحويل المساجد إلى كنائس وإلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية والاستيلاء على الأوقاف[152].

لقد نشطت الكنيسة بعد احتلال الجزائر، وظهرت جمعية المبشرين وجاء قانون الأبرشة في سنة 1849م، الذي نص في أحد بنوده على ما يلي : "... يجب أن لا ينسى الرهبان رسالتهم الأصلية لدى سكان الجزائر، وهي تنصيرهم عندما تحين الفرصة، ولذا يجب عليهم تعلم اللغة العربية والقرآن ودراسة عادات الأهالي وتقاليدهم، حتى يتمكنوا من اطلاعهم على الجانب الغالط واللاأخلاقي في عقيدتهم"[153].

وهكذا، فإن المبشرين كانوا يقومون بدور بارز ويحضرون لعملية الاستعمار الكامل، ومن أشهرهم فرانسوا بورغاد (1806م – 1866م)، والذي ألف عدة كتب منها "مفتاح القرآن" الذي يمجد فيه مشاريع الحكومة الفرنسية، بأنها تهدف إلى تحسين حالة الجزائريين، ومن جهة أخرى هاجم المقاومين الجزائريين خاصة الأمير عبد القادر، إذ ادعى بأن أعماله تضر بمصالح الجزائريين والإسلام أكثر مما تنفعها[154]، وكان هذا الأسلوب تمهيدًا لتشويه مقومات الجزائريين ونشر المسيحية.

---

[151] – عبد الجليل التميمي، "**التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م**"، المجلة التاريخية المغربية 1974، عدد 1، تونس، ص14.

[152] – نفسه.

3–نفسه ،ص .15

4-Jean. Tournier**, le cardinal Lavigerie et son action politique**, Paris 1913 p228.

ومن الذين تزعموا الكنيسة أيضًا ودعموا الاستعمار، الكاردينال لافيجري[155] (1825م – 1892م)، أسقف الجزائر، إذ كان يعتبر بأن نشر المسيحية ركن أساسي في البناء الاستعماري الذي تنشده فرنسا، فالكنيسة وفرنسا متحدتان لإحياء أمجاد الماضي.

وهنا يرتقي لافيجري ويصبح ممثلا لسلطة الكنيسة وتصبح له سلطة تفوق السلطة السياسية والعسكرية، ويظهر ذلك من خلال المعارضة الشديدة للماريشال ماك ماهون، وتحفظ الإمبراطور نابليون الثالث فإنه يواصل سياسته التبشيرية[156]، خاصة بعد انتشار مجاعة سنة 1868م، حيث استغلها وأنشأ مأوى للأرامل واليتامى بمنطقة الشلف، وأراد أن تصبح قرى عربية مسيحية.

وكلف رجال طريقته الجديدة (جمعية مبشري إفريقيا) المعروفة بالآباء البيض، بجمع الأطفال اليتامى ليوزع عليهم الخبز أولا ثم ينصرهم، واستطاع أن يجمع حوالي 1753 يتيمًا، وبعد انتهاء آثار المجاعة تخوفت السلطة الفرنسية من ثورة الجزائريين، فتدخل الحاكم العسكري ماك ماهون لإرجاعهم إلى أهاليهم، فرفض الكاردينال لافيجري ذلك[157].

إن الكنيسة كانت في معظم الأحيان هي صاحبة السلطة في تحديد نطاق التعليم والتحكم في نوعيته، حتى وإن كانت ظاهريا تبدو بأنها مرتبطة وتابعة لسلطة العسكريين، وعمومًا كان المبشرون والعسكريون والإداريون كلهم متفقين على استمرار استعمار الجزائر، وكان لكل فريق نظرته الخاصة إلى التعليم، إذ كان المبشرون يركزون على الدعاية الدينية، ويهتمون بإشعار التلاميذ الصغار بأن انتماءهم إلى المسيحية سيحسن من وضعيتهم في حياة الدنيا، ويجازون أحسن الجزاء في الآخرة.

---

[155] – انتقل إلى الشام في 1860م بعد حادثة الدروز والمارونيين، وقدم إعانات مالية للمسيحيين جمعت من أوروبا، زار الفاتيكان وفكرته هي أن الإسلام هو أخطر أعداء المسيحيين يجب القضاء عليه، كرمته فرنسا بوسام الشرف في 1861.02.08م وأصبح بعد 15 ماي 1867 أسقفا للجزائر، انظر: Tournier, op,cit, p228.

[156] - Baunard, **le Cardinal Lavigerie**, Paris 1897, TI, p38.

[157] - Ibid, TI, p39.

أما السلطة الإدارية والعسكرية، فكان همها منصبا على تعليم الجزائريين اللغة الفرنسية، أو حرفة يدوية[158].

وهكذا نرى أن التربية الأخلاقية، هي الشعار الذي يركز عليه المبشرون لإعداد بعض الجزائريين، لتولي مناصب دينية صغيرة في الكنائس، بينما كانت السلطة الاستعمارية تسعى جاهدة لإعداد موظفين بسطاء يحققون بعض حاجيات الاستعمار[159].

إن مع وجود هذه الاختلافات لا بد من التأكيد على أن هناك هدفا مشتركا بين المبشرين والإداريين، وهو أن التعليم يعتبر وسيلة لتحقيق هدف الاستعمار وضرب مقومات الجزائريين، وخاصة منها اللغة العربية والدين الإسلامي[160].

لم تفلح فرنسا في الوصول إلى عقول الجزائريين، بالطرق العاطفية الدينية التي يتزعمها الآباء البيض، الذين لم يكن لهم من البياض إلا بياض الثياب وسواد القلوب ونقمتهم على الشعب الجزائري. ويؤكد هذا الفشل ما أشار إليه المستشرق "جاك برك" فيقول : "إن عدد الجزائريين الذين اعتنقوا المسيحية في عهد لافيجري لم يبلغ ألف جزائري، رغم الوسائل الكبرى التي سخرها، ومساندة النظام الاستعماري واستغلال لافيجري لانتشار المجاعة والأوبئة، في سبيل تحقيق خطته"[161].

2 – نتائج السياسة التعليمية :

لقد ركزت السياسة التعليمية على محو السمات المميزة للشعب الجزائري، فهاجمت الثقافة العربية الإسلامية وأرادت تحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسية، فأدى ذلك إلى انتشار التخلف والضعف، وظهرت بعد ذلك فكرة نشر الحضارة في الجزائر والقضاء على الثقافة

[158] – حوليات الجامعة التونسية، العدد 8، تونس 1971ص151.

[159] – نفسه، ص149.

[160] – نفسه.

[161] - J. Berque, **le Maghreb entre deux guerres**, Paris 1962, p254.

المحلية، لأنها وقفت بحزم في وجه المشروع التوسعي الاستعماري[162]. وكانت نتائج هذه السياسة ضعيفة جدًا و لم تستطع التأثير إلا على أقلية من العملاء وبعض الوطنيين[163].

إن كل القوانين والقرارات والإجراءات الخاصة بالتعليم كانت فاشلة، ومرت بعدة مراحل أهمها مرحلة البداية المحتشمة (من 1830م إلى 1850م)، ومرحلة التطور البطيء (من 1850م إلى 1863م)، والمرحلة النشيطة (من 1863م إلى 1869م)، وأخيرًا مرحلة التوقف وإلغاء كل المشاريع الخاصة بالتعليم[164]، وسنرى هذه المرحلة بالتفصيل بعد التطرق إلى مختلف المؤسسات والمراحل التعليمية في الفصل القادم.

لقد توقف مجهود السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ابتداء من 1870م، وبعد مجيء الحكم المدني إلى الجزائر، وذلك لعدة أسباب أهمها انهزام فرنسا أمام الألمان وتطور ثورة المقراني، بالإضافة إلى فشل فرنسا في التقليل من عدد الجزائريين واستمرار نموهم الديموغرافي[165]، وتمسك الجزائريين بمقوماتهم وامتناعهم عن إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية[166]. وكانت المساجد والزوايا التي قُيّد نشاطها وأخضعت للرقابة مسندًا كبيرًا للحفاظ على التعليم العربي الحر في الجزائر، وعمومًا يعترف الفرنسيون أنفسهم بالفشل، إذ يصرح العديد منهم بقوله : "أردنا أن نبدأ بالمدرسة ولكننا فشلنا، ولم نقم بتأسيس المدارس، بل ألغينا المدارس التي كانت موجودة قبل مجيئنا"[167].

---

[162] - A. Merad, **Regards sur l’enseignements des Musulmans en Algérie (1880-1960)**, in confluent, juin, juillet 1963, p620.

[163] – يوجد بيبيوغرافيا لحوالي 100 من الجزائريين المتخرجين من المدرسة الفرنسية، انظر :
Ismail Hamet, **les Musulmans Français du nord de l’Afrique**, Paris 1906, pp191-211.

[164] - P. Foucin, **"l’instruction des Indigènes en Algérie"**,"Revue International de l’Enseignement, TVI, juillet, décembre 1883, p709.

[165] - M. Poulard, **l’enseignement pour les Indigènes en Algérie**, Alger 1910, p82.

[166] - **L’amicale des anciens instituteurs et institutrices**, Paris 1981, pp43-45.

[167] - M. Wahl, **l’ALgérie**, Paris 1897, p317.

الفصل الثاني

التعليم الفرنسي
في الجزائروانواعه(1830–1850)

1 – التعليم الفرنسي الرسمي وأنواعه

2 – دور الكنيسة في التعليم

3 – التنظيم الإداري والميزانية

4 – البرامج التعليمية

5 – المواقف المختلفة من النشاط التعليمي الفرنسي

أولا : التعليم الفرنسي الرسمي وأنواعه

1 – التعليم الابتدائي :

إن النشاط التعليمي الفرنسي في الجزائر فد اعتمد على عدة مؤسسات وأنواع ومراحل، أهمها التعليم الابتدائي أو التعليم المتبادل، وهو التعليم الذي يعتمد على الطريقة الانجليزية[168]، حيث يتكفل التلاميذ بإعادة أو إعداد الدروس ومساعدة معلمهم الوحيد. هذا النوع من التعليم ينقسم إلى ثمان مراحل وهي : المرحلة الأولى يتدرب فيها التلاميذ على كتابة الحروف على طبقة رقيقة من الرمل فوق الطاولة، وفي المرحلة الثانية يبدأ التمرن على الكتابة فوق الألواح، وعمومًا لن يكون استعمال الحبر والورق إلا في المرحلة السابعة والثامنة.

تميزت هذه الطريقة بأسلوبها السهل[169]، الهادف إلى تعليم مبادئ أولية في الكتابة والقراءة والحساب والتكلم بالفرنسية لأكبر عدد ممكن من الجزائريين، وإدماجهم في المجتمع الفرنسي، وتحقيق الخدمات الضرورية للاستعمار كما يدعي العسكريون[170].

إن فرنسا كانت ترفض هذا النوع من التعليم، وكانت دائما تؤكد بأن التعليم المخصص للجزائريين، يجب أن لا يتجاوز معارف فلاح بسيط يعرف فرنسا، ويجب أن لا يتعمق ويعرف أسرار اللغة والقواعد والنحو، ليبقى دائما في الدرجة الثانية.

أما التعليم المخصص لأبناء الاستعمار، يجب أن يكون متطورًا ومتفوقًا حتى على التعليم الخاص بالفرنسيين بفرنسا، ولهذا ضغط المعمرون واليهود على الإدارة الاستعمارية، فأنشأت لهم ثلاث مدارس في الجزائر في نهاية سنة 1831م، لكنها بقيت شبه مهجورة[4] بسبب اشتداد المقاومة الجزائرية وتذبذب أفكار العسكريين، وبعد ذلك قامت فرنسا بإنشاء مدارس، واحدة بالعاصمة بدالي ابراهيم ومدرسة بالقبة وأخرى في وهران وفي عنابة في

---

[168] – الطريقة الانجليزية هي التعليم المتبادل الذي جاء به كل من لان كاستر (J. Lancaster) (1790-1795) وألفريد بيل (A. Bel) (1753-1832).

[169] - J. Gaucher, **les débuts de l'enseignement en Afrique Française**, Paris 1968, p28.

[170] - G. Fleureau, ″**du travail manuel dans les écoles indigènes**″, B.E.I.A.A. n°1, mai 1893, Alger, p14.

4-.Rinn ,**note sur l'instruction** ,op cit p 11

1834م، وكانت كلها مخصصة لأبناء الأوروبيين واليهود، وكان التعليم بها مجانيًا وكان تنظيمها وطريقة عملها مشابهة لما كان موجودًا في فرنسا، بل أحيانًا أحسن منها بسبب ضغط المعمرين وتخوف السلطة الفرنسية من ثورتهم[171].

تم فتح أول مدرسة خاصة بالجزائريين بالعاصمة (الباب الجديد) في 1836م، واستقبلت 60 تلميذًا يشرف عليهم معلمان، معلم فرنسي والآخر جزائري مسلم، الفرنسي يعلم القراءة والكتابة، والقواعد، والنحو، والحساب بالفرنسية، أما الجزائري فيعلم اللغة العربية، الفقه والعبادة في الإسلام، وبعد ذلك فتحت مدرسة ابتدائية خصصت للكبار العاملين بالإدارة الفرنسية سنة 1837م. ثم ظهرت مدارس أخرى خاصة بالجزائريين في كل من عناية ووهران سنة 1839م، وتم فتح أول مدرسة ابتدائية للبنات الجزائريين بالعاصمة سنة 1845م بها 150 تلميذة وحوالي 20 منهن تجاوزن سن الدراسة الابتدائية بكثير، فخصصت لهن حصص في الخياطة والطرز، والباقي يتعلمن الكتابة والنطق بالفرنسية[172].

رغم مجهودات السلطة الاستعمارية لإدماج الجزائريين، فإنه إلى سنة 1844م[173] لم يتجاوز عدد المتمدرسين الجزائريين سبعة مقابل مائة تلميذ أوروبي، وكان الهدف الأساسي من فتح المجال التعليمي للجزائريين، هو منافسة المدارس القرآنية بالمساجد والزوايا والكتاتيب، وتميزت هذه العملية عمومًا بهجرة وابتعاد التلاميذ وتمسكهم بالمؤسسات الجزائرية.

إن التعليم الابتدائي كان مستواه ضعيفًا ونتائجه محدودة، بسبب عدة مشاكل جعلت عدد قليل من التلاميذ يلتحقون به، أهمها التكلفة الكبيرة وأن مجانية التعليم كانت لا تعني إلا عملاء الاستعمار وأبنائهم[174]، حيث كان في كل سنة يحدد الوالي العام قائمة وعدد التلاميذ المسموح لهم بالتعلم على نفقة الدولة، هذا بالإضافة إلى استمرار نشاط الزوايا والمساجد والكتاتيب في احتضان أبناء الجزائريين، الذين بلغ عددهم في سنة 1848م،

---

[171] - Mélia, op.cit, p13.

[172] - **L'amicale des anciens instituteurs et institutrices**, op,cit, p33.

[173] - P. Mourlan, **législation et réglementation de l'enseignement primaire publique des indigènes en Algérie 1903**, p33.

[174] – كان عددهم في 1860 حوالي 72 تلميذًا، انظر : Ministère de la guerre, R. Act. admi, 1860, p5.

1632 تلميذاً[175]. ورغم استمرار تشجيع التعليم الابتدائي، فإن بداية المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، وصل بها عدد المدارس الخاصة بالأوروبيين 517 مدرسة بها 36905 تلميذاً[176]، وثمانية عشر خاصة بالجزائريين بها 646 تلميذاً[177].

استمر الفرنسيون في تعليل نفور الجزائريين من المدرسة الابتدائية الاستعمارية، واعتماد الجزائريين على أبنائهم ومساعداتهم في الزراعة والرعي، بالإضافة إلى التخلف والركون إلى الجهل والأمية[178]، لكن حقيقة الأمر هي أن الجزائريين قد قاطعوا التعليم الفرنسي، بسبب كرههم ونفورهم من الاستعمار ومن كل شيء جاء به، وتمسكهم بمقومات شخصيتهم.

إن التعليم الابتدائي قد واجه عدة مشاكل، وخاصة منها تناقض أفكار المعلمين، وضعف مستواهم، وجهلهم الكامل باللغة العربية، وعادات وتقاليد الجزائريين، لأنهم كانوا يلتحقون بالمدارس الجزائرية مباشرة بعد تخرجهم من مدارس فرنسا[179]، وظهرت محاولة لتحسين مستوى المعلمين في سنة 1846م، وكونت لجنة نظمت تربصًا وامتحانا للراغبين في التوظيف من معلمين ومعلمات، واستطاعت أن تقدم حوالي 49 شهادة كفاءة تعليمية في 1852م[180]، ورغم ذلك استمرت النتائج التعليمية الضعيفة، فظهرت محاولات أخرى أهمها إنشاء مدرسة عليا لتكوين معلمين جزائريين يتكفلون بتعليم باقي الجزائريين.

وفي هذا الإطار، يرى المترجم والمعلم فايسيت (Vayssetes) في 1859م، بأن الحل الوحيد هو تكوين معلمين مطلعين على لغة وحضارة وتقاليد الجزائريين في مدارس خاصة، وفي هذا الإطار أيضًا، ظهر اهتمام العسكريين من خلال تقارير بعضهم، كالماريشال راندون (Randon) وزير الدفاع، في 04 مارس 1865م، وكذلك اهتمامات الحاكم

---

[175] - De Slave, **instruction**, op,cit, p6.

[176] – كان لكل 530 أوروبي مدرسة، ولكل 46 تلميذا معلم، وفي نفس الفترة كان بباريس معلم لكل 62 تلميذًا. انظر : De Slane, Ibid, p7 .

[177] - Poulard, op,cit p87.

[178] - Ministère de la guerre, **Tableau de la situation des établissements Français dans l’Algérie**, Alger 1846, p110.

[179] - Mélia, op.cit, p20.

[180] – عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)**، الجزائر 1984، ص26.

العسكري ماك ماهون (Mac Mahon) (1864م – 1870م)، الذي سعى لإنشاء مدرسة عليا، وظهر ذلك من خلال إحدى التقارير التي أرسلها إلى الإمبراطور ويطلب منه ضرورة الإسراع بإنشاء مدرسة وتعليم اللغة الفرنسية، وحضارة فرنسا للجزائريين. كان نتيجة ذلك إصدار قرار ملكي في 04 مارس 1865م، ينص على إنشاء مدرسة عليا خاصة بالأوروبيين والجزائريين، تستقبل في البداية 30 متربصًا، 20 فرنسيًا و 10 جزائريين[181].

كانت هذه المدرسة بالجزائر العاصمة (بوزريعة) مخصصة في الحقيقة، لتكوين معلمين متمكنين من اللغة العربية، وعادات وتقاليد الجزائريين، لكنها في الواقع نجد أنها قد ركزت على معرفة اللغة الفرنسية، ولم تخصص إلا ثلاث ساعات فقط في الأسبوع لغة العربية، وحددت المقاعد المخصصة للجزائريين بحيث لا تتجاوز نسبتهم خمس (1/5)[182] مجموع التلاميذ. يلتحق بها المتخرجون من المدارس الابتدائية؛ وبعد ثلاث سنوات من الدراسة، يمنح للناجحين شهادة التأهيل العليا التي يستطيعون بواسطتها التدريس، كمعلمين في المدارس الابتدائية[183].لقد أولت الإدارة الاستعمارية اهتمامًا كبيرًا بهذه المدرسة، ويظهر ذلك من خلال تقرير مديرها لودوك في آخر السنة الدراسية 1866م، حيث يؤكد بأن هذه المدرسة سوف تزود المرحلة الابتدائية بورشة تنتج الأسلحة الحقيقية لاستمرار الاستعمار بالجزائر، ويكون ذلك بفضل سعي المتعلمين المتشبعين بالحضارة الفرنسية ميدانيًا.

إن هذه الجهود لم تحقق النتائج المسطرة، فأنشأت فرنسا مدارس مماثلة في كل من مليانة وقسنطينة بعد 1870م، وأنتجت مجموعة صغيرة من المثقفين المتأثرين بالحضارة الفرنسية[184].

2 – التعليم الثانوي :

بدأ اهتمام الفرنسيين بالتعليم الثانوي منذ بداية المحاولات الأولى للاستعمار الشامل، حيث لم يحتمل بعض العسكريين والمعمرين إرسال أبنائهم إلى فرنسا للتعليم، وتركهم مدة

181 - **L'amicale**, op.cit, p38.
182 - G. G. **le centenaire**, Alger 1936, p20.
183 - Ibid, p21.
184 - **L'amicale**, op.cit, p39.

طويلة بعيدين عنهم، لذا تقرر في 22 أفريل 1835 فتح معهد (كوليج) في العاصمة، واستقبل 37 تلميذًا وأصبح بعد 06 أكتوبر 1848 يسمى بالثانوية الوطنية [185].

اهتمت فرنسا كثيرًا بهذه الثانوية، فمنحتها وسام الاستحقاق سنة بعد ظهورها، وارتفع مستوى التعليم وعدد الطلبة وعدد الناجحين في امتحانات البكالوريا، فنجد مثلا عدد الشهادات الممنوحة في الفترة السابقة لسنة 1852م، هو إحدى عشر شهادة، وفي نفس السنة بلغ عددها 43 شهادة. أما عدد الطلبة فأصبح في 1852م هو 230 طالبا،وفي 1854ارتفع الى 286و الى 333 سنة 1855ثم الى 419 سنة 1857.أمام هذا التزايد والتطور، أصبحت الثانوية عاجزة عن أداء مهمتها رغم إلحاق بنايات قديمة مجاورة لها (ثكنة ماسينيسة)، لذلك ظهر مشروع بناء مؤسسة جديدة تتجاوب مع أهمية هذه الثانوية، والتي تم بناؤها في غرب المدينة[186].

ظهرت بعد ذلك معاهد تشبه ثانوية العاصمة خاصة في عام 1859م، بعنابة، قسنطينة، وهران، مليانة، وفي عام 1870م بتلمسان، وبعد ذلك معاهد أخرى في مناطق متفرقة من الوطن[187].

لقد كانت مؤسسات أخرى شبيهة بالمعاهد والثانويات، وهي المعاهد العربية الفرنسية الخاصة بالجزائريين، أنشئت واحدة بالجزائر العاصمة في سنة 1857م، وثانوية بقسنطينة سنة 1865م[188]، وأخرى في وهران[189] من نفس السنة. ووضعت مباشرة بعد ظهورها تحت الرقابة المستمرة للاستعمار، ووجدت الدعم المادي الكامل من البلديات، وحتى من حكومة باريس، ولم تكن مخصصة لسن معين، وكانت مفتوحة لكل من يحمل

---

[185] - Pierre, Minerville, **dictionnaire la législation algérienne** ,Paris 1860, P.366

[186] – عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص216.

[187] - **Le centenaire**, op.cit, p8.

كان عدد التلاميذ سنة 1870م حوالي 205 تلميذًا، منهم 116 جزئرى و 89 اوروبي،انظر : Turin, **Aff**, op,cit,p280

[188] - **Le centenaire**, op.cit, p8.

[189] – لم يُفتح معهد وهران إلا بعد سنة 1870م بسبب عدم وجود بناية خاصة لذلك. انظر : Turin,op,cit, p280.

الجنسية الفرنسية، وتوفرت فيه شروط الولاء للاستعمار الفرنسي، بالإضافة إلى الموظفين الإداريين والقياد، ومن الأعيان الأغنياء الموالين للاستعمار[190].

إن بعض الجزائريين كانوا يعتبرون بأن إرسال أبنائهم إلى هذه المعاهد، هو نوع من البرهان على مواقفهم المؤيدة للوجود الاستعماري، أما البعض الآخر فكان يعتبر ذلك كرهائن عند السلطة الفرنسية لاستمرار ولائه لها، لذا يعملون على مغادرة أبنائهم للمعاهد مباشرة بعد شهادة التخرج.

النتائج بهذه المؤسسات كانت دائما ضعيفة، وخريجوها في معظم الأحيان يلتحقون اختياريًا أو اضطرارًا بالمدارس العسكرية كسان سير (Saint Syr)، أو بالصيدلة، أو يصبح البعض كمترجم أو معلم.

إن هذه المعاهد قد وجدت معارضة شديدة من جانب المعمرين، الذين طالبوا بضرورة إلغائها بسبب تكاليفها الباهظة، وطالب البعض الآخر بضرورة تعليم الجزائريين في الثانويات والمعاهد الفرنسية حتى يكونوا تحت المراقبة المستمرة للسلطة الفرنسية. أما الحاكم العام ماك ماهون فقد رأى ضرورة استمرار هذه المؤسسات التعليمية الخاصة بالجزائريين، لتبقى نوعا ما محافظة على بعض عاداتهم وتقاليدهم، وحتى لا يتمرد ولا يثور أولياء التلاميذ الذين قدموا خدمات جليلة للاستعمار، لكن في النهاية جاء الحاكم العام المدني (دي ڤيدون) ووضع حدًا لهذه المعاهد سنة 1870م. وابتداء من سنة 1871م أصبح تلاميذها ملحقين بالثانويات والمعاهد الفرنسية، ولم يبقَ أثر لهذا النوع من التعليم، وأصبح في النهاية التلاميذ الجزائريون يدرسون في نفس المعاهد والثانويات، التي يدرس بها الفرنسيون والأوروبيون واليهود[191].

3 – التعليم العالي :

بالإضافة إلى التعليم الابتدائي والثانوي، اهتم الاستعمار بالتعليم العالي منذ 1832م، حيث نظم دروس في الجراحة والصيدلة، وسرعان ما توقفت في سنة 1836م.

---

[190] - Ismail Hamet, **les Musulmans**, op.cit, p213.

[191] - E. Mercier, **l’Algérie et les questions Algériennes**, Paris 1883, p174.

إن استمرار واشتداد المقاومة الجزائرية ضد سياسة فرنسا، الهادفة إلى حرق الأراضي وقتل الجزائريين، أدّى ذلك إلى انتشار الأوبئة واستفحال خطر انتقالها، فتخوف الاستعمار من هذا العدو الجديد، وأصبحت الحاجة ماسة إلى جامعة طبية، وخاصة بعد تأكيد العسكريين على ذلك، كالجنرال (دوفيفي).

لهذا جاء مرسوم 4 أوت 1857م، يدعو إلى إنشاء كلية الطب والصيدلة في مدينة الجزائر[192].

أصبحت هذه المؤسسة توفر للشباب الأوروبي إمكانيات البدء في الدراسات الأولية الطبية في الجزائر، كما تسمح في نفس الوقت بتكوين بعض الشباب الجزائري في استعمالات الطب وفي الجراحات العامة، فيستطيعون بعد ذلك تقديم خدمات جليلة في الأوساط الريفية، التي أصبحت تعاني من الأمراض، البؤس والشقاء بسبب أعمال الاستعمار المدمرة[193].

في هذا المجال قدمت فرنسا تسهيلات وامتيازات كثيرة لتشجيع الطلبة في الالتحاق بهذه الكلية، واستمرت إلى سنة 1870م مخصصة للفرنسيين والأوروبيين واليهود[194]، ويظهر ذلك من عدد المسجلين في نهاية سنة 1870م وهو 331 طالبا منهم 314 طالبا فرنسيا، 10 أجانب، 7 طلاب جزائريين.

إن هذا العدد القليل من الجزائريين المسجلين بكلية الطب، يرجع إلى عدة أسباب أهمها التأخر والتدهور العلمي لهؤلاء الطلبة، لأن شروط الالتحاق لم تكن محددة بمستوى وشهادة معينة، ولا بسن محدد، وإنما الولاء للاستعمار وهو الشرط الوحيد، لهذا لم يستطع مواصلة الدراسة حتى النجاح إلا ثلاثة طلبة. فقامت الإدارة الاستعمارية باستمرار في تخفيض المستوى ليرتفع عدد الطلبة، وليستطيع البعض مواصلة دروسهم، ولكن دون جدوى، وحتى الناجحون كانت معارفهم الطبية بسيطة جدًا، حيث يصرح العديد من

192 - J. Mélia, **histoire de l'université d'Alger**, Alger 1950, p127.

193 – عبد الحميد زوزو، **وثائق**، مرجع سابق، ص215.

194 - E. Mercier, op.cit, p169.

الاستعماريين بطريقة ساخرة متهكمة، وهي أهم يتخوفون من معالجة طبيب جزائري، أكثر مما يتخوفون من امرض نفسه[195].

بعد كلية الطب، ظهرت ضرورة إحداث كلية الحقوق والآداب لتغطية الحاجيات القانونية، الإدارية والاقتصادية، وبدأت المطالبة بهذه الكلية منذ ظهور كلية الطب ميدانيا في سنة 1859م. لقد أكّد الكثير على اقتراب تاريخ ميلاد هذه الكلية، ومنها تقرير المدير العام لكلية الطب في 26 نوفمبر 1868م[196].

وطال الانتظار و لم تر الكلية النور إلا في 23 ديسمبر 1880، وينطبق هذا الأمر أيضًا على كلية العلوم الطبيعية، التي بدأت المطالبة بها منذ سنة 1868م، و لم تظهر إلا بعد نهاية السبعينات، وكان هذا التأخر والتردد يرجع أساسًا إلى سبب اشتداد المقاومة الجزائرية، وعمومًا لم يكن هناك تعليم عالي بالمفهوم الحالي إلا بعد سنة 1909م، وظهور جامعة الحقوق والآداب والعلوم وجامعة الجزائر في سنة 1910م[197].

4 – المدارس الإسلامية الحكومية :

وبالإضافة إلى أنواع التعليم السابقة، فإن فرنسا لم تحقق أهدافها، فلجأت إلى محاولات أخرى والتي منها المدارس الإسلامية الحكومية، حيث استمرت فرنسا تواجه مشاكل وصعوبات في التوغل في صفوف الشعب الجزائري، وادعت بأن سبب ذلك يرجع إلى أن عدد كبير من أطفال الجزائريين قد استمر في التردد على الكتاتيب والزوايا والمساجد، يتلقون مبادئ الإسلام الأولى التي تغرس فيهم حب الجهاد ومقاومة الكافر، وكان ذلك خاصة في المرحلة الابتدائية، أما المرحلة الثانوية فاستمرت تسيطر عليها الزوايا والمساجد، ويتلقى فيها البعض تفسير القرآن والدراسات النحوية، أما الدراسات العليا الخاصة بتعلم القانون والفقه والشريعة ومبادئ الحساب والفلك، والجغرافيا، والتاريخ،

---

[195] - Mélia,**H. Université**, op.cit, p114.

[196] - Ibid, p139.

[197] - Mélia, **universitè** op. cit, p139.

والعلوم الطبيعية، والطب فكانت في جامعات صغيرة تدعى المدارس، وكانت في معظم الأحيان تابعة لمسجد من المساجد، وهناك عدة أمثلة كقسنطينة وبسكرة

إن هذه الادعاءات تهدف إلى تهويل الأمور، وتجنيد المدنيين العسكريين ودفعهم إلى مغامرات جديدة تخضع الشعب الجزائري، لهذا ظهرت المدارس الإسلامية الحكومية، وهي ثلاث، مدرسة بالجزائر وأخرى بقسنطينة ومدرسة بتلمسان. ظهرت الأولى بقرار 30 سبتمبر 1850م بالمدية ونقلت إلى البليدة سنة 1855م، ثم استقرت بالعاصمة في سنة 1859م [198]. لقد ركز الاستعمار كثيرًا على هذا النوع، فأصدر سلسلـــة من القـــرارات والقوانين المتتالية لتنظيمه، وخاصة بعد قانون 16 فيفري 1863م.

إن الدراسة بهذه المؤسسات تدوم ثلاث سنوات، يدخلها المترشحون بعد اجتياز مسابقة ويعفى من المسابقة المتحصلون على الشهادة الابتدائية، أما السن فيشترط أن يكون بين خمسة عشر وعشرين سنة، وينقسم التعليم إلى مرحلتين، وتشمل المرحلة الأولى دراسة المواد الآتية : اللغة الفرنسية، التاريخ، الجغرافيا، القانون العام، الجبر، الهندسة، العلوم الطبيعية، اللغة العربية، مبادئ الشريعة الإسلامية. أما المرحلة الثانية فتشمل دراسة تاريخ الحضارة الفرنسية، اللغة العربية بلاغة نحوا و صرفا، مصادر الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى القانون الفرنسي. ويلاحظ بأنه قد أضيفت مادة اللهجة والعادات والتقاليد القبائلية بمدرسة الجزائر[199].

إن البرامج، الامتحانات والشهادات خاضعة وتابعة مباشرة للحاكم العام العسكري، وينوبه في بعض الحالات مدير المدرسة والحاكم العام، وهو الذي يقوم بتعيين المدرسين للغة الفرنسية التي يقوم بها فرنسي. أما المدرس الجزائري فيلقن اللغة العربية والدين الإسلامي، وعادة ما كان المدرسون الجزائريون متخرجين من نفس هذه المدارس، أما الفرنسيون فكان يشترط فيهم الحصول على شهادة الليسانس في الآداب والعلوم.

يسير هذه المدرسة أحد الأساتذة الفرنسيين المعينين من طرف الحاكم العام، ويرقى بعد ذلك ويصبح مديرًا مكلفًا في نهاية كل سنة بتقديم تقرير مفصل عن سير الدروس،

[198] - Benoit, op.cit, p26.

[199] - G. G. **quelques aspects de l’Algérie Française**, op,cit, pp56-57.

النتائج، الحوادث، الحاجيات والآفاق المستقبلية إلى مدير الأكاديمية، ثم الحاكم العام العسكري، وكانت هذه المدارس تهدف إلى إعداد موظفين في مختلف الاختصاصات وهي : عون، حزّاب، مويزن، معلم ابتدائي (طالب)، وكيل، حوجة، عادل. أما التلاميذ النجباء والقدماء بالمدرسة فيوظف البعض منهم كباش عادل، إمام، قاضي ومفتي[200]، وبعض المتفوقين يمكنهم مواصلة دراستهم بكلية الحقوق بالعاصمة.

بدأ نشاط هذه المدارس وكانت مدرسة قسنطينة، أي الكتانية[201]، المتكونة من سكن للطلبة ومسجد بمحرابه وقاعات للدراسة وقبر صالح باي وعائلته وبعض علماء البلدة، وكانت مهمتها منذ البداية هي تعليم المواد الدينية، كالقرآن الكريم والحديث، وكان عدد الطلبة المترددين عليها يصل أحيانًا إلى 30 طالبًا أو أكثر، خاصة بعد الفترة الاستعمارية[202] ، ونظرًا لدورها الثقافي والحضاري، رأى الاستعمار ضرورة التقليل من أهميتها وضمت إلى أملاك الدولة بدعوى أنها من أملاك الباي الخاصة، وفي 30 سبتمبر 1850م (1267هـــ) أضافت فرنسا مواد جديدة لتدريسها، وهي الفرنسية، الحساب، الهندسة، التاريخ، الجغرافيا، وكان الهدف من ذلك بأن تصبح مدرسة الكتاني ضمن المدارس الثلاث التي ظهرت سنة 1850م، والتي كان الهدف منها إنشاء تعليم عصري يشبه التعليم الذي كان سائدًا في المدارس العربية الفرنسية، وهذا لمنافسة المساجد والزوايا التي استمرت تكون جيوشا من الجزائريين الرافضين للوجود الاستعماري.

---

200 - Ibid, p57.

201 – أنشأها صالح باي والي قسنطينة سنة 1202هـــ – 1787م بالجانب الشرقي من المسجد الذي بناه بسوق العصر، أجرت فرنسا عليها تعديلا سنة 1850م، تعتبر من المعاهد العربية الإسلامية الهامة في الجزائر، إذ لعبت دورًا كبيرًا في نشر العلم والمعرفة منذ نشأتها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، كما أنها تعتبر من المعاهد العلمية القليلة التي سلمت من الهدم والتخريب بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقاومت مختلف محاولات الاستعمار.

202 – وصل عدد الطلبة سنة 1851م 73 طالبا،انظر : ايفون ، توران،**المواجهات الثقافية في الجزائر** المستعمرة ، المدارس،الممارسات الطبية و الدين(1830–1880) دارالقصبة، ترجمة محمد عبد الكريم او زغلة الجزائر 2005 ص . 248

3 –توران ،نفسه،ص.249

أشرفت فرنسا على المدرسة، ووضعت لها نظاما وأصبح على رأسها مدير وهو في الوقت ذاته مدرس فيها، وراتبه السنوي يقدر بـــ 2100 فرنك، بالإضافة إلى ثلاثة مدرسين، لكل منهم راتب يقدر بـــ 1500 فرنك، وهناك حارس وراتبه 600 فرنك.

إن وزير الحربية هو الذي يقوم بتعيين المدير والمدرسين، بناء على وصية من الحاكم العام، أما الحارس فيعينه حاكم العمالة، وذلك بناء على توصية من مدير المدرسة. [203]

فالمدرسة كانت مفتوحة لكل الراغبين في متابعة دراستهم، بشرط معرفة الكتابة والقراءة، وبعد تقديم طلب إلى المكتب العربي كي يوافق عليه حاكم المنطقة، و لم يكن هناك أي شرط خاص بالسن، إذ لاحظ أحد المفتشين في بداية تأسيس هذه المدرسة، أن بعض التلاميذ تجاوزت أعمارهم الأربعين عاما، وأحدث بعد ذلك بعض التغييرات، كإجراء امتحان للالتحاق بالمدرسة، واقتصار مجانية التعليم على مؤيدي فرنسا فقط [204].

يلاحظ بأن الطلبة المسجلين كان معظمهم يتابع مادة التوحيد والفقه والنحو، وتجاوز العدد 73 طالبا سنة 1851م، وبعد ذلك بدأ هذا العدد في التراجع بسبب القوانين الاستعمارية، والتحاق الجزائر يين بالزوايا الموجودة خارج عمالة قسنطينة[205].

منذ تأسيس المدرسة، أسندت إلى الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني، والذي مكث فيها حوالي 27 سنة أي من 30 سبتمبر 1850م إلى 22 سبتمبر 1877م، أي قبل تاريخ وفاته، وتولى الشيخ محمود الشاذلي مكانة في 30 أوت 1877م[206]. ودرس بالكتاني الشيخ محمد المكي بن سعد البوطالبي[207]، أحمد بن المبارك بن العطار[208]، أحمد بن جلول[209]، محمود بن محمد الشاذلي[210]، الحاج أحمد بن عمر[211]، عبد القادر بن عبد الله المجاوي[212]، السعيد بن داود الزموري[213].

---

204 - Poulard, op.cit, p59.

205 - Turin, **affrontemen**t, op.cit, p248.

206 – أبو القاسم سعد الله، **محمـــد الشاذلـــي القسنطينـــي (1807م–1877م)**، الجزائر 1974، ص ص14-21..

207 – بدأ التدريس 1850م، توفي 1865م.

208 – بدأ التدريس 1850م، توفي 1870م.

209 – بدأ التدريس 1865م، توفي 1865م.

210 – بدأ التدريس 1865م، توفي 1905م.

211 – بدأ التدريس 1870م، توفي 1880م.

لقد زار نابليون الثالث قسنطينة سنة 1281هـ/1864م، وأمر بإدخال إصلاحات على مدرسة الكتاني، وتم بناء مسكن للمدير ومكتب لإدارته ومرافق أخرى، وبعد 1865م كلف معلم فرنسي بتدريس الجغرافيا والحساب واللغة الفرنسية، واعتبرت فرنسا ذلك أهم إصلاح أنجز بفضل جهود (شاربونو) في الشرق الجزائري، ووضع بعد 1876م نظام خاص بالمدرسة، وضم 77 مادة يسهر على تطبيقها القائد العام للجيش.

إن هذا النظام يتعلق بالمراقبة السياسية الدقيقة للتلاميذ والموظفين، وبالتصرفات الداخلية، من تسجيل، ونفقات، ومحاسبة، وتنظيف، وحفظ الصحة، والمحافظة على أثاث المدرسة، والرقابة، والتأديب، وتحديد الأعمال وضبط جداول الدروس[214].

استمرت مدرسة الكتاني في أداء مهمتها بصعوبة، خاصة بعد الثمانينات من القرن التاسع عشر، ولم يتخرج منها أثناء هذه الفترة إلا بعض الإداريين، الذين التحقوا بمناصب ثانوية بالإدارة الاستعمارية، ولوحظ عجز كبير في تخريج معلمين في مستوى خريجي الزوايا[215].

إن فرنسا بمحاولاتها الإصلاحية المتعددة، أثبتت نفور الجزائريين منها، واستمرت فرنسا تواصل مهمتها التعليمية بصعوبة، رغم استمرار تدريس التوحيد والفقه بجميع أبوابه، ماعدا باب الجهاد، والنحو، والصرف، والمحفوظات، والإنشاء، والحساب، والتاريخ والجغرافيا، والفرنسية، وكان عدد المتعلمين لا يقل عن أربعين تلميذاً مسجلا كل سنة بالمدرسة[216].

---

212 – بدأ التدريس 1878م، توفي 1918م.انظر حمزة بو كوشة شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي مجلة الثقافة عدد 10سبتمبر 1972 ص ص7–14

213 – بدأ التدريس 1881م، انظر : سعد الله، مدارس الثقافة ، مرجع سابق، ص. ص.52–65

214 – استمرت خاضعة لهذا النظام العسكري إلى 1883م، وظهور الإدارة المدنية، وتوقفت المدرسة عن أداء مهمتها وأصبحت مهجورة سنة 1907م، بعد تصادم الشاذلي مع الاستعمار ووفاته 1905م.

215 - Turin, **affrontement**. op.cit, p250.

216 –من بين 60 طالبا موزعين على الجامع الاخضرو الجامع الكبير و الكتاني انظر : Ibid p. 133

"تشير مختلف التقارير بأن مدير المدرسة ومعلمي الفرنسية، هم الذين يحسنون اللغة الفرنسية، أما الباقي فإنهم يجهلونها جهلا تاما[217].

فنتساءل كيف يتمكن هؤلاء من الحصول على شهادات عليا، ويلتحقون بكلية الحقوق، وكان المشرفون على الامتحانات غالبًا ما يلجأون إلى أساتذة اللغة العربية ليكونوا كمترجمين، في الوقت الذي كان من المفروض أن يعرفوا اللغة العربية معرفة جيدة[218]. إن هذا الضعف في المستوى جعل الكثير يطالب بضرورة التشديد على التلاميذ الملتحقين بهذه المدارس، ويشترط فيهم معرفة اللغة الفرنسية. وللتأكد من ذلك، ينظم امتحان يشمل إملاء ومحادثة بالفرنسية. أما التلاميذ الذين يخفقون في الحصول على الشهادة بعد التحاقهم ودراستهم ثلاث سنوات، يمكن تمديد الفترة إلى أربع سنوات، ورأت بعد ذلك جهات مختلفة ضرورة إلغاء هذا النوع من التعليم، الذي ألغي فعلا بعد سنة 1886[219].

إن فشل هذه المحاولة يرجع أساسًا حسب بعض العسكريين إلى تمسك بعض الجزائريين بالمدارس القرآنية، وليس بسبب ضعف مستوى الأساتذة أو البرامج، لذلك بدأ الاستعمار في تشديد المراقبة على الجزائريين، فأصدر الماريشال ران دون منشورًا يلزم معلمي المدارس الذين كانوا من قبل لا يخضعون لأي قيد، للحصول على إذْنٍ خاص من القادة العسكريين للنواحي، أو من الولاة وتفرض عليهم رقابة مستمرة وتفتيشات دورية[220]. وتدعم هذا المنشور بقرار 30 سبتمبر 1850م للدوق دومال، وتم التأكيد على المكاتب العربية لتشرف مباشرة على مراقبة التعليم، خاصة بعد سنة 1857م، ووضع شرط الحصول على شهادة تقدمها السلطة كتأهيل للمعلم في المدارس القرآنية[221].

لقد سجل عجز كبير في الحصول على شهادة التأهيل، بسبب المواد المدرجة وتصميم الجزائريين وتمسكهم باللغة العربية ودراسة القرآن، وحتى الذين نجحوا رفض

---

[217] - Benoit, Op.cit, p30.

[218] - G. G. **quelques aspects**, Op.Cit, p55.

[219] - Menerville, Op cit , p421.

[220] – عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص217.

[221] - L’Amicale, op.cit, p35

العديد منهم تدريس البرامج المقترحة من طرف الإدارة الاستعمارية[222]، ونتيجة لذلك سجل تراجع كبير في التعليم العربي القرآني، بحيث لم يبق مثلا في منطقة سطيف إلا سبعة معلمين في سنة 1857م، بعدما كان عددهم تسعة وثلاثين معلمًا قبل الرقابة.

ليس هذا فقط، بل انتشر الجهل وعمت الأمية في أوساط الجزائريين، ولم تتجاوز النسبة المتعلمة من مجموع السكان مثلا 1% بمنطقة شرشال. ويتساءل بعض العسكريين عن السبب، هل يعود إلى انعدام المعلمين، أو عدم وجود تلاميذ، أو عدم وجود الاثنين معا، وتناسى بأن الإجراءات الاستعمارية التجهيلية هي التي كانت وراء ذلك[223].

5 – المدارس العربية الفرنسية :

بالإضافة إلى هذا التعليم، هناك نوع آخر يطلق عليه تعليم المدارس العربية الفرنسية، وظهرت هذه المدارس بموجب قرار الماريشال ران دون في 14 جويلية 1850م، وكان ذلك بالمناطق المدنية، حيث يكثر عدد المعمرين وقلة الجزائريين ومقاومتهم.

لهذا، أنشأت عشرة مدارس، ستة للذكور وأربع للبنات في الجزائر، ووهران، وعنابة، وقسنطينة، ومستغانم، ركزت برامجها على القراءة والكتابة والحساب بالفرنسية والعربية، معارف بسيطة في الجغرافيا والعلوم الطبيعية [224]. أما البنات فقد خصصت لهن حصص في الخياطة والطرز كمواد إضافية، كان بالقسم الواحد معلمان، جزائري يدرس القرآن في الفترة الصباحية، وثاني فرنسي يدرس اللغة الفرنسية وبعض المواد، حسب اختياره ويكون ذلك في الفترة المسائية.

إن من خلال نشاط هذه المدارس، تظهر بأنها جزائرية عربية إسلامية، أكثر منها فرنسية، لكن حقيقتها كانت تغريبية تجهيلية[225]. وكانت مهمتها منافسة التعليم الجزائري الذي استمر في الكتاتيب والمساجد والزوايا. استمر ضعف المستوى بهذه المدارس ، والدليل على ذلك هو منذ ظهورها سنة 1850م إلى 1867م، لم يتمكن من الوصول إلى مستويات

---

[222] - L’Amicale, op.cit, p35.

[223] – عبد الحميد زوزو ، مرجع سابق، ص56.

[224] - Benoit, op.cit, p26.

[225] - Poulard, op.cit, p94.

عليا إلا ثلاثة تلاميذ التحقوا بعد ذلك بمدرسة المعلمين ببوزريعة، وكان ذلك بتحفظ شديد بسبب ضعف مستواهم و لم ينجح في السنة الموالية (1862م) ببوزريعة إلا تلميذ واحد.

أثبت الواقع بأن هذه المدارس قد خرجت بطالين وإسكافيين وتجار متنقلين، نتيجة فشلهم في الدراسة وتأثرهم بالحضارة الفرنسية وانفصالهم عن المجتمع الجزائري. ويدل هذا على فشل هذه التجربة، وحاولت الإدارة العسكرية تبرير ذلك بصعوبة البرنامج وارتفاع المستوى، الذين يجب إعادة النظر فيهما[226]. فجاء قرار 06 أوت 1850م، وحدد المستوى والشهادات ودرجاتها وهي الشهادة من الدرجة الثالثة لمن يحسن النطق بالفرنسية، أما الدرجة الثانية فتكون لمن يقرأ ويكتب باللغة الفرنسية، أما الدرجة الأولى فتكون لمن يتكلم ويكتب اللغة الفرنسية، بالإضافة إلى معارف بسيطة في الحساب والتاريخ والجغرافيا، وكان التأكيد على ضرورة توظيف المؤهلين في الدرجة الأولى.

بعد زيارة نابليون الثالث إلى الجزائر في سنة 1865م، طُلب من الحاكم العسكري ماك ماهون (Mac Mahon) ورئيس أكاديمية الجزائر دولاكروا (De La Croix)، ضرورة إصلاح برامج المدارس العربية الفرنسية وذلك بإعطاء مكانة خاصة لمواد التعليم الإسلامي، ولكن رغم ذلك استمرت هذه المؤسسات شبه مهجورة، فجاء منشور 1867م لإنقاذ الوضع ويسمح لبعض الجزائريين الالتحاق بالمدارس الابتدائية البلدية الفرنسية، لكي لا يشعروا بنوع من التفرقة والعزلة والتمييز[227] حسب رأي الاستعمار.

تراجع عدد المدارس فأصبحت في سنة 1870م 44 مدرسة، بها 1300 تلميذاً[228] وبدأت بعد ذلك في التراجع والاختفاء والزوال تدريجيًا، وكان ذلك لعدة أسباب أهمها : جهل اللغة الفرنسية التي كانت مفتاحا لمعرفة كل المواد، ضعف المنح والمرتبات وعجز في صيانة المحلات وضغط المعمرين وعجز ميزانية البلديات، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بعد مجاعة (1867م – 1868م)، واشتداد المقاومة (1864م – 1871م)،

---

[226] - L'Amicale, op.cit, p37.

[227] -Benoit, op,cit P 25.

[228] - اجرون،**الجزائريون المسلمون** ، مرجع سابق، ص 602.

واحتجاج المعمرين بضرورة إغلاق هذه المؤسسات، بحجة انتهاء بعض خريجيها إلى المقاومة الجزائرية[229]. وهكذا دخل هذا النوع من المدارس ضمن سلسلة التجارب التعليمية التغريبية الفاشلة منذ تقريبًا نصف قرن من الاحتلال.

6 – مدارس اللغة العربية :

كانت تجارب أخرى، وهي مدارس اللغة العربية التي ظهرت عندما وجد الاستعمار في البداية صعوبة في التعامل مع الجزائريين، وعدم معرفة اللغة العربية، والجهل التام بالعادات والتقاليد، واشتداد المقاومة، ولم يقم الاستعمار في البداية إلا بتخريب المؤسسات الدينية والتعليمية، والاستيلاء على المخطوطات والكتب التابعة للمساجد والزوايا والعائلات والأوقاف.

وبدأت المحاولات الأولى بزعامة جواني فرعون[230] (Joanny Pharaoun) وعقوب[231] (Agoub) في تدريس اللغة العربية العامية في 06 ديسمبر 1832م. وظهرت بعد ذلك مدارس خاصة لهذا الغرض في العاصمة سنة 1832م، وكان من أشهر مدرسيها فرعون (J. Pharaoun) وبريسني (Bresnier)، ومدرسة قسنطينة في سنة 1846م وكان من أشهر مدرسيها فينار (Vignard) وشاربونو (Cherbonneau)، ومدرسة وهران سنة 1846م، وكان من أشهر مدرسيها هادمار (Hadamard) وهودا (Haudas).

إن الإقبال على هذه المؤسسات استمر ضعيفا، لذلك لجأت السلطة الفرنسية إلى تقرير إجبارية تعليم اللغة العربية[232]، وتقديم مكافآت لكل من تعلم اللغة العربية في جميع مؤسسات التعليم وفي مختلف المراحل، ومع هذا لم يتجاوز عدد الفرنسيين العارفين باللغة العربية في نهاية 1847م عدد 40 موظفا، وهكذا رويدًا رويدًا بدأت تختفي هذه التجربة

---

[229] - L'Amicale, op.cit, p57.

[230] – جواني فرعون من أصل سوري مترجم الجيش الفرنسي ومعلم اللغة العربية، أنظر: **Moniteur Algérien**, n°42, Novembre 1832, p50.

[231] – عقوب من الأقباط المصريين التحق كمترجم في الجيش الفرنسي منذ 1798، أستاذ اللغة العربية بالجزائر له مقالات رومانسية بالعربية الدارجة، انظر : CH. Féraud, **les interprètes de l'armée d'Afrique**, Alger 1876, p44.

[232] – كان بقرار ملكي من الماريشال بيجو الذي يجبر كل الموظفين المدنيين على ضرورة معرفة اللغة العربية.

وأعرضت فرنسا عن هذا النوع من التعليم[233]، وظهرت تجارب أخرى وهي المدارس الحرة، أي تعليم المبشرين الذي اقتصر في بداية الاحتلال على بعض المناطق من التراب الوطني، مثل غرداية، البيض، ورقلة، ومنطقة القبائل[234].

اليهود في الجزائر كانت لهم أيضا مدارس (ميدراشيم) تشبه إلى حد بعيد الكتاتيب القرآنية في هيكلها وطريقة عملها ومظهرها. وكان التعليم مقتصرا على معرفة اللغة والدين العبراني، وابتداء من سنة 1845م أدخلت عليها إصلاحات لكنها لم تستطع منافسة أنواع تعليم المدارس الأخرى، بسبب ضعف مستواها وقلة التلاميذ الملتحقين بها، لهذا اختفت بعد 1876م، والتحق باقي التلاميذ والمدرسون بالمدارس الفرنسية المختلفة[235].

7 – تعليم الجزائريين بفرنسا :

بدأت هذه الفكرة بعد سنة 1837م، حيث كتب وزير الحرب الفرنسي الماريشال فالي (Valée) في 20 نوفمبر 1837م وقال : "إن هذه هي الوسيلة الناجحة التي تبين للجزائريين مزايا الحضارة الفرنسية". وكان ذلك باختيار نخبة من أطفال الجزائر وإرسالهم إلى باريس للتشبع من الثقافة الفرنسية في شتى الميادين، وعند عودتهم يتأثرون ويحبون فرنسا وتقدمها وجمال مدنها وطبيعة أخلاق أهلها، فتؤثر هذه النخبة على بقية السكان[236]. لذلك أمر الجنرال كلوزيل بجمع حوالي خمسين طفلا من أبناء الأعيان وإرسالهم إلى فرنسا ليتعلموا اللغة الفرنسية، وأكد على من يرفض إرسال أبنائه يعتبر خارج على طاعة القانون، والذي لا يريد الامتثال لهذا الإجراء يجب أن يخرج من مدينة الجزائر[237]، ورغم ذلك فلم تنجح هذه العملية وظهرت فكرة تأسيس معهد عربي بفندق (مارياف) بباريس، وصدر قرار

233 – لمعرفة المزيد عن مدارس اللغة العربية ومعلميها، إدارتها، كتبها، برامجها، انظر :

De Slane, ″**lettre à M. Rinaud**″, Alger le 25 janvier 1847, J.A. T.IX, Janvier 1847, p84.
De Slane, ″**catalogue des manuscrits Arabes les plus importants de la bibliothèque d'Alger**″, J.A. T.IX, p85.
A. Cour, ″**les chaires de langues Arabes d'Alger de Constantine et d'Oran**″, in R.A. n°318 1er tri 1924, p20.
CH.A. Julien, ″**un médecin Romantique, interprète et professeur d'Arabe**″, R.A. n°65. 1924, pp472-520.

234 - Minerville, **dictionnaire**, op.cit, p367.

235 – عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص217.

236 – أبو القاسم سعد الله، **مدارس الثقافة**، مرجع سابق، ص65.

237 – حمدان خوجة، مصدر سابق، ص55.

ملكي في 11 ماي 1839م يقضي بتأسيس معهد خاص للجزائريين بباريس، يتولى مهمة تكوين مجموعة تكون واسطة بين الاستعمار وباقي الجزائريين[238].

إن موقف الجزائريين وتمسكهم بتقاليدهم، جعلت هذا المعهد لا يستقبل إلا تلميذين في سنة 1847م، وحاولت فرنسا بعد ذلك إدخال بعض الجزائريين الذين كانوا معتقلين بجزيرة سانت مارجريت في هذا المعهد[239]، لكنهم رفضوا الالتحاق والبقاء في السجن، لأنهم من المقاومين الجزائريين الذين تخرجوا من الزوايا أو المساجد والكتاتيب، والذين يبغضون الاستعمار، فرفضهم هذا يدل على استمرار قوتهم ومقاومتهم.

ومن أعمال فرنسا أيضًا إنشاء المعهد الإمبراطوري، بأمر من الإمبراطور نابليون وظهوره بمرسوم 14 مارس 1857م للماريشال راندون (Randon) وتعود فكرة تاسيس المعهد إلى سنة 1846، أي في الوقت الذي كانت تفكر فيه الحكومة الفرنسية إنشاء ثانوية للجزائريين بباريس، فاقترحت هذه الفكرة على بيرون (Perron)، وطلب منه أن يتولى إدارة المدرسة فوافق على ذلك، ولكن هذا المشروع أجل إلى أجل غير مسمى وبعد ذلك اندلعت ثورة 24 فيفري 1848م، وطالت مدة الانتظار فعاد (بيرون) إلى مصر سنة 1853م، وعمل بها كأستاذ في مدرسة الطب، ولم يتم إحياء مشروع المدرسة إلا بعد مرور عشر سنوات عليها، إذ تحقق على يد الحاكم العام (راندون)، ولكن في الجزائر وليس في فرنسا.

لقد وضع قانون خاص بهذه المدرسة، إذ تعلم اللغة العربية والفرنسية يشرف عليها وزير الشؤون الحربية راندون، ويسير إدارتها (بيرون)[240]. استقبلت في البداية 150 تلميذًا بمنح تدفعها ميزانية الدولة والميزانية المحلية والبلدية. يشترط في التلاميذ الجزائريين أن يكونوا

[238] – نفسه.

[239] – جمال قنان، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830 – 1944م)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2007، ص22.

[240] – هو نقولا بيرون (1798 – 1876)، مستشرق فرنسي تخصص في الطب، تولى إدارة المعهد الإمبراطوري في الجزائر 1857، وبعد سبع سنوات أصبح مفتشًا عاما للمدارس العربية الفرنسية في الجزائر، أنظر المجلة الإفريقية العدد 20 الصادر سنة 1875، ص ص173-175.

من أبناء العسكريين، والقياد والعملاء، وممن قتل آباءهم أو جرحوا أثناء خدمتهم لفرنسا[241].

يدرس هذا المعهد تاريخ الأمم وعلم الجغرافيا والعلوم الرياضية والطبية والدين الإسلامي، بالإضافة إلى اللغة العربية بعد اطلاع وموافقة وزير الحربية، وبعد نهاية الدراسة والنجاح في الامتحان يلتحق المتخرج بوظيفة مدنية أو عسكرية[242]، ورغم مختلف الجهود، فإنه لم يستقبل إلا ستة وخمسين طالب، لكن فرنسا اهتمت كثيرًا بهذا النوع من التعليم في الجزائر، وأرادت توسيعه إلى مناطق أخرى، فظهر مرسوم 16 جوان 1865 القاضي بإنشاء مدرستين أخريين مثل المعهد الإمبراطوري في كل من قسنطينة ووهران، وتحقق ذلك في قسنطينة عندما فتحت هذه المدرسة يوم 1 جانفي 1867 والتحق بها 112 تلميذًا من بينهم 108 من الجزائريين. لقد بدأ هذا النوع من التعليم في التراجع حتى اختفى تمامًا، إذ بعد سقوط النظام الإمبراطوري في فرنسا وتغيير نظام الحكم في الجزائر، تم إلغاء المعهد الإمبراطوري وذلك بمقتضى المرسوم الذي أصدره دوغيدون (De Guedon) أول حاكم عام مدني في الجزائر بتاريخ 28 أكتوبر 1871، وتم توزيع تلامذة المعهد على مختلف المدارس الجزائرية[243].

كانت أعمال أخرى قام بها الماريشال راندون بعد سنة 1857م، وهي إنشاء مدرسة بحرية كانت قائمة على بارجة التحق بها 60 طفلا تتراوح أعمارهم بين إثنى عشر وخمسة عشر سنة، أخذوا من ولايات الجزائر الثلاث، وبعد إقامتهم سنتين بالمدرسة سيقبلون كمتدربين بسفن فرنسا، وسيوقعون عقدا للعمل لمدة ثلاث سنوات، وفي حالة انعدام العمل بالبحرية سيلتحقون بوحدات الجيش الأهلي حسب احتياجات الاستعمار[244].

8 – التعليم المهني :

241 – زوزو، **نصوص**، مرجع سابق، ص220.

242 - Gustave, Dugat, **des établissements d’instruction publique**, R.A. 1869, p284.

243 -Marcel , Emerit, **l’Algerie à l’epoque d’abdelkader**, paris 1951, p304.

244 – عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص221.

التعليم الفرنسي بمختلف مراحله بالجزائر، كان موجهًا للحياة العملية مباشرة وخدمة المصالح الاستعمارية، لذا، انصبّ الاهتمام على الفلاحة وتربية الحيوانات، إذ كان لكل مدرسة تقريبًا مساحة من الأرض كافية لإنتاج بعض الخضر والحبوب وبعض الفواكه، حيث كان التلاميذ يدربون على الحرث والغرس وجني المحاصيل. هذا بالإضافة إلى الدروس النظرية التوجيهية التي تحثهم على عمل الأرض بعد مغادرة المدرسة، وتدعوهم ليصبحوا منتجين مهرة في المستقبل[245].

إن المدرسة أيضا استطاعت أن تُعود بعض أطفال الجزائريين في المرحلة الابتدائية بين (السادسة والثالثة عشر) على استعمال الآلات البسيطة للنجارة والحدادة. لم يكن هذا تعليم مهني بمفهوم صحيح، ولكن هو نوع للتحضير النفسي للتلاميذ وتوجيههم مستقبلا لخدمة الأرض وبعض الحرف التقليدية، ولم يبدأ الاهتمام بالتعليم المهني الحقيقي إلا بعد سنة 1892م وظهور مدرسة البناء والنجارة بالأربعاء ناثرثن، ومدرسة تعليم الصباغة بالعاصمة، والخياطة بقسنطينة، والزرابي بتلمسان[246]، وعموما استمرت فرنسا في احتكار الميادين الفكرية والعلمية، فيتعلم أبناؤها ويتعرفون على مختلف العلوم والفنون، أما الجزائريون فيبقى معظمهم أمي، أو متحصل على معارف بسيطة وتخرجه في المرحلة الابتدائية. ونجد بعد 1870م بعض العسكريين يؤكدون ضرورة توجيه حتى طلاب المعاهد العربية الفرنسية لتوفير حاجيات الاستعمار وتوفير نوع من الاستقرار[247]

ثانيًا : دور الكنيسة في التعليم

إن تعليم المبشرين قام بدور كبير في دعم الاحتلال العسكري الفرنسي، وكان أخطر أنواع التعليم الفرنسي بالنظر إلى أهدافه البعيدة المدى، فكان يدعم فكرة الإدماج ويعمل

245 – كان من المفروض حث التلاميذ على مراجعة الدروس للنجاح في مختلف المراحل، لكن الواقع هو دعوتهم لخدمة الأرض لتوفير الغذاء للاستعمار.

246 - G. G. **quelques aspects**, op,cit, p66.

247- اجرون ، **الجزائريون المسلمون**، مرجع سابق، ص. ص592–593

أيضا على تنصير أبناء الجزائريين – كما رأينا في فصل أهداف السياسة التعليمية – وقد كانت نتائج هذا التعليم في بعض المناطق أحسن من نتائج التعليم العام حسب رأي البعض.

وتشير المادة الخامسة من قوانين الأسقفية لنشر المسيحية بين الجزائريين إلى ما يلي: "إن الأطفال هم الأمل المرتقب لمهمتنا ليحظون أكثر بالعناية البابوية، وسنعمل على جذب الأولاد بواسطة وسائل بسيطة، إلى المدارس أولا، ثم إلى الكنائس، سنبين لهم وبتحفظ كبير بأننا نحبهم، أما البنات الصغيرات فستتولى رعايتهن الخاصة المبشرات أو معلمات المدارس. على القساوسة والأخوات أن يجمعوا كل من يصادفون من اليتامى ،

أو من الذين تخلى عنهم أولياء أمورهم، وأن يرسلوهم على حسابنا إلى الجزائر، حيث نودعهم في المؤسسات الخيرية"[248].

لقد كان الملك لويس فيليب على قناعة تامة، أن مستقبل الجزائر تحت الإدارة الاستعمارية مرهون بتنصير سكانها، ولذلك كان يشجع المبشرين ويؤيد مساعيهم، ذلك ما فعله على سبيل المثال مع الكونت "أوغوستين دوفيلار "، أول من فتح باب التبشير في الجزائر، وأقام ملاجئ للأيتام في بوفاريك مع أخته الراهبة "إميلي دوفيلار" التي استجلبت راهبات من فرنسا، وفتحت أول مدرسة للبنات بالجزائر سنة 1836م، فلقيت بدورها كل التشجيع والمساعدة من الملك وزوجته على السواء[249].

وكان العسكريون يشاركون ملكهم في قناعته بضرورة تنصير السكان، ويوفرون الحماية للمبشرين، وكان الماريشال "سولت" وزير الحربية قد بعث في سنة 1841م لجنة خاصة كانت مهمتها البحث عن وسائل الاستعمار بواسطة الفرق الدينية، وجاء تقرير اللجنة المذكورة ليؤكد "أنه لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسية إلا إذا أصبحت مسيحية"، وعلى إثر ذلك أرسلت فرقة "الإخوة لاتراب" إلى الجزائر وأسست مركزًا فلاحيا بمنطقة سطاوالي، ولقيت دعما كبيرًا من الجنرال بيجو، وسلم للأب "بريمونت" مجموعة من

[248] - M. GR. Pons, **la nouvelle église d’Afrique en Algérie**, **Tunisie et Maroc depuis 1830**, Tunis 1930, p24.

[249] – خديجة بقطاش، "**الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830م – 1871م)**"، مطبوعات دحلب، الجزائر 1992، ص46.

الأطفال الجزائريين الأيتام قائلا له: "حاول أن تجعلهم مسيحيين، فإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار".

وتحقيقًا لهذا الغرض، اشترى الأب "لاندمان" سنة 1847 خمسمائة هكتار من الأراضي الزراعية قرب قالمة، وأنشأ عليها مشروع قرية فلاحية، على غرار ما فعله "الإخوة لاتراب" في سطاوالي، وأقام بها ملجأ للأيتام والمشردين من أبناء الجزائريين، تتراوح أعمارهم بين الثانية عشر والثامنة عشر، يعملون في الأرض ويتعلمون القراءة والكتابة ومبادئ الدين المسيحي[250]، وكان يشرف عليهم ويقوم بتعليمهم خمسة من الرهبان، وقد شجع المارشال "سولت" مشروع الأب (لاندمان)، وساهم فيه بمبلغ عشرين ألف فرنك[251].

لقد تضاعفت جهود الكنيسة لتعليم الجزائريين المسيحية محاولة إضعاف الإسلام، ولم تستطع استقطاب اهتمام الجزائريين، وهذا بسبب التعليم العمومي الفرنسي الذي أصبح منافسا شديدا للكنيسة اذ يفرض على التلاميذ دراسة مادة التربية الدينية المسيحية، إلى جانب التراتيل الدينية التي يقوم بها التلاميذ يوم الثلاثاء والسبت من كل أسبوع[252]،كما أن المدارس التي أنشأها الفرنسيون في الجزائر ذات صبغة دينية مسيحية، و كانت تعلق على جدرانها صور المسيح والصليب[253]، وهي عوامل زادت من نفور الشعب الجزائري المسلم.

كما تمكنت بعض المدارس من استمالة بعض الأطفال الجزائريين للدراسة فيها، إلا أن محاولة المعلمين المبشرين القيام بتنصيرهم، أدت إلى غضب[254] الجزائريين عليهم، وتقديم الشكاوى ضدهم إلى السلطات الاستعمارية.

ومع ذلك استمرت المحاولات، ومنها التي وقعت بمنطقة القبائل من طرف الجزويت الذين دخلوا جرجرة سنة 1863م، وقد قام أحدهم وهو الأب "كروزات" (Père Crouzat)

---

[250] -نفسه، ص ص81-62

[251] - بقطاش، مرجع سابق، ص92.

[252] - N. Klein, **feuillets d'Eldjazair, l'enseignement à Alger depuis la conquête**, souvenir divers, Paris, imp. Fontana, 1920, p12.

[253] - Yvonne Turin, **la commune d'Alger et ses écoles en 1871**, revue historique n°496, Paris, Oct-Nov 1970, PUF, p91.

[254] - Ibid, p71.

بفتح قاعة للدراسة في معبد بالأربعاء ناث إيراثن، وجلب إليها بعض الجزائريين لتعليمهم اللغة الفرنسية، ولكن السلطات العسكرية عارضته وأجبرته على إخلائها[255].

وبهذا تعتبر الفترة الممتدة من 1830م إلى 1867م هي فترة اختبار للمجتمع الجزائري، وفترة بحث عن نقاط يمكن التسلل من خلالها ، ومراقبة ردود فعله على المحاولات التعليمية التنصيرية.

لافيجري ودوره في التعليم المسيحي

توفي المطران بافي "Pavy" أسقف الجزائر السابق سنة 1866م، وعين خلفا له المطران لافيجري "Lavigerie"، الذي يعتبر بأن الجزائر هي البوابة التي من خلالها تنشر المسيحية في إفريقيا[256].

وقد برز لافيجري بشكل خاص في مجاعة 1867م – 1869م، فأقام الملاجئ للمشردين من أبناء الجزائر قصد معالجتهم وتنصيرهم، وبنى قرى عربية مسيحية واشترى أراضي واسعة في العطاف، وأسس قريتين كبيرتين بها، وبدأ في التعليم والتنصير واستعمال الجزائريين أنفسهم في التبشير.

لقد وجد لافيجري التشجيع والمساعدات من انكلترا، وبلجيكا، وإسبانيا، وإيطاليا، وبابا الفاتيكان، ومن الكنيسة البروتستانتية، والدعوة أيضًا إلى جلب الموارنة المسيحيين من لبنان للدعم ونشر المسيحية في الجزائر[257].

كان التعليم المسيحي في عهد لافيجري يقتصر على القراءة والحساب، ونشر الوطنية الفرنسية فقط لكي لا يتعلم الجزائري أشياء كثيرة، وقد يؤدي به نجاحه إلى شيء آخر غير الزراعة، لأن لافيجري يريد ربط الجزائريين بالأرض، وجعلهم مساعدين للمعمرين الفرنسيين، وتحقيق إدماج الجزائر في فرنسا عن طريق المسيحية[258].

---

[255] - Philippe Antony, **missions d'Afrique des pères Blancs (Tunisie, Algérie, Kabylie, Sahara)**, Paris, dillen et cie, 1931, p64.

[256] - Cardinal Lavigerie, **œuvres pastorales**, Vol III, compte rendu au page Léon XIII date de Mai 1878, Alger, imp. sd, p31.

[257] – بقطاش، مرجع سابق، ص ص93-113.

[258] - A. Grussen Meyer, **le cardinal Lavigerie**, édit Jourdain, Alger 1888, p155.

وظهرت بعد ذلك جمعيات، كجمعية الآباء اليسوعيين (الجزويت) التي تعتبر نواة التعليم التبشيري (الأهلي) في الجزائر، وكانت تهدف إلى تكوين المعلمين المبشرين، ثم تأسيس المدارس لاستقبال أبناء الجزائريين.

إن فكرة إنشاء جمعية تبشيرية كانت نابعة من الأب اليسوعي جيرار (P. Gérard) الذي كان مدرسًا بالقبة، وذلك في شهر ديسمبر من سنة 1867م، وعندما تبنى لافيجري المشروع، أوكل أمر تكوين المنخرطين الأوائل في هذه الجمعية إلى الآباء اليسوعيين. واستمرت الأمور على هذه الطريقة حتى تمكنت الجمعية الجديدة من الاعتماد على أعضائها في تكوين المعلمين المبشرين[259].

أما النشاط الثاني لجمعية الآباء اليسوعيين والمتعلق بالتبشير بين صفوف الجزائريين، فيتمثل في تأسيس المدارس لاستقبال أبناء الجزائريين فيها والعمل على تنصيرهم.

ويلاحظ أن اليسوعيين كانوا أول من وصل منطقة القبائل (جرجرة) من المبشرين، وأول من حاول الاعتماد على التعليم كوسيلة للتبشير بين سكان المنطقة[260].

لقد اعتمد المبشرون على عدة وسائل لتقريب الأطفال الجزائريين إلى مدارسهم، وكانت البداية النشيطة سنة 1867م بعد المجاعة واستغلال الجوع والفقر، وإقامة ملاجئ لليتامى والفقراء، وتقديم المساعدات المادية لذوي الحاجة، وحتى المرضى لم ينجو من دعوتهم إلى المسيحية، وكان لافيجري يحمل الإنجيل في يمينه، والدواء والخبز بيساره، ويجمع الأطفال ويدخلهم إلى مدارس الكنائس[261].

---

259 - Lavigerie, **œuvres pastorales**, Op. Cit p32.

260 - Paul Le Sourd, **les pères blancs du cardinal Lavigerie**, Bernard Grasset, 1935, p69.

261 - Minerville , Op .Cit, p367.

البرامج والمواد المدرسة :

إن هدف النشاط التعليمي التبشيري هو تنصير أبناء الجزائر، والاعتماد على التعليم العام (الابتدائي) للأطفال دون تحديد معين للسن، ثم يوزعون إلى ثلاث فئات، الكبار، المتوسطون والصغار[262]. الصغار يلقنون الحروف الأبجدية، المتوسطون يعلمون المبادئ الأولى للنحو والحساب، الكبار دراستهم كانت مثل ما يطبق في التعليم العمومي الحكومي، أما التعليم الحرفي فكان يركز على الزراعة لأنها هي المورد الدائم للرزق، وبذلك يستطيع المتعلم أن يعتمد على نفسه في كسب عيشه، دون أن يحتاج إلى مساعدة غيره، وبذلك يؤهله المبشرون ليحافظ على نصرانيته، كما كان التركيز الكبير على تعليم زراعة الكروم التي تصنع منها الخمور[263].

علاقة الإدارة الاستعمارية بالمبشرين :

تحكمت عدة عوامل في طبيعة علاقة الإدارة الاستعمارية بالمبشرين، ومنها قرار سلطات الاحتلال إنشاء مدارس عمومية في منطقة القبائل، فثار المبشرون ورفضوا ذلك واعتبروها وسيلة لإبعاد التلاميذ عن مدارس المبشرين وتعمير المدارس الرسمية.

أما العامل الآخر فهو تهريب الأطفال الجزائريين من طرف الآباء البيض ورجال الجزويت، واحتجاج الجزائريين على ذلك.

لقد رفض الوالي العام (ماك ماهون) سياسة لافيجري خوفا من المقاومة الجزائرية[264]. فحذر الأسقف قائلاً : "إذا علم الأهالي بواسطة الصحافة أنكم تريدون تنصيرهم بالقوة وإبعادهم عن بلادهم، أفلا يقولون بأنكم تريدون اغتنام هذه الفرصة التعيسة التي يعانون منها، ليضحوا بدينهم في مقابل الخبز الذي قدمتموه لهم". فرد لافيجري بعنف على رسالة

---

[262] - Le Sourd, op.cit, p241.

[263] – وعلي محمد الطاهر، **التعليم التبشيري في الجزائر**، منشورات دحلب، الجزائر 1997، ص142.

[264] – التميمي عبد الجليل، **الحركة التبشيرية في تونس**، مجلة الأصالة، العدد 30، محرم، صفر 1396، جانفي، فيفري 1976م، ص ص49-61.

ماك ماهون : "إن هؤلاء الأطفال هم لي، لأن النفس التي هي فيهم أنا الذي حافظت لهم عليها، إذن فإن القوة وحدها هي التي يمكن أن تأخذهم من مآويهم".

وفي الواقع إن الأولياء لم يطلبوا أطفالهم الذين استولى عليهم لافيجري، وذلك لأنهم هلكوا عن آخرهم، وكانت أعمار اليتامى تتراوح بين الثامنة والعاشرة، وبلغ عددهم 1753 طفلا في أول الأمر، إلا أنهم مات عدد منهم بسبب المجاعة والتعب، فبقي 700 طفل فقط وزعهم لافيجري بين عدة ملاجئ، وفي سنة 1870م بعث بعدد منهم إلى روما حيث تم "تعميدهم"[265].

إن الإدارة الاستعمارية قدمت دعما مباشرًا وغير مباشر للتعليم المسيحي، وكان الاختلاف مع لافيجري بسبب الكيفية والطريقة التي يجب أن تحقق إدماج الشعب الجزائري في الثقافة الفرنسية، وتحقيق السيطرة عليه، وهكذا ترى فئة أنه إذا تنصر هذا الشعب سهل أن يصبح فرنسيًا، ويرضى بواقع الاحتلال المفروض عليه، بينما ترى فئة ثانية أنه إذا أصبح فرنسيًا عن طريق إبهاره بمجد فرنسا وعظمتها، فبإمكانه بعدئذ أن يعتنق المسيحية، وبذلك تصبح سيادة فرنسا على أرض الجزائر نهائية.

لقد استمرت الكنائس في بناء المدارس وكان الجزائريون يفضلون تعليم أبنائهم في المساجد والزوايا الصلاة وحفظ القرآن، وكانوا يغضبون أشد الغضب عندما يخاطبهم المبشرون في المسيحية وتعاليمها، كما كانوا ينظرون إلى مدارس المبشرين بعين الحذر والحيطة.

لهذا اضطر المبشرون إلى غلق مدارسهم في بعض القرى، لما فشلوا في استقدام الأطفال إليها[266].

وهكذا بلغ عدد المدارس المسيحية 87 مدرسة سنة 1880م، وبدأت بعد ذلك في التراجع شيئًا فشيئًا، حتى اختفت وحل محلها التعليم العمومي الرسمي[267].

---

265 –التميمي،**الحركة التبشيرية**، مرجع سابق، ص49-.

266 - Philippe Antony, **missions**, op.cit, p101.

267 -G.G , **Le centenaire**, op.cit, p24.

ثالثًا : التنظيم الإداري

1 – التنظيم الإداري للتعليم :

إن تنظيم التعليم في الجزائر خضع لجهاز إداري متغير وغير مستقر، وأدخلت عليه عدة إصلاحات من فترة إلى أخرى، وهذا بسبب استمرار المقاومة الجزائرية وعدم استقرار الاستعمار. ففرنسا كانت تحاول دومًا إيجاد تنظيم يتلاءم مع كل ظرف ومرحلة، وكان التعليم كباقي المجالات خاضعًا لوزارة الحربية، وكان يشرف عليه مفتش بدأ ممارسة مهامه منذ قرار دو روفيقو في سنة 1832م، بحيث أن التوجيهات كانت منصبة على رعاية أبناء المعمرين، وبعد 1844م ظهرت مصلحة مفتش الأكاديمية التي يقوم بها مفتش ابتدائي.

إن الفترة الحاسمة في تنظيم التعليم الفرنسي في الجزائري هي سنة 1848م، وظهور قرار السلطة التنفيذية في 16 أوت/5 سبتمبر 1848م لإنشاء أكاديمية الجزائر[268] تحت رئاسة دولاكروا. أصبحت إدارة التعليم في المدارس الفرنسية والإسرائيلية تابعة لوزارة التربية والتعليم، واستمر التعليم العربي خاضعا لوزارة الحرب.

ويساعد مدير الأكاديمية مفتشان، وكان التعليم الابتدائي يخضع إلى مراقبة خاصة من طرف مفتش ابتدائي، يقيم بكل عاصمة ناحية. أما عن تعيين المعلمين[269] والمعلمات، فإنه يتم من طرف مدير الأكاديمية اوتوكيل وزاري[270]

استمرت الأوضاع العامة للتعليم ميدانيا تابعة لوزارة الحربية إلى سنة 1875م، حيث سيتكفل بعد ذلك مدير الأكاديمية بكل أنواع التعليم، وحتى الخاص بالجزائريين، ويكون ذلك بإشراف الحاكم العام العسكري[271]. وبعد ذلك اختفى تدريجيا ما كان يسمى بالتعليم العربي الفرنسي، وأصبح تعليما واحدا يعتمد على المتخرجين من المعاهد الفرنسية. هذا بالنسبة للتعليم الابتدائي، أما التعليم الثانوي والعالي والمعاهد المختلفة، فقد أصبحت أيضا تابعة لمدير الأكاديمية الذي تطورت مهامه وتشابهت بما كان قائما في فرنسا. أما من حيث

---

[268] - Ibid, p25.

[269] – زوزو، مرجع سابق، ص225.

[270] – لمعرفة قائمة وأعمال مدراء الأكاديمية من 1848م إلى 1908م، انظر :

G. Benoit, **de l’instruction et de l’éducation**, op.cit, p43

[271] - Mourlan, op.cit, p32.

إنشاء المدارس أو بناء قاعات الدراسة، فقد استمرت من اختصاصات الحاكم العسكري العام وبواسطة ممثلين عن وزارة التعليم العمومي.

أصبح بعد سنة 1872م، ينوب مدير الأكاديمية مفتش لكل منطقة من المناطق الثلاث، بما في ذلك الجنوب[272]، وكان لمفتش الأكاديمية تقريبا نفس صلاحيات مدير الأكاديمية، له كامل الصلاحيات في إدارة التعليم الابتدائي والثانوي الفرنسي بجميع أنواعه، باستثناء التعليم المهني الذي استمر تابعا لمديرية التجارة للحاكم العام العسكري[273].

2 – الميزانية :

تشير مختلف الوثائق[274] التابعة للاستعمار، كمنشورات الأخبار وكشوف وزارة الداخلية والمجلس الأعلى للدولة والحكومة العامة، بأن ميزانية سنة 1860م قد خصصت 335000 فرنك للتعليم العمومي، وتراجع هذا المبلغ إلى 21700 فرنك سنة 1870م، وقد كان مرتب المعلم الابتدائي 600 فرنك أما الأستاذ الجامعي 2500 فرنك،

إن المصاريف المخصصة للتعليم العمومي بمختلف مستوياته، في معظمها توجه للتعليم الابتدائي، وتأتي من ميزانية البلديات أو من الميزانية المحلية، وكان أحيانا يقتطع جزءًا منها لتغطية عجز في بعض القطاعات، كما كان في سنة 1853م، إذ استقطع مبلغ 28500 فرنك لمساعدة الإدارة المحلية[275].

لقد سجل تراجع كبير في مبلغ الميزانية المخصصة لتعليم الجزائريين، خاصة بعد سنة 1860م، بسبب تدخل وضغط المعمرين الذين كانوا يرون في نشر التعليم في جزائر، بنوعيه العربي والفرنسي هو عمل يهدد مصالحهم، لذلك قررت الإدارة الاستعمارية مرارًا حذف بعض المبالغ المخصصة للتعليم، من ميزانية المجالس البلدية، وهذا بحجة التخفيف عن

---

[272] -G.G, **Le centenaire**, op.Cit, p26.

[273] - Ibid, p27.

انظر : Estonblou et le febre, code de l'Algérie annoté (1830-1895), Alger 1896, p113

[274] – انظر :

- Conseil Supérieur du Gouvernement, session ordinaire année (1860-1870), **Procès verbaux**, Alger.
- Ministère de l'intérieur, **Bulletin officiel** (Alger 1860-1870).
- **Akhbar**, 22ème année 14 février 1860, Alger.

[275] – نجد الميزانية قد خصصت في هذه السنة 580000 فرنك للسجن، 949000 فرنك للقضاء، 802000 فرنك للنشاط الكاثوليكي، 1029000 فرنك للإدارة، انظر Mourlan, op .Cit ,P 32 .

الاقتصاد، والتقليل من النفقات وعدم التبذير. وفي الوقت نفسه نجد السلطة الاستعمارية قد زادت من ضغوطاتها على الجزائريين، حتى وإن كانوا يساهمون بنسبة 13% من الضرائب في دخل الخزينة العامة، وبنسبة 18% من دخل صناديق العمالات الثلاث وبنسبة 80% في دخل البلديات[276]، وقد أدى هذا إلى تدهور وضعية رجال التعليم، خاصة الجزائريين منهم الذين قلت مواردهم وأصبحوا يقيمون في مساكن حقيرة، وحتى أكلهم كان بسيطًا جدًا[277].

رابعًا : البرامج التعليمية

إن البرامج الفرنسية الخاصة بالتعليم كانت دوما محل نقد، واتهامها بأنها سبب نفور الجزائريين من التعليم الفرنسي، وضعف مستوى المتخرجين من الأوروبيين واليهود لذلك ظهرت عدة كتب خاصة بالقراءة وموجهة للتلاميذ الجزائريين، متجاهلة العادات والتقاليد والحضارة العربية الإسلامية، ومركزة على الحضارة الفرنسية[278].

بالإضافة إلى ذلك، كانت لا تستجيب ولا تتماشى مع الظروف المتغيرة، وتميزت بالتغير مع كل إدارة عسكرية جديدة تقريبا، وكان أحيانا يترك المعلم حرًا غي اختيار البرامج دون مراعاة تكوينه وميوله، ويشترط استجابة وفهم التلاميذ فقط[279].

إن المواد التي ركزت عليها هي اللغة الفرنسية، والعربية، والدين الإسلامي، والمسيحية، والقانون، والتكوين المهني، والخياطة، والطرز للبنات، ونجدها في نهاية الفترة الأخيرة قد اهتمت تقريبا بكل المواد، باستثناء اللغة الفرنسية التي يجب أن تفهم بالنطق والتكلم أو المحادثة، أفضل من التركيز على القواعد والصرف المعقد والصعب، بالإضافة إلى التركيز على بعض الأهداف البارزة في تاريخ فرنسا[280].، فتشد بها عقل التلميذ الجزائري وتحاول فصله عن مجتمعه.

---

[276] - رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس ،رائد الاصلاح و التعريب في الجزائر** ،الجزائر 1981 ص139

[277] - Poulard, op.Cit, p60.

[278] - **B.E.I.A.A** n°68, Décembre 1898, Alger, p177.

[279] - **B.E.I.A.A**, op.cit,n°68 , p178.

[280] - Paul Bernard, ″**les écoles indigènes devant l'opinion publique**″, B.E.I.A.A n°57 janvier 1898, Alger, p14.

بالإضافة إلى قليل من الجغرافيا لمعرفة الجزائر وفرنسا ومعارف بسيطة في الحساب، ويكون ذلك عن طريق المحادثة الشفهية وتتم الإشارة إلى بعض الخوارق الطبيعية، كالزلزال والبراكين وبعض المعارف الفلاحية والأعمال اليدوية، وأقصى ما يريده الاستعمار هو تكوين تلميذ يستطيع أن يتكلم الفرنسية ويكتب رسالة ويتعرف على قياس المساحات والأحجام، ليكون في خدمة المعمر الذي كان يؤكد دوما بأنه لو لم يكن الجزائري موجودًا، لكان من المفروض خلقه وإيجاده لخدمة الاستعمار، وأنه سبب استمراره في الجزائر. عملت فرنسا على تخريب اقتصاد الجزائريين وإفقارهم، لذلك كانت البرامج المدرسية تركز على توفير يد عاملة طبيعية وسهلة وغير مقاومة، يمكن التحكم فيها برغيف من الخبز، وكان العمل يهدف أيضا إلى تكوين عامل بسيط مفيد ميداني، يختلف اختلافا كبيرًا عن أبناء المعمرين[281].

سُجل نفور كبير للجزائريين من هذه البرامج، وحاولت فرنسا معالجة ذلك بتبسيطها وتقليل موادها وتخفيض مستواها، وكانت المهمة هي التوجه ومخاطبة أكبر عدد ممكن من الجزائريين باللغة الفرنسية، التي ستكون العامل الموحد لمختلف العناصر البشرية ويكون ذلك بالمدرسة وفي المدرسة[282].

اللغة الفرنسية واللغة العربية :

اللغة الفرنسية في مختلف المراحل كانت العمود الفقري الذي يعتمد عليه الاستعمار، خاصة في المرحلة الابتدائية التي كانت تكرر بها المواد ثلاث مرات للتمكن من اللغة، لأنها الانطلاقة الأساسية والضرورية لمعارف بسيطة ومختصرة ومرتبطة بالميدان التطبيقي والحرفي، وكان التحذير دوما من عدم الغوص في أسرار اللغة ليتمكن التلميذ من فهمها ونطقها بسهولة[283].

[281] - Poisson, ″**caractère de l'enseignement dans les écoles indigènes**″, B.E.I.A.A n°1, mai 1893, p6.

[282] - paul, Bernard,″**Organisation pédagogique et programme du cours normale de Bouzaréa**″, B.E.I.A.A n°135, juillet 1904, p116.

[283] - P, B, ″**de quelques méthodes d'enseignement des langues**″ B.E.I.A.A n°60, avril 1898, p49.

إن مختلف التطبيقات حسب الكتب الفرنسية، تركز على مواضيع ملموسة ومتوفرة وممكنة، وليست عقلية أو مجردة[284]، واستعملت أحيانا بعض الحصص للألعاب والمحفوظات والقصص لمعرفة اللغة الفرنسية بسرعة وبسهولة لتضمن فرنسا، كما تدعي بأن اللغة والسيطرة على عقول الجزائريين هي ضمان السيطرة على الأرض[285].

حاولت فرنسا أن تبعد اللغة العربية، وذلك بعدة إجراءات كمنع استعمالها في المجالات الرسمية، وعدم استعمالها في التعليم واتهامها بالعجز والجمود والصعوبة، وأنها لا تتجاوب مع الحضارة الحديثة ولا تتسع للعلوم العصرية، عكس اللغة الفرنسية التي تتميز بسلامتها وعذوبتها كالماء الصافي في سواقيه المصقولة[286]. واستمرت فرنسا تعامل اللغة العربية كلغة منهزم، وبعيدة ومنفصلة عن الدين الإسلامي[287]، وكانت تحتل مكانة ضئيلة في البرامج، وعدة ما تكون اختيارية وليست إجبارية، وكثيرًا ما لجأت الإدارة إلى تنظيم حصص لمن يطلبها مع دفع ثمنها للمدرسين الرسميين، وكانت الطريقة والهدف فرنسي الشكل والمضمون[288].

ولم تقرر المناهج تدريس العربية الفصحى، حتى كلغة أجنبية مثل الإنجليزية أو الإسبانية أو الألمانية، ومُنع تعليمها بنص القانون حتى خارج مدارس التعليم الفرنسي، وأصبح تعليم اللغة العربية الفصحى خيانة من واجب سلطات الاحتلال أن تتابع أو تسجن من يثبت عليه تعليمها أو تعلمها، وحتى المدارس الرسمية التي اتخذت صفة التعليم العربي، كانت لا تدرس اللغة على أساس لغة حضارة وعلم، وإنما كان الاكتفاء بمعارف بسيطة في شؤون القضاء، ومعارف في القواعد بالعربية لكي تساعد الموظفين مستقبلا على ترجمة النصوص الإدارية، وكانت اللغة العامية هي السائدة وبعيدة عن العادات والتقاليد ومقومات الجزائريين، ليكون نوعا من التقارب بين الجزائريين والأوروبيين، وتشير مختلف التعليمات

---

[284] - A. May, ″**une méthode de lecture au cours préparatoire des écoles indigènes**″, B.E.I.A.A, 1899, p4.

[285] - P , B, ″**du choix des morceaux de récitation**″, B.E.I.A.A, novembre 1905 n°151 p173.

[286] – ابن نعمان، **التعريب بين المبدأ والتطبيق**، ش. و. ن. ت، الجزائر بدون تاريخ، ص166.

[287] - Mostefa Lachraf, ″**la culture entre l'idéologie coloniale dominante et l'idiologie de libérations des peuples** ″, Ec. Djeich n°138, novembre 1974, p12.

[288]-. اجرون ،**الجزائريون المسلمون** ،مرجع سابق ،ص ص 610-611

إلى ضرورة استعمال نفس التمارين المستعملة بالفرنسية – بالعربية ليستطيع الجزائري فهم الحضارة الغربية بسهولة[289].

ركزت البرامج بأساليبها المعتمدة على العربية الدارجة السهلة للأوروبيين وضرورة تعلمها، لتسهيل تعاملهم مع الجزائريين، ويصرح بعض الاستعماريين بأن مهمة الفرنسي المنتصر هي القضاء على لغة المنهزم، وهذا بتشجيع اللغة الدارجة كمرحلة أولية، ثم التركيز على القبائلية للتفرقة بين الجزائريين وإضعاف لغتهم وثقافتهم وسيطرة اللغة الفرنسية[290].

التاريخ :

أعطت البرامج أهمية كبيرة لتدريس التاريخ، وكان يشمل المواضيع الآتية : الجزائر في العهد النوميدي، بلاد الغال، المسيحية في بلاد الغال والجزائر، تاريخ الحضارة الفرنسية، العرب، الاسلام وانتشاره في الجزائر واسبانيا، بعض الخلفاء الراشدين، الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي، شارلمان وقوته واتساع إمبراطوريته، الحكم العثماني في الجزائر[291] .

إن تناول ودراسة هذه المواضيع، كان يعتمد على إظهار نقاط الضعف والتخلف عند الجزائريين والعرب والمسلمين، وإيزار قوة وتطور وإنسانية الرومان والفرنسيين، حتى ولو كان ذلك بالتلفيق والكذب، وهكذا فإن التاريخ يهدف إلى بناء وبلورة أفكار الجزائريين حسب ما يريده الاستعمار، وذلك من خلال التركيز على أحداث التاريخ الفرنسي الناجحة، والإيجابية، والشخصيات التي تفتخر بها الأمة الفرنسية. وبالإضافة إلى ذلك، كان التركيز على الفترات التاريخية المضيئة لتبهر بها العقول الصغيرة للتلاميذ الجزائريين، الذين يعيش معظمهم في بؤس وشقاء، وكانت البرامج تتفادى قدر المستطاع الأعمال الوحشية التي قامت بها فرنسا أثناء مقاومة الجزائريين لها، خاصة في عهد الأمير عبد القادر ولالة فاطمة نسومر، والهدف الأساسي هو ترغيب التلاميذ لمحبة فرنسا[292]. ويؤكد

---

[289] – ابن نعمان، مرجع سابق، ص167.

[290] .- اجرون ،**الجزائريون المسلمون**، مرجع سابق ،ص.611

[291] .- اجرون ،**الجزائريون المسلمون**،مرجع سابق،ص 948

[292] - p,Siadoux, **quelques reflexions aux sujets de l'enseignement de l'histoire à l'ecole indigene** ,B.E.I.A.A. n°9 janvier 1894.P 2

بعض الاستعماريين بأن هناك أشياء وأحداث يجب على الفرنسيين معرفتها، ويشترط أن لا يعلّموها للجزائريين، لكي يبقى الجزائري مرحبا ومفتخرا بحماية أكبر وأغنى وأكثر دولة تحضرًا وإنسانية في العالم، وتصبح باريس في نظر التلاميذ أجمل مدينة عالمية[293]. وكانت توصيات العسكريين تؤكد على أنه يجب أن يكون كل درس في التاريخ بمثابة اللبنة الجديدة لاكتمال بناء الدولة الاستعمارية، بالإضافة إلى ربط كل الأحداث العالمية بتاريخ فرنسا وقوتها، إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[294]. وكان العمل أيضا هو التعريف بتاريخ فرنسا والجزائر بشكل متوازي لتكوين نوع من مركب الضعف عند التلاميذ، بعد مقارنتهم لمختلف الأحداث وبين قوة فرنسا وتأخرهم[295].

إن التركيز أيضا على بلاد الغال وإبراز أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتشبيهها بأوضاع الجزائريين خاصة بمنطقة القبائل، ثم يشار إلى الغزو الروماني الذي يشبه الاستعمار الفرنسي، وأنه متحضر استطاع القضاء على التوحش والبربرية السابقة. وهكذا تظهر لدى التلاميذ فكرة وهي رحيل فرنسا عن الجزائر معناه العودة إلى البربرية والفقر والجهل، أما بقاؤها فيعني استمرار التطور والتحضر[296]. وذهبت فرنسا أكثر من ذلك، حيث أكدت بأن أجداد القبائل هم الغاليون، وتأثر بعض الجزائريين بهذا التوجيه فكتب يقول : "إن العرب والقبائل لم يكونوا عبر التاريخ قومية واضحة ومتميزة، وأن الشعب الجزائري توحد بالقوة خلال فترات تاريخية، أما الجزائر فليست إلا مفهوما جغرافيًا"[297].

إن مختلف المراحل الدراسية تربط فترة التاريخ الروماني بالتاريخ الفرنسي، ولا تشير إلى الفتوحات الإسلامية إلا باختصار شديد، وتبين العهد العثماني بأنه فترة فساد ورشوة وأن فرنسا جاءت لتعيد المياه إلى مجاريها[298]. وتناست دور الجهاد البحري الجزائري الذي سيطرعلى البحر الأبيض المتوسط، و أخاف الأوروبيين، فعقدوا مؤتمر فيينا سنة 1815م.

---

[293] - Charles Saint Calbre, ″**quelques réflexions sur l’enseignement de l’histoire et de la géographie d’indigènes** ″, B.E.I.A.A 1897, p130.

[294] - Calbre, op.cit, p131.

[295] - Paul Bernard, **une excursion en Grande Kabylie**, Revue Pédagogique, T42, janvier, juin 1903, p49.

[296] - Frantz Fanon, **les domaines de la terre**, Maspero 1970, p145.

[297] – اجرون، **الجزائريون المسلمون**، مرجع سابق.ص ص494–502

[298] - Calbre, op.cit, p132.

خامسًا : المواقف المختلفة من النشاط التعليمي الفرنسي

1 – موقف المعمرين والإدارة الاستعمارية :

بدأت معارضة المعمرين الأوروبيين لتعليم الجزائريين منذ سنة 1850م، تاريخ صدور المراسيم والقوانين القاضية بتأسيس المدارس للجزائريين، واعتبرت هذه المعارضة أن تعليم الجزائريين لا يعود بالفائدة للمستعمر، بقدر ما يجلب لها الأخطار، وعلى هذا الأساس أهملت الحركة التعليمية الفرنسية العنصر الجزائري واهتمت بالأوروبيين واليهود [299].

ويعلل الأوروبيون موقفهم إزاء الجزائريين بأنه "كلما خرجنا كلما نستقبل بنادق هؤلاء الوحوش الذين لا يريدون التحضر"، وكان بعضهم يرى أن العامل الفعال لازدهار المستعمرة، وتحقيق راحة المعمرين هو إبعاد الجزائريين وطردهم إلى الصحراء، وكلما كان يطرح في المجالس والاجتماعات موضوع تعليم الجزائريين، كانت ترتفع أصوات المعارضة وموجات الغضب في صفوف الأوروبيين، ورفض البعض الآخر هذا التعليم لأنه قادر على خلق نوع من التقدم والتفتح في عقول الجزائريين التي ظلت لحد الآن خاصة بقراءة القرآن[300].

يدعي بعض الفرنسيون بأن الجزائري ينتمي إلى جنس منحط، ولا يمكن تغييره، ويرفض التقدم وغير قابل للتعلم، ذلك يوجب تأهيله للعمل وخدمة المعمر. كما يرى المعمرون بان تعليم الجزائري لا يؤدي إلى شعوره بأنه فرنسي حتى ولو تجنس بالفرنسية، وبالتالي فإدماجه عن طريق المدرسة غير مجدي، ويصرحون بأنه لا نستطيع أن نجعل الجزائريين يفكرون بالفرنسية حتى إذا علمناهم القراءة والكتابة باللغة الفرنسية[301].

---

299 - Y. Turin, **affrontements**, op.cit, p198.

300 - V. de Ring, **les colons Français en Algérie et les écoles indigènes**, in nouvelle revue 1897, p7.

انظر أيضًا :

Poulard, op,cit,p 38

301 - Turin**,Affrontements,**op.Cit ,PP260-262

كما يدعي البعض بأن تعليم الجزائريين يؤدي إلى تفكك الأسر المسلمة، وتقضي على الأخلاق والتقاليد، ويخرج الأطفال عن طاعة أوليائهم ورؤساء القبائل وأعيانها بعد التعود على المدرسة، وبالتالي يصبحون مستعدين دائمًا للقيام بالثورة، كما أن الأوروبيين يخافون الجزائري المتعلم، لأنه عنصر خطير وعامل لغير صالحهم.

كما أن نشر التعليم بين الجزائريين يعني للمعارضين تكوين وتخريج سياسيين وإطارات عسكرية جزائرية، تقود في النهاية إلى ثورة ضد الاحتلال[302] .

لم يكن المشاركون في المقاومة الشعبية الجزائرية من خريجي المدارس الفرنسية، لأن المقاومة ظهرت بدخول الفرنسيين الجزائر، وكان غضب الجزائريين نتيجة الهمجية الاستعمارية، وليس نتيجة المدارس والتعليم، وشهد شاهد من أهلها عند تصريحه بأنه لم تكن توجد مدرسة في منطقة الأوراس عندما اندلعت مقاومة 1879م [303].

ويقول بعض الفرنسيين بأن الأسر الجزائرية لا تريد تعليم أبنائها، لأن هؤلاء الأطفال عند تعلمهم لا يفكرون إلا أن يصبحوا موظفين في الإدارة الفرنسية، أو ينخرطون في الجيش الفرنسي بعد أن يهجروا قراهم، وهكذا تجعل منهم المدرسة فئة منفصلة عن المجتمع، كما تكون المدرسة بنات جزائريات منحرفات يصبحن مرفوضات من الشعب الجزائري[304].والواقع عكس ذلك، لأن الفرنسيين لم يكونوا يسمحون للجزائريين بتولي المناصب الإدارية العالية وحتى البسيطة. كما كان الاستعمار هو الذي يفرض على الجزائريين عدم إرسال أبنائهم إلى المدرسة والاستمرار في خدمة الأرض[305].

302.- اجرون، **الجزائريون المسلمون**،مرجع سابق ،ص584.

303 - B. E. I. n°24, Op.Cit, p29.

304 – اجرون ، نفسه ،ص 944

305 – يشير موريس بولار إلى خمسة حجج لرفض التعليم للجزائريين. انظر : paulard, op.cit. P 37

لم يكن يهم المعمرين من تعليم الجزائريين إلا ما يخدم مصالحهم، أي إعطاؤهم التعليم الأولى لاستعمالهم واستخدامهم في الأعمال الفلاحية بأجور زهيدة لمنافسة اليد العاملة الأوروبية غير الفرنسية.

وقد أشار في نفس السياق المفتش الابتدائي لمدينة سطيف في تقرير له ما يلي : "لا يجب إعطاء التعليم الكامل للعرب والقبائل، لأننا لا نريد أن نجعل منهم علماء أو عاطلين عن العمل أو متمردين".

ويلح بعض الاستعماريين على إعطاء التعليم الفلاحي والمهني الذي يتلاءم مع المجتمع الجزائري، لأن وظائف الأعمال الثقافية غير متوفرة، فبدلا من البرامج المستوردة من باريس والمناهج الابتدائية التي ليست في مستوى عقول الجزائريين، يجب أن يكون التعليم الفلاحي والمهني الذي يتناسب مع احتياجات هذا البلد. كما يؤكد البعض الآخر بضرورة التعريف بماضي فرنسا وقوتها الاقتصادية والعسكرية[306]، عن طريق تعليم اللغة الفرنسية، وبعض المبادئ الأولية في التاريخ والجغرافيا، أما التعليم المهني الضروري، فكان الهدف منه تزويد المعمرين بخدام ومزارعين وبنائين وغيرهم، ويجب على التعليم الخاص بالجزائريين أن يحقق غايتين أساسيتين : الغاية الأولى أن يكون التعليم تطبيقيا حتى يضمن يد عاملة يستفيد منها الاستعمار، أما الغاية الثانية هي أن يكون فعالا وسياسيًا وقادرًا على غرس فكرة الخوف من فرنسا في أذهان الجزائريين، وإعطاء صورة كبيرة عن قوتها وقدرتها العسكرية[307].

2 – موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي :

معظم الجزائريين رفضوا إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، لأن ذلك مرتبط ارتباطًا وثيقًا بموقفهم الوطني الرافض للاحتلال الفرنسي. وكان الاعتقاد السائد بأنه كلما

فتحت مدرسة فرنسية جديدة، هو محاولة جديدة لتسخيرهم للاستعمار ومحاولة لتنصيرهم.

306 - A. Merad, op.cit, p610.

307 -V. de Ring, op.cit, p12.

إن الإدارة الاستعمارية قد حرصت على إدخال بعض المواد في التعليم الفرنسي، مثل الفقه والتوحيد، وتعيين إمام في كل مدرسة ليصلي بالتلاميذ الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، ورغم ذلك اعتقد البعض بأن تعلم لغة النصارى كفر وضلال[308].

ومن الأدلة القاطعة على نفور الجزائريين من التعليم الفرنسي، لجوء الإدارة الاستعمارية إلى شتى الوسائل لجذبهم إلى مدارسها، ومن بينها توزيع المكافآت على الذين يتفوقون في التعلم، بالإضافة إلى إرسال بعض التلاميذ الأكفاء والمتفوقين إلى بعض المدارس العليا بفرنسا[309]، حتى تقوم بغسل أمخاخهم وتحويلهم إلى آلات طباعة لخدمة مصالحها وأهدافها مثل بلقاسم بن سديرة.

أما العناصر الجزائرية التي كانت تطالب بالتعليم الفرنسي، فكانت فئة قليلة العدد، وغير فعالة على المستوى الاجتماعي، ولا يمس تأثيرها كل طبقات المجتمع الجزائري، وتشمل هذه الفئة بعض البرجوازيين والأغنياء الذين كانوا يعيشون في اتصال دائم مع الفرنسيين في المدن والمراكز الأوروبية، وبعض الضباط في الجيش الفرنسي وبعض المتأثرين بالحضارة الأوروبية[310].

وهكذا كان التعليم الخاص بالجزائريين يتقدم تقدما بطيئًا، في جو المعارضة الدائمة القائمة بين تيارين رئيسيين من تيارات الإيديولوجية الاستعمارية.

التيار الذي يميل إلى تكوين نخبة أهلية صغيرة تكوينًا فرنسيًا، والتيار الآخر الذي يرى في كل عملية تعليم تشمل الجزائريين، تعتبر أمرًا بالغ الخطورة. وهكذا فإن مهمة محاولة تعليم الجزائريين قد توقفت بشكل شبه كامل سنة 1870م[311].

308.- اجرون، **الجزائريون المسلمون**، مرجع سابق ، ص.587

309.- اجرون، نفسه، ص.584.

انظر الفصل الثالث، المتخرجون من المدارس الفرنسية

310 - Ismail Hamet, **les Musulmans**, op.cit, p193.

311 -. Poulard, op.cit, p82.

الفصل الثالث

وضعيـــــة التعليـــــم
(1850 – 1870م)

1 – المحاولات الاستعمارية في تعلم وتعليم اللغة العربيـــة

2 – بعض المتخرجين من المدارس الفرنسية وآرائهم

3 – نتائج التعليم الفرنسي في هذه الفترة

أولاً : المحاولات الاستعمارية في تعلم وتعليم اللغة العربية

لقد وجدت الإدارة الاستعمارية ضرورة للاهتمام بلغة الجزائر وثقافتها، لتتمكن من التوغل والسيطرة، فأمرت في البداية بإنشاء مكتبة عمومية في الجزائر وبداية الاستحواذ على المخطوطات والكتب وتصنيفها. ومن جهة أخرى كلف مفتش عام للتعليم بتنظيم دروس بالفرنسية للعرب واليهود، وتنظيم دروس باللغة العربية للفرنسيين.

إن هدف الدروس بالفرنسية حدده دي روفيجو بقوله : "إن الجزائر لن تكون حقيقة من الممتلكات الفرنسية إلا بعدما تصبح لغتنا لغة قومية فيها، والمعجزة التي ينبغي تحقيقها حسب إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية تدريجيًا، ومتى كانت اللغة الفرنسية لغة السلطة والإدارة، فإنها سوف لا تلبث أن تنتشر بين الأهالي، ولا سيما إذا وجدت مدارسنا إقبالاً من الجيل الجديد، وأنا لا يساورني شك في أنه بعد مضي وقت قصير سوف يجتمع في فصل واحد، وحول أستاذ واحد أبناء الفرنسيين والإسبان والعرب واليهود"[312].

أما اللغة العربية فقد كلف بها جواني[313] فرعون ونص قانون 1834 على ضرورة تعلم اللغة العربية من طرف الضباط والمواطنين.

وقد كان لفرعون السبق في وضع أول كتاب في النحو للعربية العامية الموجهة للفرنسيين، ثم ظهر كتاب وصايا لقمان[314].

لقد كلف بعد ذلك بريسني (Bresnier) بتدريس اللغة العربية ابتداء من 1836م، وقد أكد على ضرورة تعلم اللغة العربية وصرح قائلا : "...إن ذلك يمكننا من إقامة علاقة أوثق مع الأهالي الذين سيتعودون على وجودنا، ولا يعتبروننا غزاة منتصرين، بل حماة لمصالحهم وممدنين لبلدهم، وهكذا سوف نتمكن من التوغل في تاريخهم حتى نصل إلى مصادر أفكارهم ونعرف أحكامهم المسبقة وعاداتهم وتقاليدهم..."[315].

---

[312] - A. Cour, **notes sur les chaires de la langue Arabe d'Alger, de Constantine et d'Oran**, R. A. 1924, p23.

[313] – جواني فرعون من مواليد مصر 1803، كان مترجما للحملة الفرنسية على مصر، وعلى الجزائر، وأصبح مكلفا بتدريس اللغة العربية في الجزائر خلف للأستاذ القيبطى عقوب Agoub، انظر : Cour, **notes sur les chaires** ، Ibid

[314]-Cour,**note**s,Ibid

[315] - Henré Massé, **les études Arabes en Algérie (1830 – 1930)**, extrait de la R. A. n°74,. 1980, Alger, p208.

وأكد بريسني (Bresnier) بأنه يجب على فرنسا بأن لا تكتفي بتقديم المعارف الضرورية في اللغة والتاريخ والأدب، بل يجب أيضًا أن توفر وسائل الاتصال مع الجزائريين بواسطة الكتابة والمحادثة لنقل جميع أشكال التغيير.

لقد استمر بريسني (Bresnier) 25 سنة في تدريس اللغة العربية، وفي 1867 نشر كتاب مبادئ اللغة العربية[316].

إن أوغست شاربونو (Cherbonneau) من بين الأساتذة الذين كلفوا بتعليم بعض الجزائريين وإدماجهم في المجتمع الفرنسي، فكان مدرسًا بقسنطينة ثم مديرًا للمدرسة العربية الفرنسية، وألف قاموسين فرنسي عربي وعربي فرنسي، وفتح بدراساته الباب واسعًا لدراسة العامية ومعرفة الأوضاع الشخصية والميراث في المجتمع الجزائري المسلم[317].

وحل بعد ذلك دوسلان (De Slanne) مكان شاربونو (Cherbonneau) في تدريس اللغة العربية سنة 1846م، وكلف بإعداد تقرير عن المخطوطات الجزائرية، وذكر بأن المكتبة الوطنية الجزائرية تحتوي على 700 مخطوطًا عربيًا، كان بيربروجر هو الذي تولى جمع معظمها.

إن دوسلان (De Slanne) هو الذي ثبت استعمال اللغة العربية في المعاملات الاستعمارية مع الجزائريين بالمراسلات وبعض الوثائق الرسمية ، وانتقل بعد ذلك إلى ترجمة ابن خلدون.

لقد أكد الأستاذ كور (Cour) بأن دوسلان هو من يعرف اللغة العربية في فرنسا أكثر من أي شخص آخر، وذلك لأنه عمل نحو اثنتي عشر سنة في الجزائر رئيسا لمترجمي الجيش، الأمر الذي سمح له بتطوير علمه الواسع باللغة العربية[318].

لقد سعت فرنسا إلى بذل جهود كبيرة لمعرفة اللغة العربية، ومحاولة غرس اللغة الفرنسية في بعض العقول الجزائرية، وقامت بترجمة العديد من الكتب في التاريخ، الأدب، الفقه، الرحلات...، وأسندت المهمة لمدارس اللغة العربية وأساتذتها، وهي كما يلي :

---

316 - Ibid, p209.

317 - Cour, **notes sur les chaires**, Op.Cit, p45.

318 - Massé, **les études Arabes**, Op.Cit, pp15-18.

مدرسة الجزائر ظهرت في 1832

ج. فرعون (J. Pharoun) من 1832 – 1836م

بريسني (Bresnier) من 1836 – 1869م

كومبرال (Combarel) من 1869 – 1874م

ريشوبي (Richebé) من 1874 – 1877

هوداس (Houdas) 1877م

مدرسة قسنطينة ظهرت في 1846

فينار (Vignard) 1846م

شاربونو (Charbonneau) من 1846 – 1863م

ريشابي (Rechebé) من 1864 – 1874م

مارتن (Martin) 1874م

مدرسة وهران ظهرت في 1846

هادمار (Hadmard) من 1846 – 1855م

كامبرال (Combarel) من 1855 – 1869م

هوداس (Houdas) من 1869 – 1877م

ماشويل (Machuel) 1877م[319]

ثانيًا : بعض المتخرجين من المدرسة الفرنسية

1 – حسن بن بريهمات :

ولد حسن بن بريهمات في الربع الأول من القرن 19م في الجزائر العاصمة، وبها نشأ وتعلم، ويعتبر من الجزائريين الأوائل الذين التحقوا بالمدارس الفرنسية التي فتحت أبوابها بالجزائر العاصمة، ويعد ابن بريهمات من أبرز الشخصيات العلمية والأدبية والسياسية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، فقال عنه الحفناوي بأنه كانت له اليد الطولى في الآداب

319 - Cour, **notes sur les chaires**,Op.Cit , p63.

العربية والعلوم الدينية، وكان على دراية بأفكار الإصلاح والتجديد، وكان يحظى باحترام الإدارة الفرنسية فولته العديد من المناصب[320].

لقد عين قاضيًا في المكتب العربي بالبليدة سنة 1853م، وبعد عين على رأس المعهد الإمبراطوري والمدرسة السلطانية عند افتتاحه سنة 1857م، كما كلف سنة 1860 بمهمة ترجمة القانون الخاص بإعادة تنظيم القضاء في الجزائر، الذي أصدره الإمبراطور نابليون بتاريخ 30 ديسمبر 1869 وذلك رفقة مجموعة من المترجمين أمثال حميدة العمالي، ومحمد بن مصطفى والصحفي أحمد بدوي، وهذا في 21 مارس 1860م، كما تم تعيينه عضوًا في المجلس الاستشاري للفقه الإسلامي بالجزائر، ثم مستشارًا بدار العمالة سنة 1865[321].

كما كان من بين الذين استقبلوا نابليون عندما زار الجزائر في المرة الثانية في ماي 1865م، وألقى أمامه كلمة مرحّبا به باسم أعيان الجزائر، وذلك أثناء مأدبة الغذاء التي أقامها الإمبراطور على شرف بعض القيادات العربية في قصر الصيف.

ولقد زوّد ابن بريهمات جريدة المبشر بجملة من المقالات، بلغ عددها خلال الفترة المدروسة ست مقالات وهي :

- **المقالة الأولى** : التي دخل بها هذه الجريدة كانت في الأصل كلمة توجيهية ألقاها على تلامذته في الكوليج الإمبراطوري، وقامت المبشر بنشرها، وكان قد ألقاها بمناسبة الحفلة التي أقامها لهؤلاء التلاميذ يوم عيد الأضحى الذي صادف يوم 18 جوان 1861م، وتحدث في هذه المقالة – الكلمة – عن فضل العلم وأهميته، كما مدح الإمبراطور وزوجته نظرًا للأعمال الجليلة التي قام بها في نظره خدمة للحركة التعليمية في الجزائر "...ونشكر فضل سيدنا السلطان نابليون الثالث وندعو له بطول البقاء والحفظ من كيد كل غادر وعابث، وأن يحفظ سيدتنا الملكة ربة الإحسان والجود والفضل الذي عمر التمور والنحور، متعها

---

320 – الحفناوي، **تعريف الخلف**، مصدر سابق، ص ص119-125.

321 – لونيسي ابراهيم، **القضايا الوطنية في جريدة المبشر (1847 – 1870م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف أ. د. أبو القاسم سعد الله، الجزائر 1993/1994 (مخطوط)، ص61.

الله ومتع سيدنا السلطان بولدهما ذلك الفرقد الوقاد والطالع الذي على غرته يلوح القبول والإسعاد، وندعو بالخير لمن دبر في إنشاء مدرستكم، و لم يترككم سدى في منّكم"[322].

– **المقالة الثانية** : تضمنت وصف جنازة الخليفة حمزة، زعيم اولاد سيدي الشيخ، يوم 21 أوت 1861م، وذكر فيها بعض العادات والتقاليد المتبعة من سكان الجزائر في تشييع موتاهم، فعند تقبل الميت مثلا تقرأ قصيدة البردة للبصيري ملحنة ومنغمة، وعند الانتهاء من قراءتها يقوم الناس بسرد خواتم القرآن الكريم، ويعدها يحضر الطعام والمتمثل في الرز باللحم المغلي. ومن العادات الأخرى التي ذكرها لنا ابن بريهمات في مقالته هذه، هي أن يبيت الطلبة عند قبر الميت ثلاث ليال يقرأون عليه تأنيسًا له بسماع القرآن، وفي اليوم الثالث يتجمع أقرباؤه والطلبة حول قبره يقرأون، ويتصدقون ويدعون له بالمغفرة، ويسمى ذلك يوم الفرق[323].

– **المقالة الثالثة** : هي تلك التي كتبها في مدح الإمبراطور نابليون عندما زار الجزائر للمرة الثانية سنة 1865م، حيث تحدث فيها عن شهرة العائلة النابليونية في العالم، وذكر أن هناك الكثير من الكتب التي كتبت عن نابليون الأول، وأنها ترجمت إلى لغات عديدة، كما كتب الكثير عن نابليون الثالث، وهي كلها تشهد بفضله وعدله وعمله ودهائه.

كما تحدث ابن بريهمات في هذه المقالة عن الزيارة الأولى التي قام بها الإمبراطور سنة 1860، ويقال أن تلك الزيارة كانت خيرًا ونعيمًا على سكان الجزائر، ثم قدم ابن بريهمات للقراء وصفًا دقيقًا لوصول الإمبراطور إلى ميناء مدينة الجزائر في 03 ماي 1865، فقال : "...ولما كانت صبيحة يوم الأربعاء الثالث ماي 1865، والثامن من حجة الحرام أطلقت المدافع إعلانًا وتبشرًا بقدومه السعيد وأرسى بمرسى الجزائر في باخرة من حديد مصحوبة بست مثلها، وتهيأ لملاقاته الأمراء وقناصل الدول والرؤساء، والأعيان على اختلاف مراتبهم ولغاتهم، وحضر الجميع في زينة وأبهة بشاطئ البحر، والفرح يلوح على وجوههم، ولسان حالهم يقول مرحبًا بهذا القدوم السعيد، وقد أعدت لحضرته قبة من

---

322 – الولاية العامة الفرنسية، **جريدة المبشر** ، الجزائر، 18 جوان 1861.

323 – لونيسي، **المبشر**، مرجع سابق، ص62.

أحسن ما يمكن من الإتقان مغطاة ومزينة بأحسن القماش المختلف الألوان، محففة بالرايات والبنود، وفرشت الأرض البحر إلى داخلها بأفخر الزرابي والبسط، وزينت البلاد من البحر إلى قصر الإمارة بأحسن زينتها من الرايات المختلفة، وضرب قوس النصر في طريقة قبالة البحر مؤلفا من جميع أنواع السلاح..." [324].

ثم واصل وصف عملية الاستقبال وكيف ذهب الماريشال ماكمهون على زورق خاص إلى سفينة الإمبراطور لاستقباله، ويقول ابن بريهمات أن الإمبراطور عندما وصل إلى تلك القبة تقدم إليه (شيخ البلد) على مقتضى العادة وقدم له مفتاح مدينة الجزائر، وهو مصنوع من الذهب الخالص وكان محمولا فوق وسادة من حرير مطرزة بالذهب، وألقى (شيخ البلد) خطبة أمام الإمبراطور، ولقد سجل ابن بريهمات نص هذه الخطبة كاملا في مقالته هذه، كما لخص كذلك محتوى خطاب الإمبراطور الذي ألقاه ردًا على خطبة شيخ البلد[325].

ثم ذكر ابن بريهمات كيفية خروج الإمبراطور من تلك القبة وتحيته للحاضرين، ويقول أن الإمبراطور ركب على جواد رائع الجمال وهو من عتاق الخيل، وركب خلفه الحاكم العام، واتجه الموكب الإمبراطوري إلى القصر الذي أعد لإقامة الإمبراطور.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المقالة التي احتلت تقريبًا ثلاثة أرباع الصفحة، غير منشورة في النسخة الفرنسية من الجريدة، وإن قامت هذه النسخة بنشر نص مشابه لنص ابن بريهمات، أي أنه يتحدث عن وقائع وصول الإمبراطور إلى الجزائر، إلا أنّ فيه بعض الاختلافات، فمثلاً النص الفرنسي لا نجد فيه المقدمة التي وضعها ابن بريهمات لمقالته، إذ أن النص الفرنسي بدأ الحديث مباشرة بوصول اليخت الإمبراطوري على الساعة الخامسة صباحا، كما أن المقالة التي نشرت باللغة الفرنسية لم تذيل باسم حسن بن بريهمات.

– **المقالة الرابعة** : وهي الخطبة التي ألقاها أمام الإمبراطور أثناء المأدبة التي أقامها الإمبراطور لجمع من القيادات العربية، ومنهم السيد الطاهر بن محي الدين باشاغا بني سليمان، وحمودة

---

324 – الولاية العامة، **المبشر** ، مصدر سابق، ماي 1865.

325 – لونيسي، **المبشر**، مرجع سابق، ص63.

بن الحاج أحمد، والخطبة كلها مدح في الإمبراطور، وقد نشر نصها حرفيًا في النسخة الفرنسية من المبشر[326].

– **المقالة الخامسة** : أبن فيها السيد حسن بن أحمد إمام المدرسة السلطانية الذي توفي يوم 15 فيفري 1867، وعدّد خصال هذا الإمام، ووصف الجنازة والحاضرين فيها، وهذه المقالة تحتوي على بعض المعلومات التاريخية القيمة، فمن خلالها نتعرف على أحد البنائين الجزائريين الشهيرين، الذين شاركوا في بناء (جامع كشاوة) وجامع (السفير)، وللعديد من الدور والسرايا الموجودة في الجزائر – حي القصبة – وهذا البناء المهندس هو والد الإمام حسن المدعو أحمد، الذي كان أمين البنائين الجزائريين، كما أن والده الإمام حسن المذكور كان أحد أصحاب سيدي محمد بن عبد الرحمن الملقب ببوقبرين، ومن الذين وضعوه في القبر عند وفاته[327].

– **المقالة السادسة والأخيرة** : وهي كلمة تأبينية طويلة جدًا لأحد علماء الجزائر وهو محمد بن الحاج حمو، وهي غنية بالمعلومات التاريخية الهامة أيضًا، ذلك أن فيها أخبار قيمة على مقاومة الأمير عبد القادر، وسردًا لأسماء مجموعة من الشيوخ الذين درس عليهم هذا العالم (ابن الحاج حمو)، الذي هو من مدينة مليانة، وكان قد التحق بمقاومة الأمير عبد القادر، وبعد ذلك التحق بالسلطات الفرنسية التي كانت قد صادرت كل أملاكه، ولكن أعادته له بعد ذلك، وقبل إلحاقه بالسلطات الاستعمارية توسط له في ذلك سليمان بن الصيام الملياني، فعينته قاضيًا وخطيبًا...الخ.

إن الشيء الملاحظ على كتابات ابن بريهمات هو أنها كلها من إنتاجه، أي لم نعثر على أي مقالة ترجمها للمبشر، كما أنه كان يعتني كثيرًا ، بالمحسنات اللفظية، وكان يثقل كتاباته بها : "...نحمدك اللهم يا من تغررت (كذا) ذاتك العلية بالبقاء، واتصفت بالنزاهة والنقاء، وتحصنت باستمرار القدم، ولم يطرأ على وجودك الواجب العدم، أو يطرق

326 – الولاية العامة ،**المبشر** ، مصدر سابق، فيفري 1867.

327 – لونيسي، **المبشر**، مرجع سابق، ص64.

ساحتك هم وألم، أو يضعف عرض، أو يشوش عليك أمرك علة أو مرض، أو يشغلك عن شأنك شغل عرض، حتى استغنيت عن الحصن بالقصور والحصون، والتذرع لملاقاة (كذا) ريب المنون..." [328].

2 – أحمد بن الفقون :

ولد في 12 فيراير 1829م، وهو من أسرة الفقون المشهورة في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ولقد عيّن مترجما في الجيش الفرنسي في الجزائر ابتداء من سنة 1850م، كما أنه من أوائل من تجنس الجنسية الفرنسية من الجزائريين [329].

ولقد ترجم الكثير من الدراسات والمقالات من الفرنسية إلى العربية ونشرها على صفحات المبشر، وأهم ما ترجمه خدمة للإدارة الاستعمارية سلسلة من المقالات تحت عنوان (التاريخ المتدارك في أخبار جون دارك)، ولقد نشرها في ست حلقات ابتداء من العدد 520 الصادر يوم 2 ماي 1867، وقام كذلك بتعريب (قصة أبي عبد الله السراج الأندلسي)، وهي في ثماني حلقات ابتداء من العدد 420 الصادر في 22 أفريل 1864م[330].

3 – مصطفى بن السادات :

كان يشتغل أستاذًا بالمدرسة الفرنسية الإسلامية بمدينة قسنطينة، ونظرًا لكونه رجل علم ومربيًا، فإنّ جل كتبه كانت تدور في هذا المجال، فقد كان يسدي نصائحه للجزائريين لكي يبعثوا بأبنائهم إلى المدارس الفرنسية لتلقي العلم، ولقد ظهر اسمه كثيرًا على صفحات المبشر، كتب مثلاً مقالة مطولة بعنوان (نصيحة وإرشاد لمن عطل عن سابقة الأقلام وإهدار المداد)، وهو ينصح فيها الأهالي بضرورة التعليم، وعدّد فيها فوائد العلم والكتابة ومساوئ الأمية والجهل : "...فالذي لا يعرف الكتابة لا يستطيع تقييد الواقعة بنفسه، والحادثة

---

[328] – لونيسي، **المبشر**، مرجع سابق، ص ص66-68.

[329] - Hamet, **les Musulmans**, op.cit, p191.

[330] – لونيسي، **المبشر**، مرجع سابق، ص68.

برمتها وتاريخها بيومها وعامها... أما الإنسان الجامع بين القراءة والكتابة فإنه بمثابة الطير ذي الجناحين في الإصابة"، كما كتب مقالة مطولة أخرى بعنوان : "النصيحة الدرية في تأديب الذرية"، وفيها يدعو أيضًا إلى العلم وينصح الغافلين.

وبصفة عامة فإن ابن السادات كان داعية كبيرًا للعلم والتعلم في ذلك الوقت، الذي كان فيه الجزائريون متخوفين من التعلم عند الفرنسيين، وتقوقعوا على أنفسهم، ومنعوا أولادهم من الذهاب إلى المدارس الفرنسية خوفا عليهم من التفرنس، فكان ابن السادات يحاول إقناعهم بضرورة ذلك وينصحهم بضرورة تعليم أبنائهم في المدارس الفرنسية دون خوف أو تردد.

إنه من خلال استعراض لهذه الشخصيات التي زودت المبشر بكتاباتها أو ترجماتها، نلاحظ على جل هذه الإسهامات الطابع التوجيهي، أي أنها كانت موجهة توجيها دقيقًا من الاستعمار الفرنسي لخدمة مصالحه وأهدافه[331]، فالإدارة اكتشفت أهمية توظيف بعض الجزائريين في الجريدة، فوجدت ضالتها في هؤلاء الأشخاص الذين قدموا لها خدمات جليلة في تبرير وجودها في الجزائر، وبالتالي فإن مقالاتهم وترجماتهم كانت خدمة للوجود الاستعماري، أكثر مما كانت خدمة وإفادة للشعب الجزائري[332].

4 – بلقاسم بن سديرة[333]:

أنجز بلقاسم بن سديرة الكثير من الدراسات خدمة للغة الفرنسية في الجزائر، إذ بلغ عددها حوالي سبعة كتب أهمها (دروس تطبيقية في اللغة العربية) و (دروس في الآداب العربية) و (دروس في اللغة القبائلية)، وله قاموس عربي – فرنسي، وقاموس آخر فرنسي – عربي[334]. إلا أن الملاحظ على نتاجه اللغوي هو تركيزه على "الدارجة الجزائرية"، ويبدو أنه عمل ما في وسعه للابتعاد على اللغة العربية الفصحى بهدف ضرب هذه اللغة، فمثلا إذا

---

331 – محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية (1847 – 1939م)** الجزائر، 1980، ص20.

332 – لونيسي، **المبشر**، مرجع سابق، ص69.

333 – ولد سنة 1845م وتوفي سنة 1901م، من مواليد بسكرة، أستاذ اللغة العربية بمدرسة الجزائر 1869، أستاذ محاضر سنة 1880.

334 - Hamet, **les Musulmans**, Op,Cit, p197.

أخذنا كتابه (دروس تطبيقية في اللغة العربي Cours pratique en langue Arabe) المطبوع في الجزائر سنة 1891م، نجده يقوم بحملة دعائية للغة الفرنسية من الصفحة الأولى على حساب اللغة العربية، حيث يخاطب التلاميذ قائلا : "إن اللغة الفرنسية هي لغتكم الأم، لقد بدأتم في الاستماع إليها منذ اليوم الأول الذي ولدتم فيه"[335]، فهذا دليل على مدى تأثير الثقافة الفرنسية على هذا الشخص حتى أصبح يتنكر للغته الأصلية التي رضعها مع حليب أمه، وهي اللغة العربية، وبدون شك فإن الكتاب المذكور موجه إلى التلاميذ الفرنسيين والأهالي معًا.

إلا أن أبرز الأدلة على مدى نفور الأهالي من التعليم الفرنسي، وحرص الإدارة الاستعمارية على جذبهم إليه هي تلك المقالة التي كتبها أحد محرري المبشر، وهو محمد بن الشيخ علي بعنوان "نصيحة حيوية لأهل الحضر والبادية"، وفيها كشف عن مدى إهمال الأهالي للتعليم الفرنسي، وعدم اكتراثهم به، لذلك رأى هو أن من واجبه : "أن ينقذهم بنبذة من فضل العلم".

استهلّ مقالته هذه بشرح الوضع الذي آل إليه الجزائريون من عدم الاهتمام بالتعليم : "وبعد، إن الكثير من الناس في هذا الزمان يتراخون عن التعليم بخلا بأنفسهم وكسلا، أردت أن نوقظهم بنبذة في فضل العلم وشرفه، وذم الجهل وغوائله، لعلهم يتذكرون وتحيا قريحتهم للقلم كي يبلغوا ما يكملهم للرتب الإنسانية، ومن المعلوم أن الشخص إذا لم يفهم معنى الشيء المطلوب، لا تتحرك دواعيه إليه، ومن جهل شيئًا عاداه. لأن العلم هو الخاصية التي يتميز بها الإنسان عن سائر البهائم، فلفظ الإنسان مشتق من الإنس، والاستئناس يستلزم الألفة، ولا ألفة إلا بالمخالطة، ولا مخالطة إلا بالملاءمة، ولا ملاءمة إلا بالمعرفة، ولا معرفة إلا بالتعلم، والتعلم يؤلف بين العباد على اختلاف ألسنتها وطبائعها"[336].

وبعد أن يبين ما عليه الأهالي من نفر من التعليم الحكومي، مخطئًا وجهة نظرهم، محببًا إليهم العلم بكل الأدلة، ضاربا لهم الأمثلة بالنهضة الثقافية العلمية النشيطة في مصر منذ

[335] - Benoist,Op.Cit,P72.

[336] – لونيسي، **المبشر**، مرجع سابق، ص335.

محمد علي باشا، وكذلك الأمثلة من القرآن الكريم وبعض أقوال الأنبياء، وبما فعله بعض الأمراء والخلفاء في سبيل الحصول على العلوم والمعارف الأجنبية، في العصور الإسلامية المزدهرة، ويخلص إلى توضيح السبب الجوهري الذي جعل الأهالي لا يقبلون على العلوم المعاصرة ويرغبون بالتالي عن اللغة الفرنسية، معتقدين بأن العلم هو علم الدين وحده وما عداه فهو من لغو الحديث، بل إن البعض اعتبره كفرًا، ونستشف ذلك من قوله : "مع أن أهله وثنيون"، وذلك عندما علق على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : "اطلبوا العلم ولو بالصين"، فالكاتب يريد من ذلك أن يهون على الأهالي هذه الشكوى ويقلل من تحفظهم من الفرنسيين ومن لغتهم وعلومهم[337].

ثم ينتقل إلى الحديث عن اللغة الفرنسية وأهميتها، حتى يحببها للأهالي ويبين لهم لزومها لحياهم، بحكم احتكاكهم بالفرنسيين باستمرار : "...كيف وقد صارت اللغة الفرنسية وكتابتها في هذه الأعصر وسيلة لا غنى عنها في العلوم على اختلافها، وسائر الصنائع وفنونها، خصوصًا الطب والهندسة والحساب والتنجيم والجغرافيا والطبيعيات والرياضيات، وما يتفرع عنها ولا يتأتى الإنسان أن ينكر براعة أهل فرنسا في جميع هذه الفنون مع صناعة غريبة جديدة اخترعها، فلا يمكن الوصول إلى ما ذكرنا إلا باللغة الفرنسية وكتابتها، لعدم وجود اللفظ العربي لمسبباتها".

ولعل الكاتب كان شبه متأكد من أن الأهالي لن يقتنعوا بكلامه بسهولة، لهذا اضطرّ إلى الاستشهاد بالأمثلة الواقعية المحسوسة من تاريخ الإسلام، فضرب المثل بما ترجم في عهد المأمون من علوم، كالفلك وغيرها، وما قام به المتوكل من ترجمة بعض الكتب اليونانية، وذكر مجهودات عبد الرحمن الناصر الأندلسي في هذا المجال، واستشهد أخيرًا بأحد الولاة المسلمين المعاصرين وهو محمد علي باشا، رغبة من الكاتب في الإقناع، وقصدًا إلى التأثير، وفي آخر المقالة عاد الكاتب مرة أخرى ليذكر فوائد التعليم والتعلم في الصغر، وما على الآباء من واجبات نحو أبنائهم[338].

---

337 - Benoit, op.cit, p72.

338 – لونيسي ، مرجع سابق، ص337.

5 – محمد بن أبي شنب

ولد محمد بن أبي شنب[339] بالمدية (عين الذهب)، وتعلم بكتاتيبها وثانويتها، والتحق بعد ذلك بمدرسة المعلمين ببوزريعة سنة 1866م، وبعد سنتين من الدراسة أصبح أستاذًا في اللغة الفرنسية، وكان عمره لا يتجاوز تسعة عشر عامًا.

لقد واصل ابن شنب دراسته في البلاغة والمنطق والتوحيد على الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن سماية، وأصبح يدرس بالجامعة، وفي سنة 1894م ناب عن الشيخ أبي القاسم بن سديرة في تدريس اللغة العربية بالجامعة، وكعادته كان محبًا للاطلاع وتوسيع معارفه، درس اللغة الإسبانية والألمانية واللاتينية والفارسية والتركية والعبرانية، وعيّن سنة 1898م أستاذًا بالمدرسة الكتانية خلفا للأستاذ عبد القادر المجاوي، ثم انتقل بعد ذلك للتدريس بالمدرسة الثعالبية بالجزائر، ودرس صحيح الإمام البخاري بجامع السفير بالعاصمة سنة 1908م، وتحصل على الدكتوراه في الآداب بجامعة الجزائر بدرجة ممتازة، وأصبح أستاذًا مبرزًا بكلية الآداب بالعاصمة بعد أن قضى 23 سنة جهدًا في سبيل العلم بالمدرسة الثعالبية[340].

عندما بدأ الأستاذ مهنة التعليم بحث كثيرًا في موادها وأصولها وما قيل وألف فيها، وكان من جملة ما قام به من الأعمال في هذا المجال أنه ترجم بالفرنسية رسالة للإمام الغزالي[341] في رياضة الأولاد وتربيتهم ونشرت بالمجلة الإفريقية، وترجم ملاحظات في التعليم الإسلامي لمؤلف مجهول، ونشرت كذلك بالمجلة الإفريقية سنة 1897م.

---

339 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، الجزائر 1983م، ص ص13-19.

340 – الجيلالي، **محمد بن أبي شنب**،مرجع سابق. وانظر أيضًا سعد الدين بن شنب، **النهضة**،مرجع سابق. وتجدر الإشارة إلى أن سعد الدين هو الابن البكر لإخوته الخمسة ذكور والأربع إناث لأبيهم محمد بن أبي شنب.

341 – هو أبو حامد محمد الغزالي ولد بخراسان عام 450هـ/1058م، ألف عدة كتب منها البسيط، الوسيط، الوجيز، خلاصة علم الفقه، المنقذ من الضلال، إحياء علوم الدين، أطلق عليه حجة الإسلام، لأنه رد على جميع المذاهب الفلسفية في كتاب "تهافت الفلاسفة"، كما رد على جميع المخالفين للإسلام عمومًا، وكان يحث على تعليم الناس ونشر الفضيلة بينهم.

أما رسالته لتعليم الأطفال لأبي حامد الغزالي فقد جاءت مقسمة إلى إحدى عشر مقطعا، وكل مقطع يشير إلى جانب معين من التعليم وأهدافه وكيفياته، وتكاد أن تكون المقاطع متشابهة ومتداخلة، ولخصتها كما يلي :

إن دراسة الغزالي تبين شدة اهتمامه بالتعليم وقوة عقيدته، في أن التعليم الصحيح هو السبيل الوحيد إلى القرب من الله وتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، ويستشهد في ذلك بما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الحكماء[342]، وينتقل بعد ذلك ابن شنب إلى قوله بأن الغزالي قد دعا إلى تساوي الذكور والإناث في التعليم[343].

نجد ابن شنب قد أكد على تعليم المرأة ليرد على المفكرين الأوروبيين الذين، استمروا يحصرون أهداف التربية والتعليم بالنسبة للمرأة في واجبات المترل ومتطلباته الداخلية، وكان ذلك بمثابة التنبيه للاستعمار الذي كان عديم الاهتمام بتعليم بنات الجزائر لاعتبارات عنصرية[344].

يواصل الغزالي نصحه بأن يبعد التلميذ عن مخالطة قرناء السوء كوسيلة لتهذيبه، كما نصح بعدم تعويده على التدليل والتنعم، أو الاستمتاع والترفيه، لأن ذلك حسب رأيه يشعر التلميذ باللذة، وفي الحقيقة يوجهه نحو البؤس والفقر[345].

ومن الوسائل التي تبعد التلميذ عن العبث والمجون هي شغل أوقات فراغه بقراءة القرآن والأحاديث، وأخبار الأبرار وأحوالهم، وممارسة الرياضة والقيام ببعض الألعاب،

انظر : Mohamed Bencheneb, **lettre sur l'éducation**, Revue Africaine, 1901,n°45 p101.

342 - Bencheneb, R A,n°45 Op.Cit, p103.

343 – إن الغزالي في كتاباته لم يشر مباشرة إلى تعليم البنت، فقال مثلا العلم فريضة على كل مسلم، وحث الزوج بتعليم زوجته بأمور دينها، وكان المشكل الحقيقي عند الغزالي هو مكان التعلم وكيفياته وحدوده، ونجد ابن شنب قد ركز على ذلك لأنه ظهرت عدة كتابات في هذا الموضوع في هذه الفترة أهمها : قاسم أمين ودعوته لتحرير المرأة (1865م – 1908م)/ محمد عبدو (1849م – 1905م)، جمال الدين أفندي، الرد على تحرير المرأة (1844م – 1908م)، مصطفى بن الخوجة (1865م – 1915م)، الاكتراث في حقوق الإناث 1895م...

344 - P. Mourlan, **législation**, Op.Cit, p5.

345 - Bencheneb, Revue Africaine,n°45 ,Op.Cit , p103.

ويجب إبعاده كل البعد عن الأشعار المتعلقة بالحب والأدب المثير، وحتى سورة سيدنا يوسف في القرآن الكريم، وهذا كله للمحافظة عليه من الفساد[346].

إن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه طاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية، فيأمرنا الدين بتعليم الأبناء من المهد إلى اللحد، وأن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، لذا فالأب مطالب بتعليم ابنه وتربيته وتكوينه روحيًا وماديًا[347].

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان طريقة تهذيب الصبي، عن طريق تعليمه الدين، وممارسة العبادات، فيقول : "ينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في أيام رمضان، ويعلم كل ما يحتاج إليه من علوم الشرع، ويخوف من السرقة وأكل الحرام والخيانة والكذب والفحش، كما يعلم أن الدنيا كلها لا أصل لها ولا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وأنها دار ممر لا دار مقر، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر، وأن الموت منتظر في كل ساعة، وأن الكيس العاقل من تزود في الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى، وتتسع نعمه في الجنان[348].

ليس ذلك فقط، بل يجب تعليم الصبي النظافة وطريقة أكل الغذاء المفيد، ليحسن التفكير والعمل، ويجب حث الصبي على لبس الثياب البيضاء حتى يشب على حب الصفاء والنجاح[349].

ويعاود الغزالي في مناسبات كثيرة تأكيده على عدم تعليم الصبي التدليل، والتنعم، والتراخي، والكسل، والتساهل في التعامل مع الناس، لأن ذلك كفيل لإفساد خلقه، ويقول أيضًا : "تمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاء الصبي، ولا يسمن بدنه، ويجب أن يتعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم، وفي النهاية يطالب ضرورة مراجعة النفس وإيجاد الدواء المناسب لكل داء، وضرورة معرفة مختلف العلوم، خاصة الفلسفة ويجب أن يتميز المتعلم بقوة شخصيته باستمرار"[350].

---

[346] -Bencheneb,R.A n°45, p105.
[347] - Ibid, p107.
[348] Ibid
[349] - Ibid, p.108.
[350] -Bencheneb, R.A n°45 p.p103-105.

إن ابن الشنب نشر هذه الرسالة ليبين بأن العديد من المستشرقين والمفكرين الغربيين قد اهتموا بأعمال الغزالي[351]، وهو أولى منهم بالاهتمام به، ونشره إحدى أهم أعماله التربوية الواقعية عن ذلك المجتمع الذي عاش فيه، والذي كرس حياته العلمية والعملية من أجل إصلاحه والنهوض به، ولأن طريقة التعلم عند الغزالي حسب ما جاء في الرسالة و كتبه الأخرى، ومنها إحياء علوم الدين تظهر وتحدد الشروط النفسية والعقلية والروحية والاجتماعية للمتعلمين والمعلمين، وأن أسلوب الغزالي التربوي قد سبق بكثير ما جاءت به الآراء التربوية الحديثة، مثل آراء جان جاك روسو (1712م – 1778م) (J.J.Rausseau) وإدوارد كلابريد (1873م – 1940م) (E. Claprède)، وكأن ابن الشنب أراد أن يظهر للفرنسيين بأن نظرية الغزالي التي سبقت مختلف النظريات بأكثر من ثمانية قرون، تؤكد مدى عمق وخصوبة الفكر الإسلامي عامة.

ومن جهة أخرى، قام ابن الشنب بالتطرق إلى هذه الرسالة بعدما طبعت ونشرت في تونس سنة 1314هـــ/1897م، وكان ذلك يصادف ميلاد الجمعية الخلدونية التي ظهرت يوم السبت 14 ذو الحجة 1314هـــ/15 ماي 1897م على الساعة العاشرة صباحا، وقام الشيخ سليم بوحاجب بإلقاء كلمة الافتتاح التي استهلها بدعوة الإسلام إلى العلم والمعرفة، واستشهد بتجربة أبي حامد الغزالي وببعض ما جاء في الرسالة المذكورة[352].

وكان بذلك حسب العديد قد قدم دفعا هاما للمدرسة الخلدونية في مرحلة التردد، واستطاع أن يحطم الجدار الذي كان يدعي بأن الإسلام لا يشجع العلوم الحديثة، ويعارضها لكن بعد الاستشهاد بالغزالي تبين بأن الاهتمام بمختلف العلوم هو من آثار الحضارة الإسلامية، ورغم ذلك قد ظهر تيار معاد للخلدونية، ويرى فيها المنافس والعدو للجامعة الزيتونية[353]، واستمر ذلك طويلا رغم أن أحد قوانينها يشير بأن الخلدونية بها أهم الجذور والعناصر التي تمثل مصالح الإسلام والحضارة عامة[354].

---

[351] - Ibid, p.101.

ومنهم : Hammer, Schmoders, barbier de Meynard, Gosche, Munk, Dugat, Rennau.

[352] - Mousi Sayadi, **Aljam'iya Al-Khalduniyya (1896 – 1958)**, Tunisie 1974, p38.

[353] -Sayadi,op,cit, p46.

[354] - Ibid, p48.

قام ابن شنب أيضًا بنشر ملاحظات في التعليم الإسلامي لمؤلف مجهول في المجلة الإفريقية[355]، وتعود حسب رأيه إلى القرن الثامن عشر، وما زال العمل بها[356] في الكثير من المناطق، وكان هذا بمثابة الرد على من ينكر على الجزائريين والمسلمين الكتابة في التربية والتعليم، ويستهل ذلك دعوة الإسلام واهتمامه بالتعليم وإنشاء المدارس.

لأن القرآن يعتبر من أحسن الدعوات إلى المعرفة ويحث على الدرس، ويفرد مكانة مميزة للعلم الذي يتصف بالبحث والسعي الدائم، ولذلك بفضل الله العالم عن غيره، لأنه دائما محل سؤال وإنارة الطريق[357]، فجاء في قوله تعالى: **"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"**[358].

بعد المقدمة تبدأ مجموعة من الوصايا، وذلك بأن تعليم الصبيان يكون بضرورة مرافقتهم باللين، والرحمة، والرعاية التامة، وأكل الحلال، وعدم مخالطة أصدقاء السوء، وعدم الإكثار من الكلام، وتعليم لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص)، وتعليم القرآن والأحاديث، وأخبار وحكايات الصالحين، ويكون هذا خاصة عند المبتدئين[359].

إنه من الضروري مدح التلميذ إذا أحسن، وذمه إذا أساء، ويجب عدم الإكثار من الذم، ويجب أن يتساوى في ذلك الذكور كالإناث.

إن البنات الصغار يسمح لهن باللعب بالصور أو العرائس، ويجب دومًا العمل لاختيار أحسن المعلمين الذين تتوفر فيهم شروط الدين، العفاف، التقوى، المعرفة. أما سن بداية الدراسة فهي سبع سنوات، والطريقة تكون تدريجية في تعليم الحروف الهجائية ثم الكتابة، حسن الخط، حفظ القرآن، الفرائض، العقائد، آداب الدين[360].

إن الصغار يمكن ضربهم لتأديبهم وذلك على باطن القدمين من ثلاث إلى عشر ضربات، ويحسن أن تكون ضربة واحدة، ويكون التأديب بالزجر والكلام لكي لا يؤثر

---

355 - Mohamed Bencheneb, **Notions de pédagogie Musulmane**, Revue Africaine, n°41 Alger 1897, pp267-285.

356 - Ibid, p267.

357 - Bencheneb,R.A n°41 op.cit, p267.

358 - القران الكريم ،سورة النحل،الاية: 43

359 -Bencheneb, Ibid, p279.

360 -Bencheneb,R.An°41op,cit, p281.

على ملكة الحفظ والفهم لدى التلميذ، ويجب على المعلم أن يكون مهابًا في غير كنف، وأن لا يكون منبسطًا كثيرًا.

كما يجب على المعلم أن لا يطلب شهادة التلاميذ على بعضهم بعض، أو يوكل بعضهم على بعض، أو يُستخدم بعض التلاميذ في بعض الحاجات[361].

إن أيام الدراسة تكون من صبيحة يوم السبت إلى صبيحة يوم الخميس، وتكون أوقات الراحة اليومية : بعد الفجر وقبل الظهر وبعد العصر، أما عطلة الأعياد فتكون من ثلاثة أيام إلى خمسة أيام. ويختم ابن الشنب هذه الوصايا بأن الأجرة التي يتقاضاها المعلم عن تعليم التلاميذ هي رزق ساقه الله إليه، فيجب أن يتقي الله في أولاد المسلمين ويرى نفسه بأنه راع عليهم وأنه مسؤول عن رعيته[362].

يظهر من خلال هذه الملاحظات بأن صاحبها (المجهول) واسع المعارف، وأنه أخذ الكثير من المفكرين المسلمين الذين اعتنوا بالتعليم، فنجده مثلا في الدين، الأخلاق، التواضع قد أخذ عن الغزالي[363] وكتابه إحياء علوم الدين، خاصة الجزء الثالث (صفحة : 14، 61، 22)، أما الجزء الرابع فأخذ من صفحات : 157، 288، 289، 301، 62، 356.

أما ما يخص التدرج في تعليم المواد والمنهج والانتقال من السهل إلى الأقل سهولة، والاعتدال في توزيع جلسات العلم وضرورة طلب كل العلوم، فقد أخذ ذلك عن عبد الرحمن بن خلدون[364].

أما ما يتعلق بالعدل بين التلاميذ، وطريقة التأديب، وعطلة الأعياد ومعاملة التلاميذ، واعتمادهم على البعض فكان الاعتماد فيه على محمد بن سحنون المتوفي 256هـ[365].

6 – محمد بن رحال :

---

361 -Ibid, p.p282-283.

362 - Ibid, pp283-285.

363 – أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، أربعة أجزاء، القاهرة 1957م.

364 – عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المقدمة، بيروت، 1900م، الباب السادس، الجزء الأول، التعليم من صفحة 588/429.

365 – ابن سحنون، مرجع سابق ، ص ص67-97.

ولد محمد بن رحال في 3 شوال 1277هـــ/16 ماي 1857م، وهو من عائلة عريقة[366].

إن العديد من التقارير قد أشارت أنه في سنة 1867م لم يتجاوز عدد الجزائريين بالمدارس الابتدائية إلا حوالي 30 تلميذًا بندرومة، وكان ابن رحال من بينهم يتعلم الكتابة والقراءة والحساب باللغة الفرنسية[367]، وكان هذا بعد أن تحصل على معرفة اللغة العربية والقرآن بإحدى الكتاتيب، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة ليواصل دراسته الثانوية بالمعهد العربي الفرنسي (1870م – 1871م) وثانوية العاصمة إلى سنة 1874م. وهكذا فإنه تأثر بمدارس 1850م التي كانت تهدف إلى تكوين نخبة مزدوجة الثقافة، فكان كبعض المتخرجين منها مثل ابن بريهمات المترجم والأستاذ بن سديرة[368].

يلاحظ بأنه كان متمسكًا باللغة العربية والدين الإسلامي، لهذا يصرح سنة 1897م بأنه يجب أن لا نسلم بكل ما تأتينا به الحضارة العربية[369]، بل نأخذ ما يناسبنا، وكان من بين الداعين إلى تعليم المرأة وطبق ذلك ميدانيًا بإرسال بناته إلى المدرسة.

إن الظروف الاستعمارية والمقاومة جعلت آراء بن رحال تتغير باستمرار، إذ أصبح عضوًا في الزاوية الدرقاوية ثم مقدّما لإحدى فروع زاوية قدورين المستغانمية، وهي الزاوية السليمانية[370].

مضى بن رحال فترة قصيرة في الإدارة الاستعمارية، واستقال بعد ست سنوات في عام 1884م، وقد استطاع أن يكون صديقًا للعديد من المفرنسين، وحتى مستشارًا لبعضهم، كما كان ذلك بالنسبة لجول فيري حيث كان الناطق والمدافع عن التعليم الجزائري في لجنة الشيوخ سنة 1891م[371].

---

366 - Mohamed Ben Rahal, **étude sur l'application de l'instruction publique en pays Arabe**, bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran 1887, Tome VII, p57.

367 - Abdelkader Djeghloul, **huit études sur l'Algérie**, Alger 1986, pp36-37.

368 - Ibid, p39.

369 –عبد القادر جغلول،**الاستعمار الصراعات الثقافية في الجزائر** ، ترجمة سليم قسطون بيروت 1984، ص41.

370 - Djeghloul, **huit etudes**,op,cit , p40.

3- Ben Rahal, **étude**, op,cit, p42.

لقد عاصر ابن رحال الإصلاحات الاستعمارية الخاصة بالتعليم، والتي ظهرت بعد قانون سنة 1883م بزعامة جول فيري (Jull Ferry) وتطبيق مبدأ اللائكية ومجانية التعليم وإجباريته، وظهرت كسياسة تهدف إلى البناء وليس إلى التدمير للجهاز التعليمي العربي الإسلامي حسب رأيهم.

إن هذه السياسة بدأت بعد تدهور وضعية الزوايا التي كانت تكون المجاهدين مثل مقاومة الأمير عبد القادر[372]، وبذلك هاجر الكثير من الجزائريين ولم يبق إلا من كان مستواه ضعيفًا في الميدان العلمي. ولكن رغم ذلك كان رد الجزائريين عنيفا لرفض هذه السياسة الإدماجية الجديدة، لأن الاستعمار يدعي بأن إخضاع الجزائر قد تم بالوسائل العسكرية بعد القضاء على مقاومة 1871م كمرحلة أولى، أما المرحلة الثانية فكانت إجبار الجزائريين وإخضاعهم للإدارة والقضاء الفرنسي، أما المرحلة الثالثة فيجب أن تتم بالمدرسة وتفوق اللغة الفرنسية. لهذا كان العمل حثيثًا على تعميم التعليم القضاء على كل ما من شأنه الوقوف في وجهه، أو عرقلته، ورغم ذلك فمن بين المشاكل التي سيواجهها الوضع الاقتصادي المتدهور، ورفض العديد من البلديات تمويل هذا المشروع، وقاموا بمختلف الوسائل لعرقلته، وطلبوا من جول فيري ضرورة إلغائه[373] ، كما امتنع الجزائريون عن إرسال بناتهم إلى هذا التعليم الذي يبعدهم عن عقيدتهم. وهكذا تدخل وزير التعليم العمومي باحتشام وطلب من البلديات تطبيقه حسب الظروف والإمكانيات المالية. وقد سجلت فترة 1882م – 1891م تراجعا هاما في التحاق الجزائريين بالمدارس الفرنسية، باستثناء منطقة القبائل، إذ ظهرت المحاولات الأولى بها لتحقيق سياسة فرق تسد، ولم تتجاوز نسبة المتعلمين الجزائريين سنة 1889م نسبة 1,9 %[374].

ظهر محمد بن رحال خلال هذه الظروف، وحاول إيجاد نوع من المقاومة الحوارية، دفاعا عن تعليم الجزائريين منذ 1887م، وسأتطرق إلى ذلك من خلال مجموعة من الوثائق

---

372 - Fanny Colonna, **Instituteurs algeriens (1883-1939)**, paris 1975 , p21.

373 – اجرون، **الجزائريون المسلمون**، مرجع سابق،ص.600

374 - نفسه ، ص.627.

التي قام بجمعها الأستاذ عبد القادر جغلول من عائلة ابن رحال، خاصة مخطوط السيد رحال عبد الرزاق ورحال صارة، وهي مجموعة من الوثائق كتبت بالآلة الراقنة محفوظة بالمكتبة الوطنية منذ سنة 1983م.

فالدراسة الأولى تتعلق بالتعليم العمومي في الدول العربية[375]، ويستهلها بن رحال بقوله : "أن فرنسا منذ وطأت أقدامها الأراضي الإفريقية وهي تحاول نشر رسالتها الحضارية، وهي الإدماجية، وكان من المفروض الالتزام بتعهداتها إزاء الشعوب مهما كانت المشاكل وبدون إيجاد الذرائع[376].

إن تطبيق هذه السياسة استلزم الاهتمام بالتعليم، لأنه الوسيلة المثلى لبسط كامل النفوذ. إن فرنسا كانت تدعي بأن العرب يتميزون بالتخلف، لهذا كان من المفروض على فرنسا إخراجهم منه وتطبيق سياسة تعليمية ناجحة دون المساس بعاداتهم ودين أجدادهم، لأن الجزائريين أشد تقديسًا لهذه العوامل.

إن المحاولات المتكررة حكم عليها بالفشل، لأنه كان المهم عند فرنسا هو نقل بعض الجزائريين من القرى إلى مدارس المدن دون الاهتمام بهم ماديًا، أو تخصيص معلمين لتكوينهم، وعودتهم بعد ذلك إلى منازلهم، وهم تقريبًا أميون غير متمكنين من اللغة الفرنسية أو اللغة العربية، وذلك يحقق تدهورهم الاقتصادي وارتباطهم بالاستعمار[377].

ويضيف ابن رحال دعوته إلى إيجاد نظام داخلي يتكفل بجميع مصاريف تعليم الجزائريين، واحترام مقومات شخصيتهم، وفتح أمامهم المناصب اللازمة، ويكون ذلك بالوسائل الآتية أهمها : إنشاء المدارس التي يجب أن تكون قريبة من السكان حتى يتمكنوا من مراقبة أبنائهم، ومعرفة ما يقدم لهم من مواد[378]. ويجب أن يكون التعليم مجانيًا ومقتصرًا على أبسط الضروريات، حتى ولو استدعى الأمر داخل خيمة ببعض الألواح وصبورة، فيكون ذلك مشابهًا لما يوجد من تقاليد.

---

375 - Ben Rahal, **étude**,op.Cit , p.6.

376 - Ibid.

377 -Ben Rahal, **etude**, op,cit, p8.

378 - Ibid,p9.

إن هذه الطريقة تمكن من فتح عدة مدارس في المنطقة الواحدة، تكون تحت إشراف معلم، وتقدم المبادئ الأولى في القراءة والخط والحساب فقط، ويتم بعد ذلك نقل المتفوقين من التلاميذ إلى المدارس العربية الفرنسية بالبلدية، ونقدم لهم الرعاية الكافية وتكوينهم بإشراف مدير فرنسي ومساعدين جزائريين، ويجب على الأقل تفتيش هذه المدارس مرة واحدة في الشهر.

إن مدارس الخيمة يجب أن يكون العاملون بها جزائريين فقط، أما المدارس الفرنسية العربية فيكون المدير فقط فرنسيًا، ويكون الكل متمكن من مهنته، وله خبرة طويلة، فيجد رضا وقبول الشعب، ومن بين الشروط الأساسية هي معرفة كتابة العربية ونطقها[379].

فطريقة التعليم يجب أن لا تكون ترغيبية وتقديم نقود للتلاميذ، لأن ذلك يسيء لنفسية التلميذ ويجب العمل لكي يلتحقوا بالدراسات العليا ليصبحوا موظفين في الإدارة[380].

يلفت بن رحال انتباه الفرنسيين بقوله : "بأن الجزائريين لهم أنفة وكبرياء عند الحصول على وظيفة للاسترزاق منها، ويكون ذلك بالتعليم دون تمييز، ويجب الارتقاء والتطور وهذا سيشجع الأولياء لإرسال أبنائهم وتحقيق نتائج مشجعة[381]".

ويختم محمد بن رحال تدخله بقوله : "بأن مسألة التعليم تعتبر رأس مال الجزائر مستقبلاً، حتى وإن كانت بمخيمات، لأنها تكوّن جيلاً مثقفًا، وخاصة بعد القضاء على الفكرة القديمة التي تشترط إنشاء المدارس المكلفة،ذلك أن قيمة المدرسة الواحدة بالبلدية يمكن أن تفتح بها عشرة مدارس في الريف، ونتمكن من العناية والاهتمام بها بأبسط الوسائل الإدارية والمالية. وأتمنى أن تجد اقتراحاتي هذه آذانًا صاغية لتجسيدها في الميدان وتحقق الكثير للجزائريين المتعلمين"[382].

379 - Ibid, p11.

380 - Ben Rahal,**etude**,op,cit , p12.

381 - Ibid, pp13-14.

382 - Mohamed Ben Rahal, **projet de réorganisation de l’enseignement supérieur en Algérie**, Mai 1892, p17.

إن الوثيقة الثانية هي متعلقة بالمشروع الذي قدمه السيد بن رحال سنة 1892م، حول إعادة تنظيم التعليم العالي بالجزائر، ويبين بأن التعليم الإسلامي أصبح غير موجود في الجزائر، أو هو في حالة بدائية، بالكتاتيب والزوايا، وما هو بمرحلته الأولى بالنسبة لمدارس تلمسان والجزائر وقسنطينة، وهذا بسبب الاستعمار. يفتتح بن رحال مشروعه بقوله : "إن التعليم يجب النظر إليه من وجهة تكاملية، بحيث تكون ضرورة الاهتمام بالتعليم الثانوي والعالي الفرنسي، مماثلا للتعليم الإسلامي الخاص بالجزائريين، لأنه يلاحظ بأن التعليم الفرنسي محكم التنظيم، وسخرت له جميع الإمكانيات المادية والبشرية، بينما تعليم الجزائريين منعدم، وإن وجد فهو في مرحلته البدائية في الكتاتيب والزوايا وبمدارس تلمسان والجزائر وقسنطينة[383].

إن المدارس الثلاث رغم تنظيمها واهتمامها بتخريج رجال القضاء والإفتاء، إلا أنها استمرت دون مستوى التقدير، لأن الجزائريين استمروا في تفضيلهم للمتخرج من الزاوية والمسجد، بأنه أحسن من غيره.

لذا يجب الإكثار من هذا النوع من المدارس ورفع عدد التلاميذ بها، وتحسين مستواهم وهذا لإيقاف خطر تسلل بعض المعلمين من تونس والمغرب، وإثبات بأن الاعتماد على المعلمين المحليين يحقق النتائج المرجوة في إطار المحافظة على التقاليد والتاريخ والدين.

إن تعليم الفرنسية يجب أن يكون مظهرا من مظاهر التطور العلمي والمعرفي، وليس منافسة اللغة العربية أو القضاء عليها لكي لا يستمر الرفض والمقاومة، وعندئذ تكون طرق التعليم متكاملة، ويجب أن يكون ذلك بالمشروع الآتي : إعادة تنظيم كامل للمدارس الثلاثة[384]، الجزائر، تلمسان، قسنطينة.

تحديد المدة الدراسية بثلاث سنوات.

- مضاعفة عدد التلاميذ.
- رفع عدد الأساتذة والعلماء حتى وإن استدعى ذلك الاستعانة بالأجانب.

[383] - Ben Rahal, **projet,**op ,cit p18.

[384] -Ibid, p19.

- تكوين مساعدين فرنسيين متمكنين من اللغة العربية كتابة ونطقًا، ويكون هذا خاصًا بأساتذة اللغة الفرنسية.
- يكون امتحان نهاية الدراسة بمدرسة الجزائر وتضاف سنتين للتكوين العالي[385].
- ينظم امتحان في نهاية السنة الخامسة.

إن نجاح هذا الإصلاح يتركز خاصة على ضرورة إدراج اهتمام كبير بالعلوم الإسلامية، ووضع مواد اللغة الفرنسية المهمة فقط، وتنظيم امتحان صارم يتوج بشهادة تعادل البكالوريا، ويكون ذلك مفتوحًا للجميع، ويختم ابن رحال تدخله بأن مستوى المتخرجين من الجامعات الفرنسية يتماثل مع مستوى الجزائريين المتخرجين من القرويين بفاس، والأزهر بمصر، والزيتونة بتونس، ونأمل في المستقبل أن نفتخر ونعتز بالمتخرجين من الجزائر عندما تحترم فرنسا الشعب الجزائري وتقدس مقوماته[386].

بالإضافة إلى هذا، فلمحمد بن رحال تدخل ودفاع عن اللغة العربية في التعليم من حوالي 13 ورقة (31×21)[387].

---

385 - Ibid, p20.

386 - Ben Rahal ,**projet**,op,citIbid, p21.

387 - Mohamed Ben Rahal, **Intervention aux délégations financières sur l’enseignement de la langue Arabe**, délégations financières, Mai/Juin 1921.

ثالثًا : نتائج التعليم العربي الفرنسي

إن المدارس الفرنسية بمختلف أنواعها ومراحلها أدّت إلى ظهور مجموعة من المتخرجين، فئة منهم استمرت متمسكة بثقافتها الإسلامية رغم تمكنها من اللغة الفرنسية، وكانت تعمل أحيانا لمواجهة عنف الإدارة الفرنسية، وهي بعيدة كل البعد عن الشعب المشرد، وأصبحت تلعب دور الترجمان عن عواطف أمة صاروا منفصلين عنها بسبب مغالطتهم من طرف الاستعمار، ورضاهم بأن يكونوا واسطة بين الشعب وسلطات الاحتلال. أما الفئة الأخرى فهي مجموعة تنكرت للشعب وطعنت الثقافة العربية الإسلامية بالطريقة التي كان الاستعمار يمليها عليها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وأنها كانت تلقن ذلك في كل مرحلة من مراحل التعليم، وقد قبل الكثير من هذه المجموعة الانسلاخ عن العروبة والإسلام، وانقادوا جهارًا لحركة الإدماج.

والظاهر أن هذه النخبة تميزت بأنها أضعف إنتاجا وأقل ارتباطًا بالفكرة الوطنية وأبعدها عن الدعوة إلى النقد السياسي والإصلاح الاجتماعي، ويمثل هذه المجموعة كتاب وعلماء دين جمعوا إلى التقاليد القديمة صلاتهم بالحضارة الغربية، ولو في صورة ضعيفة، فكانوا يتميزون بمستوى علمي وفكري ضعيفين، لأن الوظيفة كانت تشترط الولاء للاستعمار فقط، وكان من هؤلاء أئمة وقضاة ورجال إفتاء، كالشاذلي القسنطيني[388]، وابن الحفاف[389]، والعمالي، وبوقندورة، والعنتري[390]، وابن العطار[391].

1–الشاذلي القسنطيني (1807م – 1877م)، أديب، شاعر، قاضي، مدير مدرسة الكتاني. انظر:سعد الله، **محمد الشاذلي القسنطيني**،مرجع سابق.

2–ابن الحفاف (– 1890) مفتي المالكية.

3–العنتري (– 1870م) كاتب بالمكتبة القديمة بقسنطينة.

4– أبو القاسم سعد الله، **مدارس الثقافة**، مرجع سابق، ص63.

وكان مترجمون في الجيش الفرنسي، كحسن بن محمد[392]، وأحمد بن رويلة[393]، وعلي بن محمد[394]، وإبراهيم بن بريهمات[395]، أما الموظفون بالتعليم الفرنسي فكان منهم بلقاسم بن سديرة[396]، إبراهيم بن فاتح[397]، ومجدوب بن خلفات[398].

وكان بالإدارة مصطفى بوضربة، أما بالصحافة وخاصة العاملين بجريدة المبشر، فكان بأداوي وحفناوي وبالطب، فكان مرسلي الطيب الطبيب بمستشفى قسنطينة في سنة 1856م والمشهور بعد 1885م، لنجاحه في مقاومته للكوليرا بالجزائر وبجدة بالمملكة العربية السعودية[399].

المتأثرون بالمدرسة الفرنسية نجد بعضهم يدافع على ضرورة المحافظة على المقومات الشخصية، كاللغة والدين، رغم وجودهم في وظائف رسمية يتقاضون مرتباتهم من السلطة العسكرية، فكانت النتيجة في بعض الأحيان النفي أو الإبعاد، أما البعض الآخر فقد كان يدافع على مصالح الشعب ووضعيته المزرية، ومن أمثلة ذلك ما كان بعد 1867م.

إن مجاعة 1867م وأعمال الكاردينال لافيجري التمسيحية، أدت بنابليون إلى تعيين لجنة بحث برلمانية وإرسالها إلى الجزائر لتبحث في الأمر في سنة 1869م، وكان من جملة من اجتمعت بهم من المسلمين الجزائريين هم محمد المكي بن باديس ممثل قسنطينة، وحسن بريهمات ممثل الجزائر، وأحمد ولد قادي ممثل وهران.

وكان موقف هؤلاء النواب وخاصة حسن بريهمات موقفًا مشرفًا، حيث بيّنوا للجنة البحث ممارسات المعمرين التي كانت البلاد مصرحا لها، وبعد رجوع اللجنة إلى باريس

---

392 – ولد في الجزائر سنة 1810م، مترجم عسكري في سنة 1840م.

393 – ابن رويلة أحد مساعدي الأمير عبد القادر توفي بعد مقاومة 1864م.

394 – ولد بالعاصمة سنة 1848م وتوفي سنة 1868م.

395 – توفي سنة 1868م.

396 – ولد سنة 1845م ببسكرة مدرس ببوزريعة وتوفي سنة 1901م.

397 – ولد سنة 1850م بالعاصمة مدرس بثانوية الجزائر.

398 – ولد سنة 1853م بقسنطينة مدرس بثانويتها.انظر (Hamet)

399 - Hamet, **les Musulmans**, op,cit, p.p191-205.

انظر : Féraud, op, cit ,.

اتخذت الحكومة الفرنسية قرارات، وسنت قوانين متضاربة ومتناقضة، وأعطت الأوامر لتطبيق قوانين المملكة العربية سنة 1865م[400].

كذلك تدخّل نواب الجزائر في سنة 1862م في العاصمة، ودافعوا عن مبلغ الأوقاف الذي تراجع من 110 ألف فرنك إلى 40 ألف فرنك، وطلبوا محاسبة الدولة على ذلك، فأجابتهم السلطة الفرنسية بأنها أحالت المسألة إلى لجنة متخصصة لتبحث في القضية، و لم تظهر أي نتيجة لهذه اللجنة بعد ذلك[401]، وبالإضافة إلى ذلك نجد أحمد بريهمات، وهو خريج المعهد العربي بالجزائر وأخو إبراهيم بن بريهمات المترجم العسكري الذي كان مترجما هو أيضًا، واستقال سنة 1877م[402] لأنه دافع على تعليم الجزائريين، وذكر في سنة 1883م بأن فرنسا لم تنجز إلاّ مدارس قليلة لم تحقق أي نتيجة.

يعتبر البعض بأن هذه المدرسة كانت الجسر الذي اجتازت عليه الثقافة الفرنسية إلى معاقل الثقافة الوطنية، وهاجمتها في عقر دارها، لأن الثقافة الوطنية قد فقدت أثناء هذه الفترة معظم المدافعين عنها، ومن أجل ذلك شاع الأدب الشعبي وقل الإنتاج باللغة العربية الفصحى، وظهر بعض المادحين لأعمال فرنسا في الجزائر، كأحمد بن لفكون، وابن صيام، وابن القاضي، والملاحظ أن الجزائر قد خلت خلال هذه الفترة من الصحافة العربية، والذي يقرأ الجريدة الوحيدة عندئذ وهي المبشر، التي أنشأها الفرنسيون سنة 1847م، فإنه يدرك بأنها كانت نشرة خاصة للإعلانات والأوامر والمراسيم والتعيينات الرسمية للاستعمار، بأسلوب ركيك وعبارات مترجمة لا روح فيها ولا ذوق[403].

---

[400] – المهدي بوعبداللي، "**الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي**"، محاضرة بمركز المحافظة لجبهة التحرير الوطني بمستغانم، 25 رمضان 1390هـ، ص3.

[401] – نفسه، ص4.

[402] - Hamet, **les Musulmans**, op.cit, p192.

[403] – سعد الله، **مدارس الثقافة**، مرجع سابق، ص ص70-71.

الفصل الرابع

التعليـــــم العربـــــي الجزائـــــري الأهلـــــي

1 – استمرار التعليم العربي: الزوايا، المساجد، الكتاتيب

2 – جهود بعض الجزائريين في التعليم

3 – نتائج التعليم العربي

أولاً : استمرار التعليم العربي :

لقد استمر التعليم العربي قائمًا بعد أن فككت هياكله وأحيل إلى الدرجة الدنيا، وأحيط برقابة شديدة وحدد في الوقت والمحتوى، وظل ملكًا للمبادرة الخاصة بفضل تمسك الشعب الجزائري بالقرآن الكريم واللغة العربية والعادات والتقاليد، فحافظ على استمرار وجوده رغم ما فقده في الحقبة التاريخية المظلمة، فإنه بقي محافظًا على وعيه التاريخي الذي استمر يمده بالقوة الروحية لمجابهة أنواع التشويه التي كانت السلطة الاستعمارية تحاول فرضها ميدانيًا.

إن معظم الشعب الجزائري استمر ينظر إلى التعليم الفرنسي بأنه أخطر عدو لمقومات شخصيته، فرفضه بمختلف الطرق[404]، ويستثنى من ذلك فئة قبلت به تحت الضغوط الاقتصادية والاجتماعية، واستمرت متمسكة بشخصيتها، وبالإضافة إلى ذلك قد لعبت بعض الطرق الصوفية والمساجد والكتاتيب دورًا هامًا في بقاء التعليم الذي سمح لبعض الجزائريين بمختلف أعمارهم على تحصيل قسط من العلم والمعرفة. أما حفظة القرآن فقد قدموا خدمة جليلة للمجتمع الجزائري، حتى وإن كانت معارفهم محدودة لأنهم استطاعوا حماية أحد مقومات الشعب من حملات المسخ والتغريب والفرنسة. وكانت هناك فئة أخرى استطاعت أن تواصل تعليمها خارج الوطن، خاصة في فاس، وتونس، والقاهرة، وسوريا، وغيرها، وكان نشاطها جدُّ محدود، ورغم ذلك كانت من عوامل الحفاظ على مقومات المجتمع.

استمرت العداوة الرسمية والأوروبية لمراقبة نشاط التعليم العربي، ومع ذلك فقد واصلت مؤسساته نشاطها، ويؤكد ذلك اعتراف الاستعمار نفسه بذلك مؤكدًا أن عدد الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة يفوق ما يوجد في الجيش الفرنسي، وأن نسبة الأميين في الجيش الفرنسي هي 45%، أما نسبة المتعلمين من الجزائريين فهي 55%[405].

---

404 – سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة العربية في الجزائر**، مرجع سابق، ص39.

405 – قنان، **التعليم الأهلي**، مرجع سابق، ص ص13-17.

كما تشير إحصائيات سنة 1871م بأن عدد المؤسسات التعليمية الجزائرية كان حوالي 2000 مؤسسة، بها 28000 تلميذًا ومدرسيها جزائريون يتقاضون مرتباهم من الشعب. وكانت المهمة هي تحضير الطلاب للالتحاق بجامع الزيتونة في تونس والقرويين بفاس ونحو الشرق العربي[406].

أما المناطق الصحراوية التي كانت بعيدة عن الاحتلال خلال العشرين سنة الأولى من الاستعمار، فقد ظلت مستمرة أكثر من غيرها في نشـــر رسالتها التعليمية، كمنطقة بسكرة مثلا التي كان عدد الزوايا بها 56 زاوية فيها 852 تلميذًا بعد سنة 1844م[407].

استمر التعليم في المساجد فكان بعد الاحتلال في المسجد الكبير نحو 19 أستاذًا، ورد ذكرهم في مجموعة الأساتذة الذين أجازوا المفتي سيدي حميدة العمالي[408]، وسيد مصطفى بلحاج محمد الحرار[409].

فمن المشايخ الذين أخذ عنهم حميد العمالي المفتي محمد بن الشاهد[410] والشيخ العربي ومحمد بن الكاهية ومصطفى بن الكبابطي[411] والقاضي وعزيز.

أما الذين أخذ عنهم مصطفى الحرار فهم علي بن محمد الملجلاتي[412] ومحمد بن ابراهيم موسى[413] وعلي بن الأمين[414] والحاج حمودة الجزائري ومحمد صالح البخاري الرضوي بن خير الله.

أما بالشرق فكان بقسنطينة الشيخ محمد بن علي الطلحي المدرس بمسجد سيدي مسلم الحراري، وعمار العربي المدرس بمسجد القصبة، ومحمد بن سالم بمدرسة سيدي

---

406 - Turin, **affrontement**, op.cit, p29.

407 - De Slave, **instruction publique**, op.cit, pp12-14.

408 – مفتي المالكية بالعاصمة (1812م – 1874م)، انظر : سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة العربية في الجزائـــر**،مرجع سابق، ص35، الحفناوي، **تعريف الخلف** ، ج2، مصدر سابق، ص.546.

409 – الحفناوي، نفسه، ص.35.

410 – مفتي المالكية سنة 1770م، نفسه.

411 – مفتي المالكية، نفسه، ص35.

412 – مفتي المالكية في سنة 1824م، نفسه، ص35.

413 – مفتي المالكية في سنة 1824م، المصادر السابقة.

414 – مفتي المالكية في سنة 1821م، انظر ،ابن أبي شنب، نفسه، ص36.

الأخضر.و في الغرب كانت عائلات شهيرة منذ أواخر العهد العثماني، واستمرت كذلك في العلم والتعليم، مثل عائلة شعيب وعائلة المجاوي.

يضاف إلى هذا نشاط بعض المدارس التي كانت قبل الاحتلال، واستمرت بعده تواصل مهمتها بصعوبة، كمدرسة سيدي أيوب بالقرب من الجامع الجديد، ومدرسة حسن باشا في جوار جامع كتشاوة، ومدرسة زاوية القشاش والشبابرية وزاوية سيدي محمد الشريف. أما بقسنطينة فقد كانت مدرسة الكتانية ومدرسة سيدي الأخضر، وكانت مدارس أيضًا بوهران ومازونة. هذا بالإضافة إلى الزوايا المنتشرة في مختلف المناطق خاصة بالريف، مثل زاوية شلاطة وزاوية أبي داوود وزاوية الهامل[415].

إن المثقفين الجزائريين خلال الثماني عشر سنة الأولى من الاحتلال كانوا محاربين وعندما فشلوا في الغلبة على الحضارة الجديدة هاجروا من ديارهم متوجهين إلى قواعد الثقافة التي تلائم تكوينهم[416]، أو نفوا نفيا وتركوا فراغًا كبيرًا في الميدان التعليمي. وأصبحت البلاد بعدهم دون نخبة تدافع عن مصالحها الذاتية والحضارية، ومنهم ما ذكر سابقا، ويضاف إليهم خاصة حمدان خوجة وابن العنابي و الأمير عبد القادر [417] وابن الكبابطي[418] وابن رويلة[419]، وغيرهم.

إن الزوايا كانت تشبه كثيرًا المعاهد العلمية الحالية واشتهرت بتعليم القرآن وأحكام قراءته والفقه ومختلف العلوم الإسلامية واللغة العربية، وكانت بعد مرحلة معينة من التعليم ترسل طلبتها إلى جامع الزيتونة بتونس أو جامع القرويين بالمغرب أو جامع الأزهر بمصر. وبعد إتمام الدراسة يعودون إلى التدريس بالزاوية الأم أو زوايا أو مساجد بالوطن[420]. وقد

---

[415] – بن أبي شنب،**النهضة**، مرجع سابق، ص39.

[416] – سعد الله، **مدارس الثقافة**، مرجع سابق، ص46.

[417] – سياسي، مصلح اجتماعي، رائد الفكرة القومية، مهاجم للمتعصبين، انظرسعد الله، **مدارس**، مرجع سابق.

[418] – نفي بعد معارضته لضم الأوقاف الإسلامية سنة 1843م، قليل الإنتاج شعرًا ونثرًا.

[419] – كاتب الأمير عبد القادر ومحرر التنظيمات الخاصة بالجيش المسمى وشاح الكتائب، مات بالشام سنة 1855م وهو قليل الإنتاج الأدبي. انظر : سعد الله، **مدارس**،مرجع سابق، ص50.

[420] – محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، سوريا 1989 ، ص159.

كانت بالزوايا مكتبات بها كتب في مختلف العلوم، خاصة الدينية[421]، وبها 200 معلمًا سنة 1871[422].

أ – استمرار نشاط بعض الزوايا التعليمية :

1 – زاوية الهامل :

إن مؤسس زاوية الهامل[423] قد حفظ القرآن ومبادئ اللغة العربية بمنطقته، ولما بلغ الثالثة عشر من عمره توجه إلى زاوية سيدي علي الطيار بالقبائل الصغرى، وانتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي السعيد بن أبي داود قرب أقبو عام 1252هـ/1838م، حيث تعلم الفقه والتفسير والحديث وفنون اللغة العربية، ورجع بعد ذلك إلى الهامل عام 1265هـ/1848م فتولى التعليم مدة تسع سنوات، ويلاحظ بأنه خلال هذه الفترة قد كان يتصل بالأمير عبد القادر عن طريق المراسلة، واجتمع به في ناحية التيطري بنية الالتحاق بصفوف المجاهدين تحت لوائه، لكن الأمير دعاه إلى تحمل أعباء التربية والتعليم وإعداد الأمة للجهاد والاستبسال في المقاومة، ولتحقيق هذا الهدف نصحه بتأسيس زاوية لتحفيظ كتاب الله ونشر لغة القرآن وعلوم الإسلام.

ابتداءً من سنة 1271هـ/1854م بدأ مؤسس زاوية الهامل ينتقل بين قريته وزاوية الشيخ المختار بأولاد جلال للتعليم فيها، واستقر بعد سنة 1277هـ/1860م بمسقط رأسه وواصل ممارسة التعليم، ثم بدأ في بناء زاويته خلال عام 1279هـ/1862م وافتتحها في غرة محرم 1280هـ/1863م[424].

---

[421] - Jacque , Carret, **le Maraboutisme et les confréries religieuses Musulmanes en Algérie**, Alger 1959, p3.

[422] -Ibid., p26.

[423] – هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن عبد الرحيم الشريف الحسني، من كبار رجال التصوف ولد سنة 1223هـ/1817م بالحامدية بحاسي بحبح.

[424] – نسيب، مرجع سابق، ص157.

رغم الأساليب الاستعمارية الوحشية، استمرت الزاوية في نشر التعليم العربي الإسلامي، وكان طلاب العلم يقصدونها من كل الجهات، وكانت أحيانا تنافس حتى الزيتونة والقرويين، كما يشير إلى ذلك أبو القاسم الحفناوي[425].

2 – زاوية أبي القاسم الحسيني البوجليلي[426]:

تركزت الدراسات في هذه الزاوية في البداية على العلوم العربية، أي النحو والصرف والبلاغة، أما الفقه فكان في الدرجة الأخيرة، ويرجع ذلك إلى كون معظم الطلبة الذين التحقوا بهذه الزاوية كانوا قد درسوا القراءات والفقه، وبعد سنة 1898م ترأس الزاوية الشيخ أحمد بن محمد وكان فقيها، لذلك تقلصت في عهده العلوم العربية قليلاً وازدهر الفقه، وقد أحدث الشيخ ما يمكن أن يسمى الدراسة الموسمية، إذ خصص أشهر الشتاء لتدريس الفقه بصفة معمقة لعدد كبير من المثقفين الكبار في السن الذين لم تسمح لهم ظروفهم المعاشية أن يواصلوا الدراسة في المعاهد طول العام، وهذا النظام يسمح أن يقبلوا على الدرس بعد أن يكونوا قد انتهوا من حرث أراضيهم وجمع التين والزيتون خلال فصل الخريف، وكانت الدروس تعطى في أواخر النهار وبعد الفجر، وذلك لتتاح الحرية لبعضهم في الانصراف إلى العمل وللتجارة[427].

إن زاوية بوجليلي تتميز بأن رئاستها دائمًا تكون لأحد أبناء العائلة، وتكون هذه الرئاسة شرفية لأن إدارة شؤون الطلبة وتسيير الزاوية يقوم بها الطلبة أنفسهم ونظام الزاوية داخلي، ويعيش الطلبة من تبرعات المحسنين وقد تخرّج منها كثير من العلماء في العلوم القرآنية والفقه واللغة العربية، وقد ساهم معظمهم بعد التخرج في نشر العلم وتولى بعضهم القضاء والإفتاء[428].

3 – زاوية الشيخ عبد القادر الحمامي :

---

425 – الحفناوي، **تعريف الخلف**، مصدر سابق، ص354.

426 – مؤسسها الشيخ محمد أبو القاسم المولود سنة 1826م ببني ورثلان، انظر : نسيب، مرجع سابق، ص171.

427 –نفسه، ص172.

428 – نسيب، مرجع سابق، ص174.

تأسست هذه الزاوية سنة 1880م على يد الشيخ عبد القادر بن عمر بن محمد بن عبد القادر بن الرحمان بن القاضي الحمامي بقرية الحمام (ولاية البويرة حاليًا). تعلم مؤسسها بزاوية أبي القاسم الحسيني البوجليلي، ولقد كان طلاب هذه الزاوية كثيرين، إذ بلغ عددهم خلال هذه الفترة حوالي 500 طالبًا معظمهم استمر في ممارسة نشر المعارف التي تلقاها في زاويته[429].

4 – زاوية سيدي منصور الجنادي :

تميزت هذه الزاوية ببلاد القبائل باحتوائها على سبعة عشرة معمرة لتدريس القرآن وشرحه وتلاوته وضبطه ورسمه، بالإضافة إلى دراسة الأجرمية، شرح مختصر خليل، الجبر، الأشعار، البلاغة، وقد كان الطلبة يستمرون فيها من خمس إلى عشر سنوات طلبا للعلم حسب الظروف والاستعدادات والمؤهلات الخاصة[430].

5 – زاوية ابن سحنون بتاغراست[431]:

تعتبر هذه الزاوية بمثابة المعهد القرآني العلمي الداخلي، وكان هدفها بعث نهضة علمية فكرية يرتبط ماضيها بمستقبلها، وكان عدد الطلبة بها يتراوح سنويـــاً بيـــن 300 و 500 طالبًا، وكان التعليم منظمًا حسب نوعين من الطلبة : طلبة القرآن، وطلبة العلم (العلوم العربية والدينية).

لقد نظم طلبة العلم في أربع طبقات حسب الكتب المدروسة، وكان المتخرجون يمكنهم أن يلتحقوا ببساطة بالزيتونة أو المدرسة الكتانية، وتولى التدريس في هذه الزاوية مؤسسها الشيخ محمد السعيد والشيخ بلقاسم بن أحمد بن علي وغيرهم[432].

6 – زاوية الخليفة سي الشريف ابن الأحرش بالجلفة :

---

429 – نفسه، ص179.

430 – أحمد ساحي، **أعلام من زواوة**، ايقواون، دون تاريخ، الجزائر، ص58.

431 – تقع بدائرة سيدي عيش ولاية بجاية حاليا، أسسها الشيخ محمد السعيد بن سي السعيد أمقران السحنوني المولود حوالي الأربعينات من القرن التاسع عشر والمتوفى سنة 1914، انظر : نسيب ،مرجع سابق، ص166.

432 – نسيب، ،مرجع سابق ، ص167.

لقد أسس سي الشريف زاويته بعين شنوف بالجلفة سنة 1855م، وقام بزراعة الأرض وأقام سدًا على ضفة الوادي لسقي الأراضي الواسعة المخصصة لزرع البطاطا، وكان له قطيع كبير من الغنم لتحقيق الضروريات للزاوية والمدرسين والطلبة، المقدر عددهم في هذه الفترة 500 طالب يتعلمون القرآن الكريم وعلوم الشريعة[433].

ب – التعليم بإقليم توات[434]:

إن هذه المنطقة أحسن حظًا من باقي المناطق التي عاث فيها الاستعمار فسادًا منذ 1830م، لذلك استمرت في أداء رسالتها التعليمية[435]، وكانت منارًا للعلم في وسط الصحراء الواسعة التي وصل إشعاعها إلى السودان الغربي، وكان ذلك عن طريق قوافل التجارة والمسافرين والحجاج. وخير شاهد على ما كانت عليه توات من الناحية الثقافية والتعليمية ما تركه المشايخ التواتيون من أشعار وتآليف وفتاوى وغيرها، بالإضافة إلى ما جاء ذكره بأن إحدى المدارس خلال هذه الفترة كان بها ما يزيد على أربعمائة تلميذًا يأكلون ويشربون وينامون في مستوى رفيع ويتعلمون، وكان لذلك تأثير كبير على البعض فأنشد يقول :

433 – فرانسوا دوفيلاري، **الخليفة سي الشريف بن الأحرش وزاويته**، ترجمة هزرشي عبد الباقي، جريدة الخبر، الاثنين 20 أكتوبر 1997م، الجزائر، ص19.

434 – إقليم توات يقع جنوب غرب الصحراء الجزائرية وتبعد أقرب نقطة منه على العاصمة بحوالي 1500 كم، وكانت تضم أدرار تيميمون، عين صالح، ويمتد حتى منطقة قرارة ومنطقة تيديكلت.

بدأت بها مقاومة الاستعمار منذ سنة 1869م، وازدادت نشاطا وفعالية هذه المقاومة بعد سنة 1882م عند وصول الشيخ بوعمامة إلى المنطقة، ولم يتمكن الفرنسيون المتوغل في المنطقة إلاّ بصعوبة إذ استولوا على منطقة القرارة في 26 يناير 1900م، واتخذوا من مدينة تيميمون – وهي أكبر مدينة – مركزًا حربيًا لعملياتهم في الصحراء، وفي شهر جويلية في نفس العام استولوا على على منطقة توات وفرضت فرنسا بعد ذلك الحكم العسكري على كافة الصحراء الجزائرية.

انظر : فرج محمد فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، الجزائر 1977م، ص ص1-12.

435 – إن معظم تراث المنطقة التعليمي عبارة عن مخطوطات مازال معظمها حبيس المكتبات الخاصة، والبعض الآخر أتت عليه الأرضة فحولته إلى مسحوق.

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما *** قد حدثوك فما رأى كما من سمعا[436]

إن المشايخ التواتيين اهتموا بعلوم اللغة والدين و لم يهتموا بتحصيل العلوم الأخرى، وربما كان مرجع ذلك تأثرهم بما كان عند المشرق والمغرب من اقتصار على العلوم الإنسانية فقط.

وقد ساعدت كثرة الزوايا التابعة للطرق الصوفية على فتح باب فرص التعليم أمام طالبي العلم التواتيين، فلم يخل قصر أو مدينة من زاوية أو أكثر، بعضها رئيسي والآخر فرعي. لم يقتصر دور الزوايا على نشر وتعميق التعاليم الإسلامية بين الأهالي فقط، بل كان التعليم من ضمن أهدافه الرئيسية، حيث كان يلحق بهذه الزوايا أماكن للتعليم بالإضافة إلى امتلاك كل الزوايا لخزانة من الكتب المتنوعة التي تتناول أمور الدين من فقه وتفسير وحديث وسير، وتذكر لنا إحدى المصادر بأن زاوية قصر ملوكة كانت تضم أكبر خزانة للكتب في المغرب العربي، وكذلك يذكر صاحب القول البسيط بأن الزاوية البكرية بمدينة تمنطيط كانت تمتلك من كتب الشيء الكثير[437].

كان الكثير من المدرّسين في توات يمتلكون أمهات الكتب، وقد حافظوا عليها بنسخها كلما دعت الضرورة، فالشيخ الحسن بن سعيد البكري يذكر في مقدمة إحدى الكتب التي قام بنسخها بأنه لم يدفعه إلى ذلك إلاّ خوفه من تلف هذه المخطوطات التي تحتوي العديد من المعارف والعلوم، والتي لم يهتم أحد بنسخها، وأصبحت معرّضة للإندثار[438].

إن المادة الأساسية في التعليم هي اللغة العربية والشعر وقيامهم بشرح أو تعليق أو اختصار أو تبسيط للموضوع، ليسهلوا به عملية الحفظ.

---

436 – عبد العزيز سيدي عمر، **قطف الزهرات من أخبار علماء توات**، الجزائر 1985، ص12.

437 – محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، المشهور بابن بابا حيدة، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تحقيق ونشر فرج محمود فرج (مقدمة للحصول على الدكتوراه الدرجة الثالثة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1977م، ص6.

438 – فرج ، **إقليم توات**، مرجع سابق، ص91.

كان هذا خاصا بالنصوص على شكل جمل مسجوعة أو على شكل أرجوزة، لأن ذلك هو أسلوب التعليم المتبع عندهم. ومن بين الشيوخ الذين لعبوا دورًا هامًا في التعليم بالمنطقة نجد محمد عبد الكريم[439]، الذي ولد ببني تامرت سنة 1288هـ/1871م ونشأ بها ثم ارتحل إلى مدرسة السيد أحمد الحبيب ورجع بعد ذلك إلى منطقته مدرسًا، خاصة منذ 1318هـ/1898م للفقه والنحو والفرائض ونظّم قصائد كثيرة في الآداب ومناظرة العلماء والاستفادة منهم، فيقول :

خذ الجواب واصغ للبيان *** بعون ربّنا الكبير العالي[440]

ويبيّن ضرورة التأدب في طلب العلم فيقول :

عليك السلام التام الأعلى المهذب *** أيا أيها الحبر الفقيـه المـؤدّب

وبعد فخذ أخي جوابًا يناسـب *** به اللغز الخطاب قصد التجارب

لقد تميز محمد بن عبد الكريم بالذكاء وقوة الاجتهاد، وله فتاوي لا تعد ولا تحصى، ويعتبره البعض بأنه اشهرعلماء التوات[441].

ومن الشيوخ المدرّسين أيضًا أبو عبد الله أحمد حبيب البلبالي، درس أصول الفقه وفروعه بالإضافة إلى النحو والصرف واللغة وعلم الحديث والتفسير، ويصفه البعض أثناء تدريسه بأنه كان كالمطر الوابل، وتخرج على يديه الكثير من التواتيين، فأصبح البعض منهم قضاة كابن عمه محمد بن القاضي ونجلاه الفقيهان محمد عبد الرحمن، الذي أصبح مدرسًا وقاضيًا، ومحمد سالم وغيرهم، وله قصائد شعرية يقول المؤلف لم يحضرني الآن منها شيئ وتوفي عام 1317هـ/1899م[442].

أما عبد العزيز فقد ولد بملوكة ودرس الفقه والنحو[443]، حتى لقبه البعض بسيبويه ثم اشتغل بالتدريس وأجاز الكثير، وجاء في إحدى إجازته :

---

439 – نفسه، ص95.

440 – سيدي عمر، مرجع سابق، ص17.

441 – نفسه، ص25.

442 – سيدي عمر ، مرجع سابق، ص26.

443 – فرج ، مرجع سابق، ص99.

سألتم من هـــذا العبيـــد إجـــازة *** وإني بها في غير حبل أحطـــب

وها أنا ذا بعد اعتـــذار أجزتكـــم *** إجازة عبد خائـــف يترقـــب

تدور على المنقول على سيد الورى *** وما هو معقول للإعلام ينسب

بشرط اتقـــاء الله في كـــل حالـــة *** وفي كل قول تلفظه فيكتـــب[444]

يظهر من خلال هذه الأبيات تدينه إلى درجة التصوف وتواضعه في التعليم، توفي سنة 1261هـــ.

ومن المعلمين أيضًا الشيخ البكري[445]، وهو شاعر وصوفي كان مولعًا بالعلم من صغره، أصبح بعد ذلك زاهدًا وزار الحجاز والشام ومصر وتونس، وبنى الزوايا في كل من تونس والشام والجزائر، واستقر بعد ذلك بالزاوية التي بناها بالقـــرب مـــن بلدة تمنطيط[446].

وله تآليف كثيرة، وكان واسع المعارف إذا سئل عن مسألة يقول للسائل أتريد الجواب نظمًا أو نثرًا، وكذلك إذا سئل عن كتابة وثيقة أو سؤال يقول للسائل أريد الوثيقة نظمًا أو نثرًا، ويأخذ قلمه ويكتب ما طلبه منه في الحال، وكانت له عدة تآليف مخطوطة تدرس في الزوايا والمساجد والكتاتيب، كنظم التوحيد وشرح همزية البوصيري وقصائده الكثيرة[447].

وهناك شيخ آخر يدعى الزجلاوي يقول فيه صاحب قطف الزهرات أنه ألف تآليف عديدة ودرس وتحاور مع العلماء الأجلاّء، فظهرت مكانته العلمية، وترك عدة تآليف أهمها شرح أبي المودة خليل والألفية في غريب القرآن التي كانت توصف بأنها للطلبة كالغذاء للأرواح والأبدان، وتوفي رحمه الله يـــوم الثلاثـــاء 23 شوال سنة 1212هـــ/1798م[448].

---

444 – سيدي عمر، مرجع سابق، ص28.

445 – هو السيد محمد البكري بن عبد الرحمان بن محمد الطيب بن أحمد بن محمد التنلاني أصلا الزاويـــة البكريـــة دارًا ومنشـــأ، انظـــر : سيدي عمر، مرجع سابق، ص47.

446 – فرج ، مرجع سابق، ص94.

447 – سيدي عمر ، مرجع سابق، ص51.

448 – نفسه.

كان بتوات مجموعة كبيرة من المعلمين و لم يذكر الا القليل منهم مثل ما ورد في قطف الزهرات[449] ، وهذا بسبب قلة التآليف، أو الإشارة إليهم بطريقة سطحية.

ثانيًا : جهود بعض الجزائريين في التعليم

1 – نشاط الأمير عبد القادر[450]:

إن عظماء الرجال لا تنحصر شخصية الواحد منهم في جانب معين من البطولة، كالسياسة أو الحرب أو ما إلى ذلك من مجالات الحياة، ولكنها قد تستحوذ على أكثر من جانب وكلما تعددت جوانب تلك الشخصية إلا وتفوقت بصاحبها على غيره من العظماء، والأمير عبد القادر لم تكن شخصيته متميزة سياسيًا أو عسكريًا أو اجتماعيًا أو دينيًا أو علميًا أو أدبيًا، ولكنها جمعت هذه الصفات كلها ، وسنشير بعجالة إلى الجانب التعليمي للامير.

كان الأمير عبد القادر يحب العلم والعلماء ويتواضع لهم[451]، ويعرف عنه أنه قام بتنظيم المعلمين في العديد من المدن لتدريس فنون العلم المختلفة، ولقد حدد لهم مرتبات تتناسب ودرجاتهم العلمية، وحث الناس على طلب العلم واحترام أهله، وكان إذا حضر لديه معلم امتحنه في مادته، فإذا وجده محصلاً وناجحًا فيها أكرمه ووظفه وإلاّ أعرض عنه[452].

كان بالإضافة إلى حبه إلى العلماء يساعدهم ويكرمهم، أما طلبة العلم فقد أعفاهم من الانخراط في سلك الجندية ومن كل مطالب الدولة وواجباتها ليتفرغوا للتكوين وطلب

---

449 – وردت ترجمة لواحد و عشرين معلما ،انظر: سيدي عمر ، نفسه.

450 – الأمير عبد القادر بن محي الدين (1808م – 1883م) قاد المقاومة الجزائرية ثمانية عشر سنة تقريبًا، سياسي، إداري، أديب، شاعر، اعترف به العدو والصديق، حضر افتتاح قناة سويس سنة 1869م وجلس جنبًا إلى جنب مع رؤساء وملوك أوروبا.

انظر : اسماعيل العربي، **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، الجزائر، 1982م، ص4.

451 – زكريا عبد الرحمن صيام، **الأصالة والتجديد في شعر الأمير عبد القادر**، الثقافة، عدد 73، ماي/جوان 1983م، الجزائر، ص293.

452 – رابح بونار، **نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر**، الأصالة، جوان/أوت/سبتمبر/أكتوبر، الجزائر، 1979م، ص51.

مزيد من العلم، وقام أيضًا بإحضار المدرسين من الخارج، وكان يشترط فيهم الخبرة ودقة وسعة المعارف العلمية، وكثيرًا ما كان يباشر بنفسه إلقاء الدروس في مختلف أنواع العلوم، من أدب وشريعة وتصوف وفلسفة[453]. وكان يتميز بسعة الاطلاع وتنوع التحصيل العلمي الذي استقاه من دراسة القرآن والسنة ومختلف مصادرها، ومؤلفات محي الدين بن عربي، والرازي، والشريف الجرجاني، وابن خلدون، وابن سينا، والسرهودي، والبيضاوي، والطبري، وخليل[454]. وهكذا فقد انتشر التعليـــم في جميع المقاطعات وأقبل الناس على تعليم أبنائهم فكثرت بذلك الفائدة.

لقد اجتهد الأمير أيضًا في حفظ الكتب وأمر جنوده بأن يأتوه بكل كتاب يعثرون عليه، وتشدد في حيازة الكتب التي كانت بين أيدي الطلبة أيام حكمه[455]. ويتم كل ذلك إما بالشراء أو النقل، ومنح جوائز ومكافآت لكل من أحضر له كتاب مهمـــا كـــان نوعه[456]. وعزم على تأسيس مكتبة عامة في تاقدامت ثم اضطرته الظروف الحربية على جعل هذه المكتبة متنقلة بتنقل الزمالة إلى أن قضى عليها الاستعمار وأتلفها في 10 ماي 1843م، فتبعثرت تلك الكتب واستولى عليها الفرنسيون ونقلوها إلى باريس وتوقف نشاط الأمير عبد القادر الجزائري التعليمي، ولم يظهر ويتجدد إلا بعد استقراره في مدينة دمشق بسوريا (1856م – 1883م).

لقد قضى الأمير في دمشق سبعة وعشرين عاما في القراءة وحلقات العلم والتأليف والتأمل الصوفي والرحلات، وكان محل اهتمام العلماء والمثقفين في دمشق الذين طلبوا منه أن يكون أستاذهم ويستفيدون من معارفه، فقبل الأمير وتكوّن قسم يضم ستين عالمًا وطالبًا[457]. كانوا يجتمعون إليه يوميًا في الجامع الأموي الكبير، فيذهب الأمير عند آذان

---

453 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، الجزء الرابع، الطبعة الثالثة، بيروت 1403هـ، ص29.

454 – عمار طالبي، "**الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر**"، جريدة الشعب، رقم 6081، الثلاثاء 17 ماي 1983م، الجزائر، ص11.

455 – بونار، مرجع سابق، ص52.

456 – الجيلالي، **تاريخ الجزائر**،مرجع سابق، ص29.

457 – فؤاد صالح السيد : "**الأمير عبد القادر في دمشق**"، جوانب من حياته الدينية والعلمية والفكرية (1272 – 1300هـ/ 1856 – 1883م)، الثقافة، عدد 75، ماي/جوان 1983، الجزائر، ص263.

الظهر إلى المسجد حيث تكون حلقة درسه قد انتظمت في انتظار وصوله، فيأخذ مكانه ويفتح الكتاب المعين للمناقشة بصوت عالي، وكان يتوقف باستمرار عند طلب بعض التوضيحات، التي تفتح كنوزه الفكرية المتنوعة. وكان هذا الدرس اليومي يستمر لمدة ثلاث ساعات، إن مواضيع الدرس كانت غالبا ما تعتمد على القرآن والحديث وصحيح البخاري، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، وكتاب الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز لأحمد المبارك، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ونصوص فلسفية من أعمال أفلاطون وأرسطو. وكان ذلك بجامع سيدي يعقوب، وبعد سنة 1864م جعل التدريس في مترله حيث يحضره عدة وفود وشخصيات، منهم الشيخ عبد الرزاق العطار، والشيخ محمد الخاني، والشيخ الطنطاوي، وطلبوا منه تدوين ما يتكلم في مجالسه، فكان ذلك نواة الكتاب الصوفي الشهير الذي عرف فيما بعد باسم المواقف[458].

[458] – صالح السيد "، مرجع سابق، ص265.

2 – ابن العنابي :

ومن بين الذين حافظوا على استمرار التعليم العربي أيضًا، هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين الذي عرف بابن العنابي[459*]، صاحب الثقافة الواسعة، كما كان يسمى في عصره، وتولى عدة وظائف منها قاضي الحنفية، وكاتب الباي في تونس فيما بعد، وقد تولى أيضًا منصب الإفتاء وأصبح ابن العنابي موضع شبهة السلطات الفرنسية خاصة عندما أجبره (كلوزيل) على تسليم بعض المساجد لجعلها مستشفيات للجيش[460].

واتسمت لهجة ابن العنابي بالنقد للسلطات الفرنسية على خرقها للاتفاق الموقع بين الداي حسين والكونت دي بورمون، فألقي عليه القبض ونفي إلى مصر، فأقام بالإسكندرية حيث ولاّه محمد علي وظيفة الفتوى الحنفية بهذه المدينة. وهكذا أصبح ابن العنابي كباقي المثقفين الذي استمر نشاطهم التعليمي وتأثيرهم الفكري خارج الجزائر.

لقد التف حول ابن العنابي تلاميذ وعلماء في الأزهر بعد أن تصدر لتدريس الحديث والفقه، فأجازه الكثير من تلاميذه، وتوفي بمصر وترك عدة كتب أهمها : السعي المحمود بدا فيه ابن العنابي كمجدد إسلامي في ميادين سبق فيها أمثال الطنطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[461].

1–ابن العنابي ولد سنة 1189هـ وتوفي سنة 1267هـ بمصر (1775م – 1851م).انظر:
أبو القاسم سعد الله، **ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي**، الجزائر، 1977م، ص ص11-23.

460 –نفسه.

461 – نفسه، ص ص 23-57.

3 – صالح بن مهنا :

صالح بن محمد بن محمد بن مهنا[462]، قرأ القرآن الكريم والمبادئ المعروفة في عصره من فقه ونحو وصرف وبلاغة في الجزائر، ثم انتقل إلى تونس والأزهر لتوسيع معارفه.

لقد درس بن مهنا على العديد من الشيوخ، منهم الشيخ عبد الله الدراجي الذي كان معجبًا به إلى أقصى حد، وألف عن حياته كتابًا سماه إسعاد الراجي في بعض مآثر الشيخ عبد الله الدراجي[463]، بالإضافة إلى ذلك فقد درس على مشايخ في تونس ومصر، منهم الشيخ الجربي[464]، الشيخ قبادوا[465] التونسي، الشيخ صالح النيفر[466]، الشيخ محمد نيفر[467]، الشيخ المازني[468]، الشيخ ابراهيم الباجوري[469]، الشيخ محمد بن أحمد عليش[470]، إلى غير ذلك من المشايخ الذين درس عليهم واغترف من مناهلههم المتعددة.

إن ابن المهنا تولى إمامة المسجد الكبير بقسنطينة بطلب وسعي الشيخ محمود بن محمد الشاذلي، وشرع في إلقاء الدروس بالمسجد وبالزاوية الحنصالية تطوعًا في جميع المواد الدراسية لتلك الفترة، وكان الناس يأتون للتعلم باستمرار.

وقد أدى الشيخ صالح رسالته التعليمية والتوجيهية لمدة ثلاثين سنة تقريبا، وقد تخرج عليه عدة تلاميذ محصلين يذكرون فضله ويعتزون بعلمه الغزير ومقدرته الفائقة وإخلاصه المتناهي في سبيل نشر العلم والعرفان.

---

462 – ولد صالح بن مهنا عام 1840م في قرية العشرة (كركرة) قرب القل.

463 – درس عليه الشيخ في تونس صحيح البخاري واستقر بعد ذلك بالمدينة المنورة حتى وفاته سنة 1296هـ/1878م.

464 – مدرس مختصر الشيخ خليل بجامع الزيتونة، توفي حوالي 1863م.

465 – أديب وشاعر تونسي، دفين الزلاج بتونس سنة 1288هـ/1870م.

466 – درس عليه بن مهنا سنة 1276هـ، 1856م سند الإمام مالك بجامع الزيتونة، وتوفي نيفر سنة 1290هـ/1873م.

467 – خطيب بجامع الزيتونة، توفي 1860م.

468 – مدرس بجامع الزيتونة، توفي سنة 1867م.

469 – مدرس بالأزهر للفقه.

470 – مفتي المالكية بمصر، توفي 1881م، انظر : سليمان الصيد، **صالح بن مهنا القسنطيني**، الجزائر 1983، ص ص-46-27.

إن صالح بن مهنا عزم على نشر العلم، فاشترى بيتًا بالقرب من الزاوية الحنصالية ورابط فيها، وتفرغ لعبادة الله والتدريس والتأليف وإرشاد الأمة في دروسه العمومية وخطبة الجمعة، وكان دومًا حسب رأيه يبتعد عن الاختلاط بأولئك الموظفين الذين كانوا يتملقون العدو الحاكم بالتمسح على أعتاب أبوابه، والاستماع إلى توجيهاته وتنفيذ أغراضه، ولو خالفت مبادئ الدين وحرمة الوطن والكرامة والمروءة والشرف[471].

فالذين عاصروا الشيخ بن مهنا يقولون أن وقته كان يقضيه إما في التدريس أو مطالعة الكتب والتعليق عليها[472]، والمدة الطويلة التي قضاها في التعليم أكسبته خبرة ورأي لاذع لطريقة التعليم المتبعة في تلك الفترة، لذا كثر أعداؤه وخصومه.

إن رجال التعليم يقولون عنه في تونس شيخ، وفي مصر خليفة، وفي بعض زوايا الجزائر مقدما، وحسب رأي بن مهنا كثرة هذه الأسماء تدل على الضيعة والحطة لاسم يجمع بين أربع صفات، وهي الجهل والبدعة والطمع والفسق، لهذا يضيف قائلا بأن المشيخة في هذا الزمان صارت لعبة في يد الأحداث والصبيان ومن لم يصل إلى درجة النسوان كرابعة العدوية.

ويشترط في المعلم حسب رأيه ضرورة التقيد بسلوك وطريق قويم، ويجب أن يكون صادقا متبحرًا في علوم الشريعة، بحيث يقرر مذاهب الأئمة الأربعة وغيرها ويعرف أدلتها ومنازع أقوالها ويقف على أم الكتاب التي يتفرع منها كل قول[473].

إن سعة اطلاع بن مهنا، جعلته يدرس اعتمادا على بعض الكتب التي ألفها مثل كتاب شرح نظم الأسماء الحسنى، شرح ابن عاشر، كتاب السر المصون، أقرب الوسائل في الصلاة على النبي، تنبيه المغترين، مولد النبي (ص)، شرح الأربعين النووية، الترغيب والترهيب وغيرها[474].

---

[471] – الصيد، مرجع سابق، ص53.

[472] – نفسه، ص55.

[473] – نفسه، ص .73.

[474] – لابن مهنا أكثر من 56 كتاب مخطوط، حوالي 5 كتب مطبوعة، انظر : الصيد، مرجع سابق، ص ص177-184.

لقد ثار بن مهنا على العديد من مظاهر تلك الفترة، وظهرت جلية في كتاباته ودروسه فأثارت عليه أعداء من مختلف الطبقات، وخاصة السلطة الاستعمارية، لذلك عزل من إمامة المسجد الكبير بقسنطينة، وألقي عليه القبض واستولت فرنسا على مكتبته الثمينة ونقلتها إلى دار العمالة.

إن الاستعمار الفرنسي قام باستدعاء المستشرق البان روزي سنة 1897م لدراسة آراء بن مهنا، واستخلص هذا في النهاية هدف السلطة وطلب ضرورة إرجاع مكتبة الشيخ، وفعلا ما كان، ونظرا لقيمة الشيخ حاول طلبته وأنصاره عرقلة السلطة الاستعمارية، ومنعها من أخذ الشيخ ومكتبته لكن في النهاية ألقى الشيخ كلمة على تلاميذته وأنصاره، وطلب منهم الهدوء والصبر لأن فرنسا كانت مدججة بالسلاح ومستعدة للشر والانتقام[475].

4 – ابن زكري :

من بين الذين تخرجوا من التعليم العربي ابن زكري[476]، الذي درس بزاوية الأيلولي وزوايا أخرى، وبعد أن حفظ القرآن ومبادئ اللغة العربية انتقل إلى الجزائر العاصمة، وألف كتاب أوضح الدلائل بوجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، وهو عبارة عن ملاحظات تحصي عيوب التدريس في تلك النواحي، مشيرًا أحيانًا إلى مفاسدها وأحيانا أخرى مبينًا التحسينات الضرورية التي يحسن إدخالها على ذلك التعليم ليصبح موافقًا لحاجيات الزمان، ومطابقا لأساليب التعليم العصري وقد اعتمد في كتابه هذا على تجاربه الشخصية[477].

يشير ابن زكري في بداية كتابه إلى السلبيات التي ميزت التعليم بالزوايا وتدني المستوى العلمي والأخلاقي، ويستشهد بما وقع من فتن ومشاكل في بعض الزوايا[478] والأساليب التلقينية العقيمة[479]، لذا أشار إلى ما يجب إصلاحه والقيام به وذلك بالرجوع

---

475 – نفسه ، ص104.

476 – محمد سعيد بن زكري ولد سنة 1851م/1267هـ ببلاد القبائل وألف أوضح الدلائل وطبعه سنة 1903م/1321هـ بالجزائر، وتوفي سنة 1914م/1332هـ. انظر : بن أبي شنب، **النهضة العربية**، مرجع سابق، ص47.

477 – ابن أبي شنب ، مرجع سابق، ص48.

478 – ابن زكري، **أوضح الدلائل**، مصدر سابق، ص ص11.

479 – نفسه، ص ص15-54.

إلى تدريس مختلف العلوم وتنظيم المؤسسات التعليمية ماليًا، بحيث تحصى المصاريف اليومية والشهرية والسنوية في سجلات خاصة.

يقترح ابن زكري تعديل البرامج وإدخال بعض المواد، كالتاريخ والجغرافيا والسير والرحلات والتفسير والحديث والفقه والمنطق وأصول الفقه وقواعد اللغة العربية[480].

بالإضافة إلى ضرورة تقسيم أوقات التدريس، وطرق انتقاء المدرسين، والأجور المقدمة لهم ومراقبتهم، وحساب غياباتهم، والسهر على استمرار التعليم بالزوايا ودعمها بشراء الكتب، وحث الطلبة على المطالعة[481]. إن انتساب التلاميذ لأي زاوية يجب أن يتم بعد التأكد من السيرة الطيبة ودفع بعض المصاريف، ويجب أن يخضع كل متعلم إلى مكافأة أو تأديب[482]، ويذهب ابن زكري إلى أكثر من ذلك فيطلب من السلطة الحاكمة المحافظة على التعليم في الزوايا والإبقاء عليه، لما فيه من فوائد تعود بالصالح العام على الأمة[483].

يلاحظ بأن ابن زكري طالب بضرورة إصلاح التعليم بالزوايا وكأنها منفصلة عن التعليم الجزائري، في هذه الفترة التي تميزت بالاعتماد أساسًا على التسليم والمتابعة، فكان مثلاً الشيخ أو المعلم يتصف ويسمى بالحافظ لأنه يحفظ وينقل ويعتمد أساسًا على مجموعة من الكتب والآراء، كتبت في معظمها في عصور سابقة، وقد تناول ابن زكري إصلاح الزوايا بطريقة منفصلة عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والطرق الجهنمية للاستعمار، التي كان لها الأثر الكبير في تحديد نوع التعليم، ورغم أنه تخرج من أهم الزوايا و هي زاوية الايلولي بجرجرة التي عرفت بنشاطها التعليمي والسياسي والعسكري، فإنه لا يشير إلاّ بالنزر القليل لبعض إيجابيات الزوايا[484]، وكان من المفروض أن يؤكد على ضرورة الإبقاء على الإيجابيات والمطالبة بالإصلاح والتجديد في بعض الميادين.

---

480 – نفسه، ص16.

481 – نفسه، ص69.

482 – نفسه، ص46.

483 – نفسه، ص73.

484 – ابن زكري، مرجع سابق، ص54.

يعيب الكثير على ابن زكري وطريقته التهجمية[485] على بعض الزوايا، وأنه أحيانًا ظهر أكثر رسمية من النظام القائم، وإن تراث بعض الزوايا يؤكد مكانتها وكونها رباط علمي وجهاد وتصوف وملجأ للمظلومين والتائبين، ضحايا الجور في كل العهود.

إن الحياة في الزوايا التعليمية كانت بها معاني سامية متنوعة، كان من المفروض الإشادة بها، مثل العلاقة بين المعلم والمتعلم والمدة الزمنية الطويلة التي يبقى فيها طالب العلم في الزاوية ملازمًا لشيخه، ولا يشغله عن ذلك أمر ولا سعي ولا معاش، فالزاوية له مدرسة ومسكن ومطعم ومأوى ، وكان الشعب يتكفل بضروريات الحياة في الزاوية التي يتميز افرادها بعلاقة الاحترام و التقدير .و ان الزاوية كانت تعد المقاومين المتشبعين بمقومات شخصيتهم ، لذلك أدرك الاستعمار الفرنسي هذا مبكرًا وعمل على إضعافها أو توجيه نشاطها[486].

[485] – نفسه، ص ص72-89.

[486] – ساحي، مرجع سابق، ص35.

5 – الشيخ عبد القادر المجاوي :

من علماء الجزائر ولد بتلمسان سنة 1848م، درس بجامع الكتاني والمدرسة الكتانية بقسنطينة، ومسجد سيدي الأخضر، فأحدث تأثيرًا كبيرًا بدروسه ومحاضراته العامة.

إن الدروس الرسمية قد تنوعت بين المنطق والبيان والمعاني واللغة والنحو والفلك، وفي سنة 1898م انتقل المجاوي إلى العاصمة للتدريس بالمدرسة الثعالبية، وقد تخرج عليه في التدريس كثيرون مثل حمدان الونيسي، وأحمد الحبيباني والمولود بن الموهوب[487].

لقد وصفه الأستاذ سعد الدين بن أبي شنب بصاحب المعارف الواسعة في اللغة العربية، الفقه ومعارف أخرى كعلم الكلام وعلم الاقتصاد السياسي والعلم التربوي، وقد أسهم إسهامًا جيدًا من أجل نهضة ثقافية، وكان يهاجم الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة[488].

يعتقد الشيخ المجاوي بأن انحطاط المستوى التربوي عند الناشئة، سببه المعلمين والوعاظ والمدرسين الذين لا يحسنون توظيف أساليب التعليم العصري، ولذلك دعا إلى الاهتمام بذلك[489].

يرى سعد الدين بن شنب أن المجاوي كان غافلاً عن دور الاستعمار، الذي عمل جاهدًا لإضعاف المستوى المعيشي، وتدهور الأوضاع الاجتماعية التي كانت عليها غالبية الأسر الجزائرية. لهذا، فإن عملية التربية والتعليم والمستوى الذي وصل إليه هي مسؤولية الاستعمار وليست مسؤولية المدرّسين والمجتمع الجزائري[490].

---

[487] – الحفناوي ، مصدرسابق، ص449.

[488] – سعد الدين بن أبي شنب، **النهظة** ،مرجع سابق، ص50.

[489] – عمر بن قينة، **شخصيات جزائرية**، الجزائر 1983، ط1 (فصل عبد القادر المجاوي، حياته، آثاره، 1818-1914).

[490] – سعد الدين بن شنب، مرجع سابق، ص52.

6 – محمد اطفيش (1818 – 1914) :

ولد سنة 1818م في بني يزقن، أصبح بعد ذلك إمامًا للمسجد وزعيم المزابيين، جعل من مترله مركزًا لدراسة تلاميذ مدن المزاب وخدمة مناطق العالم الإسلامي، وركز في طريقة تعليمه على القرآن الكريم ودراسة الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وكون جيلاً من مؤسسي الحركة الإصلاحية في القرن العشرين[491].

ثالثا : نتائج التعليم العربي

يلاحظ بأن التعليم العربي خلال هذه الفترة قد استمر بصعوبة، ولم يحقق النتائج المرجوة بسبب عدة مشاكل أهمها المضايقات والمراقبة، إذ أن نهاية المنتصف الأول من القرن التاسع عشر تميزت بتشديد الخناق على التعليم العربي، وظهرت المكاتب العربية[492] وأصبحت تقتفي أثر كل من له صلة بالتعليم الخاص بالجزائريين، ولم تكتف بهذا، بل عملت على إثارة الخلافات بين الجزائريين لتشتيت جهودهم، وتوجيه اهتماماتهم إلى أمور ثانوية، فتتمكن فرنسا من مواصلة توسعاتها، وبالإضافة إلى ذلك اشتدت وتوسعت العمليات العسكرية بسبب استمرار المقاومة الجزائرية، فتدهور الاقتصاد وتفكك المجتمع الجزائري.

وقد صرح الجنرال كامو (camou) بعد التفتيش العام سنة 1854م، بأن المراقبة الصارمة لتعليم الجزائريين هي الوسيلة الوحيدة التي تضمن استمرار الاستعمار[493]، فحدد عدد المساجد والكتاتيب، وصدرت أوامر لإحصاء المدرّسين والتلاميذ والزوايا وتسجيل الملاحظات وإظهار اتجاهات وعلاقة المعلمين والتلاميذ بالطرق الصوفية، خاصة المقاومة منها، وبالإضافة للتأكيد على ضرورة تدريس اللغة العربية والقرآن بطريقة سطحية، دون

---

491 – جغلول، **الصراعات الثقافية** ، مرجع سابق، ص ص11-13.

492 – انتهى العمل بها سنة 1870م في الشمال واستمرت في الجنوب، انظر : سعد الله، "**مدارس الثقافة** "،مرجع سابق ، ص96.

493 - Turin, **affrontements**, op.cit, pp203-207.

شرح وتعليق ويكون بعد ذلك الإشراف الكلي لفرنسا على هذا التعليم، لضمان نتائجه غير المعادية للاستعمار[494].

وكانت ترى فرنسا أيضًا بأن نشاط التعليم في الزوايا، هو سبب التعصب الديني وظهور العديد من المقاومات. لذلك بدأ التأثير على بعض هذه الزوايا[495]، ونجحت في استمالة التيجانية وفرع الزيبان للرحمانية، والطيبية في الغرب، والحنصالية في نواحي قسنطينة وحتى القادرية والدرقاوية[496]. وهكذا ضمنت بأن العديد من المتخرجين سيكونون معها وليس ضدها، وبالإضافة إلى العوامل السابقة نجد الهجرة التي استنزفت طاقة من المفكرين الجزائريين، بما في ذلك النشاط التعليمي.

يدرج البعض العديد من الأسباب للهجرة الجزائرية نحو الخارج، خاصة إلى سوريا، ويذهب البعض الآخر إلى ذكر أسباب خاصة لكل هجرة مع تحديد إطارها الزماني والمكاني. ولكن في الحقيقة السبب الوحيد هو الوجود الاستعماري وممارساته التي أسهمت في خلق وضعية اجتماعية ونفسية أفقدت بعض الجزائريين ذلك الرباط الذي كان يشدهم إلى وطنهم رغم مرارة الواقع.

وما يفسر ملامح هذه الهجرة هو أنها أخذت طابع هجرة جهوية تبعًا لأفكار أصحابها، وأحيانًا حتى لوجود قرابة[497] عائلية، كما أنها لم تكن هجرة غائية ذات أهداف وطنية، وإنما كانت فرارًا من الواقع ويأسًا من الحياة في الجزائر، ومهما يكن من أمر فإن النشاط التعليمي قد أصيب بنوع من السكون والانطواء، وأصبحت الزاوية التي كانت مركز قيادة سياسية ودينية مكان تلقين لمبادئ الدين تكتفي بشرح الكتب القديمة، وتعليم الناس ما ينفعهم في دار الآخرة، كما أن المساجد التي كانت مراكز علم ونور قد تحولت إلى أماكن عادية تؤدي فيها صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأصبحت الصلاة مجرد

---

494 - Turin, **affrontement**, op.cit p 207.. انظر الملحق رقم 8 ص .171 .

495 -, Ibid.P.208

496 – سعد الله، "**مدارس الثقافة** "، مرجع سابق، ص65.

497 – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزء الثاني، الجزائر 1983، ص145.

شعيرة يقوم بها إمام موظف يؤدي الواجب، ويكون باستمرار محروسًا لكي لا يثير قضايا سياسية واجتماعية تهم المصلين[498].

يدرج المؤرخ الفرنسي أجرون عدة تواريخ لنشاط الهجرة الجزائرية وحددهـــا كما يلي: (1837م — 1849م؛ 1854م — 1860م؛ — 1861م؛ 1864م — 1870م)، بالإضافة على هجرة الجزائريين بعد المقاومة (1871م — 1874م)[499].

لقد بدأت أهم الهجرات في أواخر سنة 1874م، عندما طلب الشيخ المهدي زعيم الطريقة الرحمانية بأعالي سباو بمنطقة القبائل، من أتباعه ضرورة الهجرة من الكافر، واستقر بعد ذلك مع عشرات العائلات الجزائرية وتلاميذه[500] في سوريا وفي هذه السنة أيضًا وصل إلى دمشق أحمد بن سالم أحد الخلفاء الخمس للأمير عبد القادر مصحوبًا بأربع مائة واثنان وأربعين شخصا بعد نهاية مقاومة الأمير عبد القادر[501].

وفي ديسمبر من سنة 1855م استقر الأمير مع مساعديه وأصدقائه وكانوا حوالي مئة شخص، وفي سنة 1857م التحق بالأمير إخوته وعائلاتهم وكان عددهم خمس وثمانين فردًا، وارتفع عدد المهاجرين إلى سوريا في سنة 1860م وتضاعف إلى عدة مئات خاصة من 1860م إلى سنة 1870م، فأخاف ذلك الاستعمار لأنه لم يصبح هجرة أفراد أو جماعات، وإنما أصبح كسيل جارف[502]، أراد أن يترك الجزائر للفرنسيين، وهذا ما يعبر عنه البعض بالمقاومة السلبية.

إن هذه الهجرات قللت من المدرسين ولم يبق تقريبا في الجزائر إلا من لا ينفع وجوده أو يضر، لضعف مكانتهم العلمية والسياسية، أو من الذين رضوا بهذا القدر المحتوم، ومجاراة الظروف، أو من الذين ظلوا بعيدين عن التسلط الفرنسي ومراكزه العسكرية. ولم يقف الدمار الفرنسي عند هذا الحد، بل شمل التلاميذ والمؤسسات التعليمية بجميع أنواعها،

---

[498] – التلي بن الشيخ، **دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830م – 1954م)**، الجزائر 1983، ص44.

[499] - اجرون ،**الجزائريون المسلمون**، ج 2 ،مرجع سابق، ص. 751 .

[500] – عمار هلال، "**الهجرة الجزائرية نحو الشرق العربي**"، جريدة الشعب، الأربعاء 15 أوت 1984، الجزائر، ص9.

[501] - Pierre Bardin, **Algériens et Tunisiens dans l’empires ottoman de 1848 – 1914**, Paris 1979, pp5-6.

[502] - Ibid, p6.

وأصبح من المتعذر إيجاد مدرس للأطفال، خاصة في المناطق الريفية[503]، وكان فرصة ثمينة لهجرة معلمين من تونس والمغرب وتمركزهم في المناطق الغربية من الجزائر، ولجأت بعض العائلات الجزائرية إلى إحضار بعض المدرسين من الخارج لأبنائهم، لهذا تدخلت السلطة الاستعمارية واعتبرت نشاط المغاربة والتونسيين في التعليم العربي في الجزائر هو خطر على السياسة الفرنسية، ويجب بذل كل الوسائل لمنعهم قبل تأثيرهم على بعض الجزائريين بالمدارس الفرنسية ليلتحقوا بالمدارس العربية[504].

بالإضافة إلى ذلك اعتبرتهم السلطة الفرنسية بأنهم أحسن العناصر التي تتمكن من نقل الأخبار، وتكون خطرًا على الاستعمار، لهذا حدد نشاط المعلمين التونسيين والمغاربة و لم يسمح إلا لمن استطاع الحصول على رخصة من الإدارة العسكرية، فلم يتمكن من ذلك أحد في هذه الفترة، و لم يسمح للمعلم الخصوصي في بعض العائلات المحافظة بحجة وجود مدارس فرنسية تعلم اللغة العربية وحتى الدين الإسلامي[505].

وعمومًا إن التعليم العربي هو الذي أنتج الفئة المتنورة ذات الصفة التقليدية، التي تصدت للتحدي الفرنسي المسيحي عبر أنحاء الوطن، وأخذ هذا التحدي رفض الأساليب الاستعمارية المختلفة، كالإدماج، وذلك بتقديم عرائض أو كتابة المقالات بالصحف، خاصة بعد الهجرة، وحتى بالشعر الشعبي.

وهكذا بدأت المقاومة بمحاربة المدرسة الرسمية وخطة الاستعمار الثقافية، وحرض المثقفون الشعب على رفض السياسة الاستعمارية وبينوا له أهدافها وخطورتها، وجعلوا من كل مدرسة جزائرية، وكل مسجد، وكل زاوية مركزًا محصنًا لمحاربة العدو، وعمدوا على توحيد الصفوف وتنسيق الجهود والآراء، حتى أصبح المستعمر يتساءل عن سر الوحدة الشعبية القوية دون أن يلتمس أسبابها الحقيقية. وفي هذا الصياغ ذكر دونوفو في كتابه

---

503 - Colourna, **les instituteurs**, op,cit, p.105.

504 - G. G., **recueil d'act administratif**, Alger 1877, p454.

505 - Ibid, p456.

الإخوان : "لقد أثر في المواطنين رجال جاؤوهم باسم الدين يحرضونهم على الثورة والتخلي عن المحراث"[506].

إن التعليم في الزوايا، والمساجد، والكتاتيب كان البديل الوحيد الذي وقف في وجه سياسة التجهيل الفرنسية، وهو شكل من أشكال التعبير عن الذات، فبقدر ما كانت المدرسة الفرنسية في الجزائر بعيدة عن الشعب ومعادية لمطامحه ومتنكرة لواقعه، كانت المدرسة التقليدية ملتصقة بالشعب ونابعة من إحساسه بتمايزه عن المستعمر ورغبته في احتفاظه بانتمائه العربي الإسلامي، ولعل هذا ما يفسر استمرار المدرسة التقليدية منطوية على نفسها، وانكماشها داخل المساجد والكتاتيب والزوايا، و لم تتفاعل مع النظام التعليمي الاستعماري الذي مضى على تواجده في الجزائر نصف قرن تقريبًا.

لقد استطاع أصحاب الاتجاه التقليدي أن يكونوا جزءًا من النهضة العربية، خاصة بعد انتقالهم إلى الخارج، كابن العنابي و الأمير عبد القادر وغيرهم، وكانوا أيضًا سفراء للجزائر فعرفوا الأصدقاء والأشقاء بواقعها المعاش، وذلك بإلقاء دروس في المساجد ونشر المقالات والقصائد.

إن العناصر التي استمرت في الجزائر قاومت الاستعمار بمختلف الطرق، كما كان بالنسبة للشعر الشعبي الذي ظهر ابتداء من سنة 1850م، داعيًا إلى المقاومة وكان بمثابة الصرخة المزعجة في وجه الاستعمار، فأثار الحماس الشعبي بتذكير الجماهير بماضيها وقيمها، كالشجاعة والجهاد، و لم يكن للشعر الشعبي مدرسة ينتسب إليها أو حركة يتقيد بخطتها، ولكنه كان المتجول الأبدي الذي يعقد حلقات الإنشاد في كل مدينة وقرية، وفارًا من المراقبة العسكرية الفرنسية، وقد يبدو هذا النوع من الثقافة الشعبية تافهًا إذا قيس بميزان العقل، لكنه غير ذلك إذا علمنا أن هذه الثقافة الجماهيرية كانت تقريبا آخر ملجأ لإنقاذ ما تبقى من مقومات الأمّة[507].

---

[506] - E. De Neveu, **les Khouanes, ordres religieux chez les Musulmans de l'Algérie**, Alger 1913, p115.

[507] – التلي بن الشيخ، **دور الشعر** ،مرجع سابق ، ص21.

إن بطولة هؤلاء الشعراء الشعبيين كانت تتلخص في صرختهم الثورية، حينما سكت الفقهاء ورجال الدين، و لم تكن ترمي إلى تثقيف الناس، ولكنها كانت تهدف إلى إثارة الحماس وبعث الأمل في الأمة بكل الوسائل، وبالأسطورة على الخصوص لأنها أثبت في الخيال وأقوى ارتكاز في عواطف شعب حوّله الاستعمار الفرنسي إلى الدرك الأسفل من الأمية[508]، وبالإضافة إلى ذلك قاد زعماء المدرسة التقليدية المقاومة الجزائرية.

إن فرنسا بمجرد أن أنهت الحرب مع الأمير عبد القادر، أعلنتها على القبائل الصغرى بما فيها جبال البابور، فدامت من سنة 1849م إلى سنة 1852م، ثم أعلنت الحرب على القبائل الكبرى سنة 1853م، ودامت إلى سنة 1857م واندلعت أيضًا ثورة الزعاطشة وبوبغلة والأوراس وجرجرة وقسنطينة، واستمرت في العديد من المناطق إلى سنة 1871م[509].

لقد كان أكثر الناس مقاومة في هذه الفترة هم أتباع الطريقة الرحمانية، التي كان يتزعمها الشيخ محمد المهدي السكلاوي البراتني، الذي هاجر إلى سوريا وخاصة في عهد مقاومة لالا فاطمة نسومر التي انتهت مقاومتها في جويلية سنة 1857م، واستولت الجيوش الفرنسية على مكتبتها التي كانت تضم 150 مجلدًا من أثمن الكتب وأشهر التآليف في مختلف العلوم والفنون[510] باللغة العربية.

إن هذا قد ترك أحد المؤرخين الفرنسيين يصرح بأن الاستعمار وجد المقاومة عند السكان العرب والقبائل، أما الأتراك فإن نفوذهم قد تقلص بمجرد احتلال الجزائر. والعجب أن هؤلاء السكان لهم وحدة، وكانوا دائمًا يحاربون بعضهم بعضا، فالرابطة الوحيدة التي تضمهم هي الدين الإسلامي الذي عرفوه في المساجد والزوايا والكتاتيب[511].

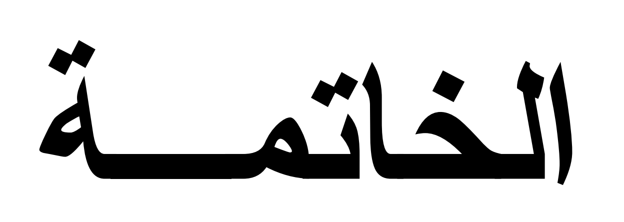
---

508 – التلي بن الشيخ،مرجع سابق ، ص24.

509 - Ahmed Akache, **la résistance Algérienne de 1845 à 1945**, Alger 1972, p16.

510 – حسن حموتن، "**لالا فاطمة نسومر (1830م – 1863م)**"، الأصالة، ةعدد 14، ماي/جوان/جويلية/أوت، الجزائر 1973، ص165.

511 – مصطفى حداد، "**انتفاضة البا يزيد من سكان واحة العامري سنة 1876م**"، الثقافة، السنة 14، عدد 81، ماي/يونيو، الجزائر 1981، ص211.


الخاتمــــة

احتلت فرنسا الجزائر وادّعت بأنها جاءت لنشر الحضارة، فارتكبت جرائم في حق التعليم الوطني، واستحوذت على أوقاف المساجد والتعليم، وعملت على تدهور الكتاتيب والمدارس، وخربت الزوايا، وبعثرت المخطوطات، وأفقرت رجال العلم، وقتلت وهجّرت البعض الآخر.

لقد حاول الاستعمار إيجاد بديل للتعليم الجزائري، وهو التعليم الفرنسي، وكانت نسبة أطفال الجزائريين الذين التحقوا بالمدارس الفرنسية قليلاً، بالإضافة إلى محدودية وضعف البرامج والوسائل.

إن الشعب الجزائري ردّ على سياسة الاستعمار بمقاطعته للثقافة الفرنسية ومؤسساتها التعليمية المسيحية، واعتبرها البعض استمرارًا للحروب الصليبية خاصة في عهد أخطر مبشر عرفته الجزائر، وهو الكاردينال لافيجري الذي أراد تنصير الأطفال عن طريق التعليم وتثبيت الوجود الفرنسي في الجزائر.

لقد تمسك الجزائريون بالتعليم الحر في الكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا، رغم اعتبار البعض بأنه تعليم عقيم لم يصمد أمام التعليم الفرنسي الحديث، لكنه تعليم ضمن استمرار الأصالة والتمسك بالمقومات الأساسية، وهي الدين الإسلامي واللغة العربية، كما كان الوقود الحيوي الذي الخرج المقاومين للاستعمار.

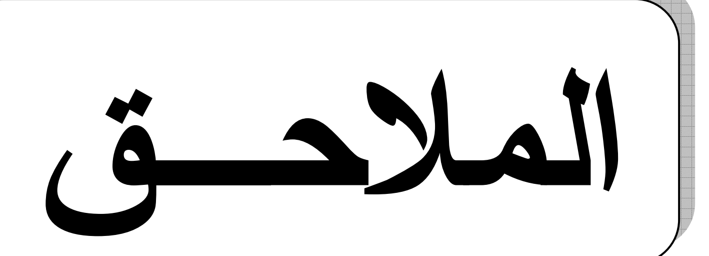
إن بعض الجزائريين اعتبر بأن منع أولادهم من الالتحاق بالمدرسة الفرنسية خطر عليهم، لأن التعليم ولو بلغة المستعمر أفضل من الجهل، ولهذا التحق البعض بالتعليم الفرنسي وطالب بضرورة الإصلاح والاهتمام بتعليم الجزائريين، وإنصافهم كالمعمرين وباقي الفرنسيين في الانتقال إلى المستويات العليا.

لكن فرنسا كانت تريد تكوين نخبة جزائرية تكون واسطة بينها وبين باقي الشعب وتحضيره للاندماج داخل فرنسا، ويظهر ذلك الواقع، إذ كان التركيز على إبعاد اللغة العربية وتشجيع العامية واللغة الفرنسية، وتكوين ازدواجية لغوية وصراعات طبقية وثقافية.

ولم تتمكن فرنسا مثلا من تخرج أدبيا باللغة الفرنسية إلا بعد تسعين عامًا من المحاولات والادعاءات بسياسة تعليم الجزائريين.

لقد اعتبر البعض المجهودات التعليمية الفرنسية بأنها غنيمة حرب، واعتبر البعض الآخر بأن معظم المتخرجين من المدارس الفرنسية هم من طبقات غنية تطمح في التقرب من الاستعمار، والالتحاق بالمدارس الفرنسية لتلقي المعارف المختلفة ونشر الحضارة.

إن السياسات التعليمية المختلفة للاستعمار أدت إلى تراجع مستوى التعليم، وتراجع عدد المتعلمين واستمرار الرفض الجزائري الواضح من خلال استمرار المقاومة الشعبية المسلحة.


الملاحــق

ملحق رقم 1

بعض مكتبات الجزائر قبيل الاحتلال

بعض المكتبات في قسنطينة	800 مخطوط [1]
مكتبة حمودة لفكون	2500مخطوط
مكتبة الباش طارزي	500 مخطوط
مخطوطات الريف	500مخطوط
مكتبة مدرسة تلمسان	110 مخطوط [2]
مكتبة المسجد الكبير بالجزائر	500مؤلف [3]

هدا الى جانب مكتبة الخنقة وزواوة وورقلة و مكتبة القيطنة بمعسكر و مكتبة لالة فاطمة نسومر .

---

(1) Deslane, «**les Manuscrites Arabes de Constantine** », Revue Africaine, Alger 1925, p.106

(2) A.Cour , **Catalogue de Manuscrits Arabes conservés dans les principales Bibliothèques Algériennes** Alger 1907.P.P 1-3

(3) Mohammed Bencheneb, **Catalogue des Manuscrits Arabes** .Grand Mosqué d'alger ,Alger 1919

ملحق رقم 2

كتاتيب الجزائر العاصمة و ندرومة

كتاتيب حي القصبة بالجزائر العاصمة

1- مسيد برقيصة
2- مسيد سيدي بن علي و ضريحه .
3- مسيد سيدي بو قدور و ضريحه .
4- مسيد الحمامات .
5- مسيد حوانيت سيدي عبد الله
6- مسيد الدالية (اندثر حاليا)
7- مسيد جامع الزاوية (زاوية سيدي محمد الشريف الزهار)
8- مسيد جامع السفير (1)

كتاتيب و مساجد ندرومة (كان عددها 118مسجدا و كتابا ذكرها ريني باسي و منها مايلي

الناحية	العدد
ندرومة المدينة	.10
سواحلية	.13
الميرة	.03
متيلة	.06
مسيفة	.07
العيون	.07
بني منير	.04
بني عابد	04 (2)

(1) يحي بو عزيز, «**اوضا ع المؤسسات الثقافية في 19م**» الثقافة ما ي /يونيو 1981 الجزائر ص 15

(2) René , Basset , Nedrouma et tarah , France , 1901 , P .68

ملحق رقم 3

بعض مساجد الجزائر في أواخر العهد العثماني

المنطقة	المساجد	الملاحظة
الجزائر العاصمة	الجامع الكبير	بناه بن تاشفين 406 ه اواسط 11م (1)
	الجامع الجديد	مقر الحنفية شيد (11ه) (2)
	مسجد كتشاوة	أعيد بناؤه (1794م -1795م (3)
الجزائر (وسط)	جامع السيدة	من المساجد الأولى التي طمسها الاستعمار(1832)
	مسجد القايد علي	ألحقته فرنسا بمصالحها (1842)
	مسجد سوق السمن	قضى عليه الاستعمار سنة (1837)
المدية	الجامع الكبير	(4) تعود به الوثائق الى سنة 1127ه
	جامع سيدي المزاري	بناه مصطفى بن مزراق أخر بايات التيطري
	الجامع الأحمر	شيده الباي حسن حوالي سنة 1213ه
وهران	مسجد الباشا	(5) أسسه حسان داي الجزائر 1192 سلم من التخريب الاستعماري.
	مسجد الباي محمد	شيده الباي محمد الكبير 1206ه مستشفى عسكري 1831م(6)
	مسجد سيدي الهوا ري	لم اعثر على تاريخ بنائه إدارة ومحزن للعتاد العسكري بعد 1830م
معسكر	الجامع الكبير	يرجع تأسيسه الى الباي الحاج عثمان 1160ه(7)
	مسجد الباي محمد الكبير	و يسمى العين البيضاء ....بناه محمد الكبير 1195ه

---

(1) عبد الرحمان الجيلالي, **الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا و تاريخيا**, الاصالة نفسه الجزائر ص 127

(2) سعد الله أبو القاسم , **التاريخ الثقافي**, نفس المرجع السابق ص 58

(3) A. Devoullx,Les Edifices Religieux de l’ancien Alger ,R.A1869. P 107

(4) سعد الله, نفسه ص 248

(5) احمد بن هطال, **رحلة محمد الكبير**, تحقيق محمد عبد الكريم, القاهرة 1969م ص 28

(6) Gustave Sandras , Histoire des Hopitaux d’oran P. 102

(7) هو الحاج عثمان و هو الباي الثالث و العشرين لمنطقة الغرب ,توفي بمعسكر بعد ان مكث تسعة اعوام

قسنطينة	جامع سوق الغزل	بناه الباي حسين بو كمية 1143ه (1)
	الجامع الكبير	بناه الباي حسين بو حنك 1156ه (جد الحاج احمد)
	جامع سيدي الكتاني	بناه الباي صالح 1189ه
بجاية	الجامع الكبير	أمر ببنائه مصطفى باشا سنة 1212ه
خنقة سيدي ناجي	مسجد الخنقة	تأسس 1147ه
	الجامع الكبير	تأسس 17م
	مسجدالسوق	تأسس 18م
القل	مسجد احمد القلي	تاسس سنة 1170م
توقرت	مسجد	بناه ابراهيم بن احمد بن جلاب 1220ه

---

(1)حكم هذا الباي من سنة 1125ه الى سنة 1149ه سعد الله , الثقافي,ص.240
(2)حكم حسن بو حنك من سنة 1149ه الى سنة 1167ه سعد الله ص 260
(3) ابو القاسم سعد الله, **زيارة الى سيدي ناجي**, مجلة سيرتا , قسنطينة رقم 3 ماي 1980ص ص 117,116

ملحق رقم 4

الزوايا كما وردت عند رين [1]

الطريقة	الشيوخ	المرديين	عدد الزوايا
القادرية	268	1457 4	29
الرحمانية	754	96161	220
التيجانية	100	11082	17
الشادلية	188	1064	36

---

(1) L.Rinn .**Marabouts** op,cit P 549

(2)نسبة الى الشيخ محي الدين بن محمد عبد القادر الجيلالي, المولود بمدينة جلان بالقرب من بغداد في 471ه و المتوفى561 ه (1078م-1166م) انظر:
Rinn ibid PP 220 , 173

(3) نسبة الى الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري الازهري, المولود حوالي 1720م انظر Rinn,ibid,pp453-455

(4) نسبة الى ابن العباس احمد بن محمد بن سالم المختار التيجاني, المولود عام 1150ه 1737م بعين ماضي انظر Rinn,ibid,pp421-42

(5) نسبة الى الحسن الشاذلى المتوفى سنة 1258م انظر : Rinn,ibid,pp211-235

ملحق رقم 5

الزوايا كما وردت عند ديبون[1]

الطريقة	تاريخها	عدد الزوايا	عدد الطلبة	عدد الشيوخ
الرحمانية	1208 ه/1797م	177	676	22
القادرية	1125ه/1713م	33	521	04
الشاذلية	656ه-1258ه	11	195	09
الحنصالية	114ه/1702م	18	176	01
الدرقاوية	القرن 13ه	10	134	09
الطيبية	1089ه/1679م	08	128	-----
العمارية	1815م	26	79	03
السنوسية	1250ه/1835م	01	35	01

---

(1) Dupont ibid P215

ملحق رقم 6

قائمة بالمساجد و الزوايا التي استولى عليها الفرنسيون بمدينة الجزائر في العامين الأولين للاحتلال

مسجد الشواش
"""" الجنائز
"""" المرسى
"""" سيدي حدة
"""" باب الجزيرة
"""" الكشاش القديم
"""" خضر باشا
"""" عبدي باشا
"""" سوق اللوح
"""" قاع السور
"""" مسجد سوق الكتان
"""" العين الحمراء
"""" صباط الحوت
"""" بيدي عمار التنسي
"""" علي خوجة
"""" حسين بالقصبة
"""" القصبة
"""" فرن القشور

مسجد ستي مريم
"""""" بتشني
"""""" علي خوجة
"""""" كتشاوة
"""""" سيدي الرجي
"""""" سيد ا لسعدي
"""""" سيدي جامعي
زاوية سيد الصيد
"""""" سيدي بتكتة
"""""" كتشاوة
"""""" الكشاش بالمرسى
"""""" تشيكتون
"""""" الانكشارية القديمة
"""""" محمد ميزو مورقو
"""""" الولي سيدي الغبريني بالمرسى
مصلى الانكشارية القديم بالقصبة
"""""" الانكشارية الجديد بالقصبة
"""""" سيدي عبد الرحمان

د .ناصر الدين سعيدوني – **درات و ابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**- الجزائر 1984-ص 198

ملحق رقم 7

المؤسسات الدينية التي استولى عليها الاستعمار في بداية الاحتلال [1]

مسجد حسين	اصبح مرقدا للجيش	حول بعد ذلك إلى مخرن
مسجد بن شقور	1833م ,ثكنة الدرك	1844 مدرسة
مسجد علي باشا	1870,كنية	إدارة للكاردينال لافيجري
مسجد للسوق الكتاني	1841, مرقد للجيش.	....
مسجد سيدي الهادي	مدرسة ,عربية فرنسية	....
مسجد سيدي باتقة	1830 , مقر للاشغال العمومية	1842 ،سوق الريت والقمح
مسجد ميزمورتو	1830 ,مستشفى	1836 مصلحة أملاك الدولة
زاوية تشكتون	1830م, ألحقت بالجيش	1838 مستشفى
مسجد خضر باشا	1830 , ملحق بالمستشفى	1837 هدم
مسجد سوق اللوح	1839, هدم	....
زاوية كتشاوة	1830 مقر للدرك 1830	1835 هدمت
جامع الشواش	1830م, مقر للحرس	....
مسجد الشماعين	1830,متابع للجيش	1841م هدم
مسجد الجنائز	1837م, ملحق بالمستشفى	1838م مخزن
مسجد المرسى	ادمج في الميناء الجديد	....
مسجد باب الجزيرة	1830م , ثكنة للجيش	....
مسجد القشاش	ملحق بالمستشفى العسكري	....
مسجد عبدي باشا	1830م, ثكنة عسكرية	....
مسجد العين الحمراء	1837م ,ثكنة عسكرية	....
مسجد سيدي عمر التنسي	1830م, ثكنة عسكرية	....
مسجد بن نكرو	1837م , هدم	....

---

(1) مجلة الاصالة عدد 8 ماي / جوان 1972 الجزائر ص ص 30 34 و كذلك عدد 89 /90 ص ص 103 104

مسجد علي بتشين	الصيدلة المركزية للجيش
مسجد سيدي الرحي	1830م-1842م ملحق بالمخزن للرئيسي للصيدلة العكسرية
زاوي سيدي اعمر التنسي	1831م الدرك ’ 1861 للجيش
مسجد بير مراد رايس	الجيش
مسجد بير خادم	الجيش[1]

(1)مجلة الاصالة ،مرجع سابق

ملحق 08

مخطوطات أهدتها أسرة بن رحال إلى المكتبة الوطنية[512] سنة 1986م

(معظمها كان يدرس في المساجد والزوايا والكتاتيب)

- **الإتقان والاحكام في شرح تحفة الحكام** لابن الأعصم، محمد بن أحمد الميارة.
- **أنس المنقطعين**، معافي بن إسماعيل بن أبي سنان.
- **بهجة البصر في شرح فرائض المختصر**، محمد بن أحمد بنيس.
- **التاج والإكليل على مختصر خليل**، محمد بن يوسف المواق.
- **تبصرة الحكام**، إبراهيم بن علي بن فرحون.
- **الترغيب والترهيب**، عبد العظيم المنذري.
- **تقاييد الطرنباتي على ألفية مالك.**
- **تقاييد على الرسالة** (**شرح فقه الرسالة**)، محمد بن بلقاسم حرشوش.
- **تقييد على شرح السلم** سعيد الجزيري.
- **تيسير الملك الجليل بجمع شروح وحواشي خليل**، سالم بن محمد الصنهوري
- **الجواهر المنظورة في شرح المنظومة**، قاسم بن محمد بن يامون ويليه **الزج والإقناع** لمحمد بن المدني جنون
- **حاشية على شرح الزقاقية** لمحمد التاولي بن سودا، محمد المهدي الوزاني العمراني.

---

512 – عدد المخطوطات 36 مخطوطا وثمانية كتب بطباعة حجرية وهي جزء من التراث الجزائري الذي ما زال حبيس بعض المكتبات في الخارج والداخل، وقد قدرت مجموعة مختصة (مصرية) في المخطوطات بأن عدد المخطوطات العربية في العالم يبلغ حوالي مليون، ولا تملك الدول العربية منها أكثر من ألفين مخطوط والباقي موزع بين المكتبات الأجنبية والمكتبات الخاصة. للمزيد انظر تحقيق في هذا الموضوع نشر بجريدة الأهرام، القاهرة، مصر، عدد 28565، 4 فبراير 1965م.

- **حاشية على شرح المنكودي**، أحمد بن محمد بن الحاج.
- **حاشية علي الغرناطي**، الشيخ الحطاب.
- **حصول الرفق بأصول الرزق**، عبد الرحمن بن علي جلال الدين السيوطي.
- **حواشي على مقدمة العربي بن يوسف الفاسي**، محمد بن محمد جنون.
- **الدباج المذهب في معرفة احيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي بن فرحون.
- **ديوان ابن سهيل** وقصائد أخرى.
- **رد التشريد في مسألة التقليد**، أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي.
- **رقم الحلل في نظم الدول.**
- **شرح...؟ على الألفية.**
- **شرح ابن غازي على الألفية.**
- **شرح على الخليل الخرشي**، حمدون بن محمد بناني.
- **شرح على خليل**، علي بن محمد الأجهوري، نسختان واحد خطها مشرقي ورقاها 140 صفحة وأخرى خطها مغربي عدد صفحاها 130 صفحة.
- **شرح رسالة أبي زيد القيرواني**، محمد بن بلقاسم حشوش.
- **شرح رسالة** لابن رشد.
- **شرح العقيدة الصغرى** لمحمد بن يوسف السنوسي.
- **شرح مختصر خليل**، محمد بن محمد الحطاب.
- **شرح مختصر خليل**، محمد بن أحمد بن ميارة.
- **شرح المكودي على الألفية.**
- **صحيح البخاري.**
- **العقد الجوهري على مقدمة ابن أجرون**، أحمد بن محمد بن الحاج.
- **عمدة أهل التوفيق والتسديد**، محمد بن يوسف السنوسي.
- **الفتح الرباني فيما ذهل عنه المرزقاني**، محمد بن الحسن البناني.
- قائمة بالكتب التي احتوها خزانة بن رحال.

- قطع من كتب شيء منها شرح محمد بن يوسف السنوسي على مقدماته وعلى العقيدة الصغرى[513].
- **مختصر توضيح لمقاصد ألفية بن مالك**، حسين بن عبد الله المرادي.
- **المعيار**، أحمد بن يحي الونشريسي.
- **المقنع في علم ابن مقرع**، محمد بن سعيد السنوسي.
- **مواهب الجليل في شرح الخليل**، محمد بن محمد الحطاب.
- **موطأ الإمام مالك**.
- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، محمد بن محمد الافراني، نسختان، الأولى عدد صفحاتها 240 صفحة والثانية 150 صفحة[514].

---

[513] – بن رحال، مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، مصدر سابق.

[514] – بن رحال، مصدر سابق.

المصادر والمراجع

أ – باللغة العربية

الأرشيف الوطني:

ا- الوثائق الجزائرية العثمانية

– سلسلة بيت المال – المرحلة الثانية

– 1200هـــ الموافق (1785 – 1786م)

– 1285هـــ الموافق (1866 – 1867م)

– دفتر إرادة عدد 1250 (1844 – 1845م)

ب– مخطوطات المكتبة الوطنية

1- مكتبة حسين بو لحبال

2 – مكتبة علي بن الحاج موسى

3- مكتبة ابن رحال

4- مكتبة السيد بشير يلس

5- مكتبة احمد بيوض

6- مكتبة ابن حمودة

المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم

1 – آجرون، ش،ر، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، بيروت، 1982.

2-اجرون،ش.ر،**الجزائريون المسلمون و فرنسا** (1871-1919)، نقله الى العربية م .حاج مسعود ،أ.بكلي ،دار الرائد للكتاب ج 1،ج 2 ،الجزائر 2007.

3-بل ،الفريد،**الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي،من الفتح العربي حتى اليوم** ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ،دار الغرب الاسلامي ،ط2 ،بيروت،1981

4-بقطاش خديجة ، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)** مطبوعات دحلب ، الجزائر1992

5-تركي، رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية** من (1930 – 1956)، الجزائر، 1975

6-تركي، رابح، **الشيخ عبد الحميد بن باديس** ، فلسفته و جهوده في التربية و التعليم (1900-1940)،الجزائر 1974

7– التميمي، عبد الجليل، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871)**، تونس 1972

8-ايفون ، توران،**المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة** ، المدارس،الممارسات الطبية و الدين (1830-1880) دارالقصبة، ترجمة محمد عبد الكريم او زغلة الجزائر 2005 ص . 248

9-حلوش عبد القادر ،سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر (1871–1914)،الجزائر 1999

10-جغلول، عبد القادر، **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**،ترجمة سليم قشطون لبنان1984

11- الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، **محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره**، الجزائر 1983.

12- الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد ، **تاريخ الجزائر العام**، الجزء 4، ط3، بيروت 1403هـــ.

13. خوجة، حمدان بن عثمان ، **المرآة**، تقديم وتعريب د. محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1982

14- دبوز علي ، **نهضة الجزائر الحديثة**، الجزائر، 1976.

15- أبوراس، محمد، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق محمد عبد الكريم الجزائري، الجزائر، 1980.

16-الراشدي ،احمد، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني** ،تحقيق المهدي البو عبداللي،قسنطينة 1973

17-ابن زكري، محمد السعيد،**اوضح الدلائل بوجوب اصلاح الزوايا ببلاد القبائل**، الجزائر 1913

18- زوزو، عبد الحميد، **نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)**، الجزائر، 1984.

19- ساحي، أحمد ، **أعلام من زواوة**، ايقواون، دون تاريخ، الجزائر

20–.- سعد الله، أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830م)**، المجلد الأول، ج، 1، 2، الأعمال الكاملة، خاصة بوزارة المجاهدين، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

21- سعد الله، أبو القاسم، **محمد الشاذلي القسنطيني (1807م – 1877م)**، الجزائر، 1974

22 - سعد الله، أبو القاسم ، **الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزء الثاني، الجزائر، 1983.

23-سعد الله، أبو القاسم ، **ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي** ، الجزائر 1977

24- السنوسي، أبو عبد الله، **شرح أم البراهين في علم الكلام**، تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري، الجزائر، 1989.

25- سيدي عمر، عبد العزيز ، **قطف الزهرات من أخبار علماء توات**، الجزائر، 1985.

26- شارل، وليام، **مذكرات وليام شارل (قنصل أمريكا في الجزائر)**، 1876 - 1924، تقرير وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، الجزائر، 1982.

27-الصيد ،سليمان ، **صالح بن مهنا القسنطيني** ، الجزائر 1983

28- العربي، اسماعيل ، **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، الجزائر، 1982.

29- العربي، اسماعيل ، **الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال** ، الجزائر 1986

30- أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، بيروت، 1982

31- خليل، الجندي، بن إسحاق، **المختصر على مذهب الإمام مالك بن أنس**، خزانة الجامع الكبير، رقم 246، تار1374م.

32-غارودي ،روجي،**حول الحضارات** ،منشورات عويدات ، 1970

33- قنان، جمال ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 – 1830م)**، الجزائر، 1987

34- قنان، جمال، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830 – 1944م)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة هومة، الجزائر، 2007.

35- الكعاك، عثمان، **مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 إلى القرن 19**، معهد الدراسات العالية، 1958.

36-لونيسي ،ابراهيم ،**القضايا الوطنية في جريدة المبشر (1847–1870)**رسالة ماجيستير ،الاستاذ د. ابو القاسم سعد الله الجزائر 1994 (مخطوط)

37 -مغراوي ،احمد بن جمعة ،**جامع جوامع الاختصار و التبيان فيما يعرض للمعلمين و اباء الصبيان** ،تحقيق احمد جلول البدوي و رابح بو نار ،الجزائر 1975

38 -ابن ميمون ،محمد،**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** ،تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائر 1981

39 -المدني ،احمد توفيق ، **محمد عثمان باشا** ، الجزائر 1973

40 -ناصر ،محمد ،**الصحف العربية الجزائرية(1847–1939)**الجزائر 1980

41-و علي محمد الطاهر ، **التعليم التبشيري في الجزائر** ، منشورات دحلب، الجزائر 1997

المقالات :

1- التميمي، عبد الجليل ، **وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر**، المجلة التاريخية المغربية، عدد 05، تونس، 1980.

2- التميمي، عبد الجليل، **التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م"**، المجلة التاريخية المغربية، العدد الأول، تونس، 1974.

3-التميمي، عبد الجليل، **الحركة التبشيرية في تونس** ، الاصالة ، عدد 30 جانفي-فيفري 1976

4- سعد الله، أبو القاسم، **مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي**، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد 9، القاهرة، 1978.

5- سعد الله، أبو القاسم، **المفتي الجزائري ابن العنابي**، الأصالة، عدد 31 مارس 1976.

6- سعد الله، أبو القاسم ، "**قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843، موقف المفتي الكبابطي من الأوقاف واللغة"**، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، أفريل، ماي، يونيو، الكويت.

7- بن أبي شنب، سعد الدين ، **النهضة العربية في الجزائر في المنتصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة**، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، السنة الأولى، الجزائر، 1964.

8- بوشوشي، الطاهر ، **تاريخ جامع كتشاوة**، الأصالة، عدد 14/15، ماي، جوان، الجزائر 1973.

9- صيام، عبد الرحمن، **الأصالة والتجديد في شعر الأمير عبد القادر**، الثقافة، عدد 73، ماي، جوان، الجزائر، 1983

10- بوعبداللي، المهدي، **الثقافة والتوجيه**، محاضرة ألقاها في مؤتمر الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر، 1974.

11-بو عبد اللي ، المهدي ، **الاحتلال الفرنسي للجزائر و مقاومة الشعب في الميدان الروحي** ، الاصالة،عدد 8، ماي – جوان 1972

12-العطية ،ابراهيم خليل،مخطوطات زاوية سيدي حليفة في الجزائر ،مجلة عالم الكتب ،المجلد 8العدد1مارس 1987 السعودية

13-ابوعمران، الشيخ، **المجاهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من (1830 – 1870)**، مجلة الأصالة، العدد 6، السنة 1792، الجزائر.

14- فؤاد صالح، السيد **الأمير عبد القادر في دمشق، جوانب من حياته الدينية والعلمية والفكرية**، الثقافة، عدد 07، ماي/جوان، الجزائر، 1983.

15-بو كوشة حمزة،**شيح الجماعة ،عبد القادر المجاوي** ،مجلة الثقافة ،عدد 10 سبتمبر 1972

16-هلال ،عمار ،الهجرة الجزائرية نحو الشرق العربي ، جريدة الشعب ،الاربعاء 15 اوت 1984الجزائر

ب – باللغة الأجنبية :

Archives Nationale :

Micro – Film = F80 : (1830 – 1850)
Baite 26
Baite 457 – 480

Archives de la Wilaya d'Oran :

1– Dossier 1697 = Instruction Publique en 1894
2– Dossier 7694 = Instruction Publique en 1894
3– Dossier 102 = Instruction Publique 1847

Documents officiels :

1- Annuaire statistique de l'Algérie
2-Clauzel, **observation du générale Clauzel sur quelques actes de son gouvernement d'Alger**, paris 1831
3- G.G.A (Gouvernement Générale de l'Algérie), exposé annuel de la situation de l'Algérie.
4-G .G, **le centenaire** , Alger 1936
5-G.G , **recueil d'act administratif** , Alger , 1877
6-G .G ,**quelques aspects de l'Algérie française** , Alger 1922.
7- Ministère de la guerre , **tableau de la situation des établissements français en Algérie**, paris 1838
8-Ministère de la guerre , **tableau de la situation des établissements français dans Algérie**, Alger, 1846
9-Ministère de la guerre , R. Acte administratif 1860
Ministère de l'intérieur , Bulletin officiel Alger 1860-1870.

Ouvrages spéciaux :

1 – **L'amicale des anciens instituteurs et institutrices,** le cercle Algérianiste (1830 – 1862), édition Privat, 1981.
2 – Andrieu (H), **L'assimilation de l'enseignement des indigènes en Algérie.**
3 – Benoit (G), **De l'instruction et de l'éducation des indigènes dans la province de Constantine**, Paris 1886.
4- Ben Rahal (M) **, projet de réorganisation de l'enseignement supérieur en Algérie** , mai 1892
5– Colonna (F), **Les instituteurs Algériens de (1883 – 1939)**, Alger, O.P.U. 1975.
6– Djeghland (A), **Si M'hamed Ben Rahal et la question de l'instruction des Algériens**, 3 documents (1887 – 1892 – 1921), C.D.S.H. Oran, 1982.

7– Fourme Straux (E), **L'instruction publique en Algérie de 1830 – 1880**, Paris, 1880.
8– Gastu (F.G), **Rapport du conseil municipal d'Alger sur la question des écoles**, Alger, 1873.
9- Gaucher, (j) , **le début le l'enseignement en Afrique française** , paris 1968

10- Guedj, (Gaston Eliaou, **l'enseignement indigène en Algérie** (1832-1962) France 2000 .

11- L. Rinn, **Note sur d'instruction publique Musulmane en Algérie**, Alger 1882

12-Melia,(j) , **histoire de l'université d'Alger** , Alger 1950 .
13– Mourlan (P), **Législation et réglementation de l'enseignement primaire publique des indigènes en Algérie,** 1903.
14– Poulard (M), **l'enseignement pour les Indigènes en Algérie**, Alger, 1910.
15 –Slave (De), **L'instruction publique en Algérie**, Alger, 1878.
16 –Turin (Y), **Affrontement culturels dans l'Algérie coloniale,** écoles - médecines, religion 1830 – 1880, Paris, 1971.

<u>**Ouvrages généraux**</u> **:**

1 – Ageron (Ch, R), **Les Algériens Musulmans et la France 1871 - 1919**, II Tome, P.U.F, Paris, 1969.
2 – Ageron (Ch, R), **Histoire de l'Algérie contemporaine 1871 – 1954**, T.II, P.U.F. Paris 1979.
3 – Ageron (Ch, R), **Histoire de l'Algérie contemporaine 1830 – 1979**, **que-sais-je ?** P.U.F. 1980.
4-Akache , Ahmed**, la résistance algérienne de (1845-1945**), Alger 1972 .
5-Anonyme, **l'Algérie et son organisation en royaume** , Alger 1852
6-Baunard, **le cardinale Lavigerie** , paris 1897
7- Bencheneb,(M), **catalogue de manuscrits arabes, grand mosquée d'Alger** ,Alger 1909
8-Berque, (j), **le Maghreb entre deux guerres** , paris 1962
9- Brodier, (j .A) , **le livre d'or de l'Algérie,** Alger 1937

9- Caret, jacques, **le Maraboutisme et les confréries religieuses musulmanes en Algérie** , Alger 1959.
10-Cheffaud,(M),**documents Algériens**, série politique n ° 11 année 1947
11-Delaut, Feraud **, le Habous dans le droit musulman et la législation nord africaine** , Alger 1938
12-Dèpont(O), Coppolani(x) , **les confréries religieuses musulmanes**, Alger1897.
13De Tocqueville, **travail sur l'Algérie**, T 3, paris 1841

14Djeghloul, **huit études sur l'Algérie** , Alger 1986
15– Esquer (G), **Histoire de l'Algérie, que-sais-je ?**Paris.
16-Emerit, Marcel **, l'Algérie à l'époque d'Abdelkader**, paris 1951
17-Feraud, (CH), **les interprètes de l'armée d'Afrique ,** Alger 1876
18-Frantz fanon , **les domaines de la terre** , Maspero 1970
19-Goldzeiguer, (R), **le Royaume arabe(1861-1870**), Alger 1977
20-Grussenmeyer (A) , **le cardinale Lavigerie** , Alger 1888
21-Mac Carthy, (j) , **voyage dans la régence d'Alger (docteur shaw)** , paris1830
22– Mélia (J), **La France et l'Algérie**, Paris 1919.
23- Mercier , (E) **, l'Algérie et les questions algériennes** , paris 1883
24-Mesnage, jean, **le christianisme en Afrique** , T2 , paris 1915

25-Minerville ,Pierre, Dictionnaire de la législation Algérienne , paris 1860 .
26- Pelissier,De Reynaud, **les Annales Algériennes T1** , paris 1854
27-Pichon, le Baron , **Alger sous la domination française , son état présent et son avenir** , paris 1833

28-Rinn,(L) , **Marabouts et Khouanes**, Alger 1884.
29-Simian, (M) , **les confréries islamiques en Algérie** ,Alger 1950
30–Tournier J), **Le Cardinal Lavigerie et son action politique (1863 – 1892)**, Paris 1958.
31– Wahl (M), **L'Algérie**, Paris 1897.

Périodiques :

1 – B.E.I (Bulletin de l'enseignement des indigènes)
2 – Bel (A), **De l'enseignement réservé aux indigènes musulmans en Algérie**
3-Ben Rahal (M), **Etudes sur l'application de l'instruction publique en pays Arabes**
8 –,Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, Tome VII 1887
4-Bernard, Paul, **les écoles indignes devant l'opinion publique,** B.E.I.A.A. n°57 ,janvier 1898
5-Bernard, paul, **quelques méthodes d'enseignement des langues,** B.E.I.A.A. n°60 Avril 1898
6-Bernard, paul,**du choix des morceau de récitation ,** B.E.I.A.A n°151 Novembre 1905.
7-Bernard, paul , **une excursion en grande Kabylie , Revue pédagogique** , T 42 , janvier –juin 1903
8- Boulifa (S), **Mémoires sur l'enseignement des indigènes en Algérie de 1830 – 1930**, n°284, 1930.
9– B.S.G.A. (Bulletin de société de géographie d'Alger).
10-De Slane, **lettre à M.Renaud** , Alger le 25 Janvier 1847 , j . A .T IX , Janvier 1847.
11-De Slane**, catalogue des manuscrits arabes les plus importants de la Bibliothèque d'Alger** , J .A , T IX . Janvier 1847
12-Fleureau, (G) , **du travail manuel dans les écoles indigènes** , B.E.I.A.A.n°1 Mai , Alger 1893 .
13-Foncin, (p) **, l'instruction des indigènes en Algéri**e , revue internationale de l'enseignement, T VI , juillet , décembre 1883
14-L'achraf, Mostefa ,**la culture entre l'idiologie coloniale dominante et l'idiologie de libération des peuples** , El djeich n°138 ,Novembre 1974 .
15-– Merad (A), **Regards sur l'enseignements des Musulmans en Algérie (1880-1960)**, juin, juillet, 1963.
16-Poisson, **caractère de l'enseignement dans les écoles indigènes** B.E.I.A.A.n°1 Mai , Alger 1893
17-Rambaud,(A), Ministre de l'instruction publique , description de l'école de Djemaâ sharidj , B.E.I.A.A , 1894 .
18-Siadoux , (p) , **quelques réflexion aux sujets de l'enseignement de l'histoire à l'école indigène** B.E.I.A.A.n°9, Janvier 1894

R. A. (Revue Africaine) :

1-Bencheneb (M), **Notions de pédagogie Musulmane**, année 1897.
2-Bencheneb (M), **Lettre sur l'éducation**, année 1901
3-– Boyer (P), **La vie quotidienne à Alger à la vielle de l'intervention Française**, année 1897.
4– B.S.G.O. (Bulletin de société de géographie d'Alger).
5-Cour, (A), les chaires de langues arabes d'Alger ,de Constantine,et d'oran, année 1924 n°65
6-Dugat (G), **Des établissements d'instruction publique**, année 1869
7-Feraud, (L) **, un vœu d'Hussein Bey de Constantine** 1807 **,**annèe 1863n°**7**
8-J .P , **liste chronologique des gouverneurs de l'Algérie, année** 1887n° 31
9-Julien , (Ch.A) , un médecin romantique , interprète et professeur d'arabe, année 1924 n°65
10-Massé (H), **Les études Arabes en Algérie (1830 – 1930 – 1933)**.

11-The statistique society of London"**An account of the French Africa**,Vol II London,1839.

فهرس الأعلام

يحي الليفي 28

فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

الفهرس العام